الجامع المنتخب

من رسائل

الحافظ ابن رجب

- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى.
- نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس.
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها.

للإمام الحافظ الفقيه أبي الفرج عبد الرحمن
ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي
(٧٩٥هـ)

ضبط نصها وعلق عليها وخرج أحاديثها
محمد العمري أبو عبد الله

دار المؤيد

بسم الله الرحمن الرحيم

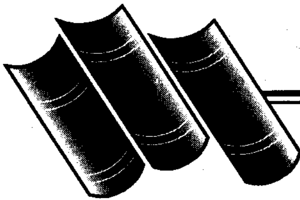
الجامع المنتخب

من رسائل

الحافظ ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٨م



دار المؤيد

للنشر والتوزيع

الإدارة العامة - الرياض
هاتف: ٤٠٢٥١٩٧ - ٤٠٣١٣٧٧
فاكس: ٤٠٢٢٦١٥

جدة: ٦٣١٤٢٤١
أبها: ٢٢٦١٩٧٥
الطائف: ٧٣٢١٨٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٤].

إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[٥]، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فإنه لمن أسباب الشكر والسرور، ودواعي الغبطة وتحديث النعمة لي أن

---

(١) خطبة الحاجة، رواها الأئمة: الطيالسي، وأحمد، وأصحاب السنن، وأبو يعلى، والطحاوي، والطبراني، والبيهقي، وكثيرون. وتوسع في تخريجه المحقق العلامة الشيخ الألباني في رسالته المسماة: خطبة الحاجة. وأورد لها طرقاً وألفاظاً مختلفة، وصحح بعضها عن ابن مسعود فمن أراد التفصيل فعليه مراجعة خطبة الحاجة، ط/ المكتب الإسلامي.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ و ٧١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٣٩) الاعتصام ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله ـ ﷺ ـ من حديث عبدالله بن مسعود بلفظه. وتمامه: «وإن ما توعدون لآت. وما أنتم بمعجزين». ورواه مسلم ـ أيضا ـ (٢/ ٥٩٢ ح ٨٦٧ الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة) ولكن من حديث جابر بلفظ: «.. فإن خير الحديث كتاب الله. وخير الهُدى هُدى محمد..» الحديث. وزاد: «كل بدعة ضلالة» اهـ.

مَنَّ الله عليّ بقراءة وخدمة هذه الرسائل القيمة بعنوان:
- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى.
- نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس.
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها.

ومن ثم تقديمها بحلة جديدة في مجموعة واحدة باسم: «**جامع المنتخب لرسائل الحافظ ابن رجب**» تسهيلاً في الانتفاع بها وتيسيراً في نقلها سفراً وحضراً.

إنها من تأليف الإمام الحافظ المحدث الفقيه أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد المعروف بابن رجب الحنبلي البغدادي ـ رحمه الله ـ. وهو عالم جليل، غزير العلم، واسع الاطلاع، تشهد بذلك كتبه التي تزخر بالفوائد الكبيرة والمعارف العظيمة. كما قال بعض المحققين: إن في مؤلفاته من الفوائد ما لم ير مثلها عند غيره[1].

ثم أقول: إن هذه الرسائل الثلاث التي سيتداولها القراء ـ إن شاءالله ـ تحتوي على الوعظ والإرشاد، والزهد والنصائح، والرقائق وتذكير القلوب وفضائل الأمور، وثواب الأعمال التي تحث المؤمن على نبذ التهاون وترك الكسل، والتشمير عن ساعد الجد والنشاط في سبيل العمل الذي هو من أسباب سعادة المرء في الدارين، جعلنا الله من أهلها، ومن أهل جنة النعيم، ورضاءه الدائم.

أودع الإمام المؤلف الحقائق العلمية فيها مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع أدلة عقلية وبراهين ساطعة حسب ما يقتضيها الحال والمقال. بأسلوب بليغ يخاطب العقل والروح ويزكيهما. ساقها بعبارة واضحة ولغة وعظ وإرشاد، وحكمة بالغة تشتاق إليها النفوس، وتميل إليها القلوب مع تزيين الكتب وتتويجها بقصص وحكايات لطيفة، وعبر رائعة، كتاج مكلل على رأس جميل. وهي كالطور في حجمه صغير وفوائده كبير.

---

(١) مقدمة جامع العلوم والحكم: ص٨.

ليس قصدي من هذا إلا تعريفاً موجزاً حول هذه الرسائل، وإلا أن كتب الإمام ابن رجب تشهد بأنفسها[١]، على ندرة مضامينها. وغاية إفادتها كما أن المسك برائحته الفوّاحة تغني البائع والمروّج من الدعاية والتصويت بالجودة. فأترك ـ بعد هذا ـ القارىء الكريم يذوق طعماً فريداً، ويجرب بنفسه عِظم فن الإمام المؤلف خلال هذه الكتب التي أصبحت في متناوله الآن، ومن ثم يجد نفسه لا تشبع من هذه العلوم ـ إن شاءالله ـ حتى يقرأها مرة تلو أخرى.

ولكن قبل الشروع في قراءة الكتب أذكر ترجمة موجزة للإمام المؤلف، ومن ثم أبين منهجي الذي سلكته في خدمتها، راجياً المولى أن يعم نفعها، وأن تكون سبباً للمغفرة والنجاة لي ولسائر المسلمين، إنه غني جواد كريم، وبر رؤوف رحيم.

---

(١) نحو شرح علل الترمذي. وجامع العلوم الحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم وغيرهما.

حياة الإمام الامؤلف[1]

٧٣٦ـ ٧٩٥هـ

اسمه ونسبه: هو عبدالرحمن بن أحمد بن رجب: عبدالرحمن بن الحسن بن محمد ابن أبي البركات مسعود البغدادي ثم الدمشقي زين الدين، جمال الدين المكنّى بأبي الفرج، والملقب بالحافظ الشيخ المحدث الكبير، إمام وقته، وفريد دهره، ووحيد عصره.

مولده ومنشؤه: ولد الإمام بمدينة السلام المعروفة ببغداد في شهر ربيع الأول عام ٧٠٦هـ[2] وقيل: ٧٣٦هـ، في بيت العلم والثقافة، ونشأ هناك وترعرع في كنف أسرة عريقة تعيش في رحاب العلم وخدمته. ثم قدم دمشق مع والده سنة ٧٤٤هـ واعتنى به والده، وربّاه تربية علمية، كان يحضره إلى مجالس السماع، واستجاز له من علماء كثيرين. فأصبح يسلك طرق العلم والمعرفة حتى أصبح إماماً ـ بلا منازع ـ وعالماً فذًّا جامعاً بين فنون العلم والمعرفة.

---

(١) مصادر ترجمته:
الدرر الكامنة (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠)، المنهج الأحمد (٤٧٠، ٤٧١). كشف الظنون ١/ ٥٥، ٧٩، ٢٠٣، ٥٥٠، ٥٥٩، ٢/ ١٠٩٧، ١٣٥٩، ١٤٠٠، ١٥٥٤، ١٩١١. إيضاح المكنون ١/ ٧٣، ١٢٢، ٣١٥، ٣٢٢، هدية العارفين ١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٨. الأعلام (٣/ ٢٩٥) وزاد: الفهرس التمهيدي ٣٩٢ ـ ٤٠٤، ٤١٤، ٥٤٩، مقدمة طبقات الحنابلة (طبعة المعهد الفرنسي). معجم المؤلفين (٥/ ١١٨ ـ ١١٩)، وزاد: الدارس للنعيمي (٢/ ٧٦، ٧٧). البدر الطالع للشوكاني (١/ ٣٢٨). فهرس الفهارس للكتاني (٢/ ٦٠ ـ ٦١) الإشارات إلى أماكن الزيارات للسويدي ٣٠١، فهرس مخطوطات الظاهرية للعش ٦/ ٢٧٠، ٢٧١. فهرس المخطوطات المصورة ١/ ٢٤٩. كتب خانه سنده لكوبري زادة ١/ ٥٢٧، ٥٢٨. مقدمة جامع العلوم والحكم (٧ ـ ١٠).

(٢) كما ذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة (٢/ ٣٢١). وذكر خير الدين الزركلي في الأعلام (٣/ ٢٩٥): ورد في مقدمة ذيل الطبقات: أن مولده سنة ٧٣٦هـ.

علمه وبراعته في المعارف والفنون: تقدم أن الإمام نشأ في بيت علم، وكان اعتنى به والده: الشيخ الإمام المقرىء المحدث شهاب الدين أحمد ابن الشيخ الإمام المحدث أبي أحمد رجب. قدم من بغداد إلى دمشق سنة ٧٤٤هـ وولده حينئذ صغير، فانهل بدمشق من مناهل العلم، وقرأ القرآن بالروايات، وأجازه ابن النقيب والنووي، ثم ارتحل إلى بلاد الحجاز ومصر وبيت المقدس وغيرها، حتى نبغ في علوم كثيرة، وبرع في الوعظ والتذكير، ومهر في فنون عظيمة، وكان مولعاً بالحديث.

اشتغاله بالحديث: كان أكثر اشتغاله في الحديث، حتى أصبح إماماً في العلل، وهو فن لطيف لا يصل إلى دركه إلا عالم بارع ونابغ، ولا يخوض غمارها إلا من وفقه الله ويسره له.

قال الإمام ابن حجر ـ رحمه الله ـ: أكثر من المسموع، وأكثر الاشتغال حتى مهر وصنف[(١)].

قال ابن حجي: أتقن الفن ـ أي ـ فن الحديث، وصار أعرف أهل عصره بالعلل، وتتبع الطرق، وتخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق[(٢)].

شيوخه وأساتذته: حرص في طلب العلم كثيراً، حتى اجتمع له عدد كبير من الأساتذة. وقد قال الإمام ابن حجر ـ رحمه الله ـ: أكثر من الشيوخ، وخرج لنفسه مشيخة مفيدة[(٣)] اهـ.

قلت: فأسوق هنا عدداً منهم مرتبين على حرف المعجم:

ـ إبراهيم بن داود العطار. سمع منه بدمشق.

ـ أصحاب ابن البخاري. سمع منهم بمصر.

ـ أبو الحرم محمد بن القلانسي. سمع منه بمصر.

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٣٢١).

(٢) شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٣) الدرر الكامنة (٢/ ٣٢٢).

- عثمان بن يوسف الفخر . سمع منه بمكة .
- عمر بن علي بن خليل، بمكة . سمع منه ثلاثيات الإمام البخاري عام ٧٤٩هـ وحج مع أبيه .
- أبو الفتح الميدومي صدر الدين بمصر .
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخباز بدمشق .
- محمد ابن ابي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، لازمه مدة إلى أن توفي سنة ٧٥١هـ، سمع منه قصيدته النونية، وأشياء من تصانيفه .
- محمد بن عبدالرزاق الشيباني أبو المعالي ببغداد عام ٧٤٩هـ .
- ابن النقيب .
- النووي بدمشق .

وغيرهم كثير من رواة الآثار، وأخذ أبوه له الإجازات من الشيوخ الكبار[(١)] .

تلامذته: استفاد من علمه ناس في زمنه، فكان - رحمه الله - ممن نشر العلم، وبث المعرفة، وفقه الناس في مساجد دمشق ومدارسها، وقد أقبل عليه طلبة العلم من كل حدب وصوب، يستفيدون منه ويأخذون عنه، ويستجيزونه، وقد تخرج به معظم الحنابلة[(٢)] .

وقال ابن حجي : تخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق[(٣)] .

ومن أبرزهم : أحمد بن نصرالله بن أحمد بن محمد بن عمر أبو الفضل مجد الدين، مفتي الديار المصرية، المتوفى عام ٨٤٤هـ .

علي بن محمد بن علي بن عباس بن فتيان البعلي، ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن اللحام المتوفى سنة ٨٠٣هـ .

---

(١) مقدمة جامع العلوم والحكم ص ٧ .

(٢) المصدر السابق بتصرف ص ٨ .

(٣) شذرات الذهب (٦/ ٣٤٠) .

محمد بن أحمد بن سعيد شمس الدين المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة ٨٥٥هـ.

خدماته ومؤلفاته: خدم الإمام ـ رحمه الله ـ بما تلقاه من العلم، وما وهبه الله من فنون لطيفة، ومعارف عالية في مجال التدريس والتأليف، والفقه والوعظ، وكان يعقد مجالس، يحضرها الناس للتزود من علمه، واستنارة طريق الحق والهدى.

قال ابن العماد الحنبلي: كانت مجالس تذكيره للقلوب، صارعة، وللناس عامة مباركة نافعة، اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه[(١)].

وأما التأليف فهو كان فارس ميدانه، شملت تصانيفه فنوناً مختلفة، وكلها كانت غاية في الأصالة، والتحقيق، والاستيعاب وحسن العرض[(٢)].

وقد ألف في الفنون الآتية:

١ ـ القرآن والتفسير.

ـ تفسير سورة الفاتحة.

ـ تفسير سورة النصر.

ـ تفسير سورة الإخلاص.

ـ إعراب أم الكتاب.

ـ إعراب البسملة.

ـ الاستغناء بالقرآن[(٣)].

٢ ـ الحديث:

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وصل فيه إلى كتاب الجنائز، قاله صاحب الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد.

---

(١) شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩).

(٢) مقدمة جامع العلوم بتصرف ص ٩.

(٣) كشف الظنون (١/ ٥٥٠).

- شرح جامع الترمذي في نحو ٢٠ مجلداً.
- شرح علل الترمذي.
- شرح ما يزيد على ٢٠ حديثاً شرحاً وافياً.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم[١].

٣- الفقه وأصوله:

- القواعد الفقهية - القواعد الكبرى في فروع الحنابلة. ذكره حاجي خليفة في الكشف (٢/ ١٣٥٩).
- الاستخراج في أحكام الحراج.
- أحكام الخواتيم وما يتعلق بها.
- قاعدة في غم هلال ذي الحجة.
- إزالة الشفعة عن الصلاة بعد النداء يوم الجمعة.
- الإيضاح والبيان في طلاق الغضبان.
- الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة.
- القول العذاب في تزويج أمهات أولاد الغياب.
- الكشف والبيان عن حقيقة النذور والأيمان.
- نزهة الأسماع في مسألة السماع.
- تعليق الطلاق بالولادة.
- مشكل الأحاديث الواردة في أن الطلاق الثلاث واحد[٢].
- تقرير القواعد وتحرير الفوائد في الفقه. ذكره صاحب إيضاح المكنون (١/ ٣٠٥).

---

(١) مقدمة جامع العلوم بتصرف ص ٩.

(٢) كشف الظنون (٢/ ١٠٩٧).

٤ ـ التراجم والسير :

ـ الذيل على طبقات الحنابلة، رتب على ترتيب الوفيات إلى ٧٥٠هـ.
ـ مشيخته .
ـ وقعة بدر .
ـ مختصر سيرة عمر بن عبدالعزيز .

٥ ـ الوعظ والتذكير والثقافة العامة :

ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف .
ـ فضل علم السلف على الخلف .
ـ التخويف من النار، والتعريف بحال دار البوار .
ـ أهوال يوم القيامة .
ـ أهوال القبور .
ـ الفرق بين النصيحة والتعبير .
ـ الذل والانكسار للعزيز الجبار (الخشوع في الصلاة) .
ـ لطائف المعارف .
ـ فضائل الشام .
ـ استنشاق الأنس من نفحات رياض القدس .
ـ الإلمام في فضائل بيت الله الحرام .
ـ الاستيطان فيما يعتصم به العبد من الشيطان .
ـ ذم الخمر .
ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها .
ـ اختيار الأولى فيما يختصم فيه الملأ الأعلى .
ـ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس[١] .

---

(١) هذا الكتاب واللذين قبله من محتويات الجامع الذي سيتداوله القراء إن شاء الله تعالى .

ـ شرح مولدات ابن الحداد.

ـ استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس. ذكره في إيضاح المكنون (١/ ٧٣).

ثناء العلماء عليه

استحق الإمام ـ رحمه الله ـ بخدماته الجليلة ومؤلفاته النافعة، إلى ثناء عطر من العلماء، وقد وصفه غير واحد، بأنه الحافظ الثقة الزاهد الورع، العابد الماهر في فنون الحديث: «أن في مؤلفاته ما لم يُر مثلها عند غيره».

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: أكثر من المسموع. وأكثر الاشتغال حتى مهر وصنف.

وقال ابن الحجي: أتقن فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل، وتتبع الطرق.

وقال ابن العماد الحنبلي: الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة.

وقال الزركلي: حافظ للحديث من العلماء.

ـ وقال عمر رضا كحالة: محدث حافظ فقيه أصولي.

مذهبه: كان الإمام ابن رجب ـ رحمه الله ـ يتمذهب بمذهب الإمام أحمد، تلقاه حتى برع فيه، وأجاد في خدمته، ووضع القواعد الفقهية في المذهب تدل على معرفة تامة به، وترجم أيضاً أصحابه.

طبعه وسلوكه: كان ساذجاً في طبعه، متعففاً، مشتغلاً بالعلم، لا يفرق شيئاً من أمور الناس، ولا يتردد إلى أحد من ذوي الولايات، وكان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين[١].

---

(١) شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩).

وفاته ومدفنه: توفي رحمه الله سنة ٧٩٥هـ.

ـ قال ابن العماد الحنبلي ـ رحمه الله ـ: في ليلة الاثنين رابع شهر رمضان بأرض الحمرية ببستان كان استأجره، وصُلي عليه من الغد، ودُفن بالباب الصغير جوار قبر الشيخ الفقيه عبدالواحد بن محمد الشيرازي، المتوفى سنة ٤٨٦هـ. قال ابن ناصرالدين: ولقد حدثني من حضر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين ابن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام. فقال لي: احفر لي ههنا لحداً، وأشار إلى البقعة التي دفن فيها قال: فحفرت له، فلما فرغ نزل في القبر، واضطجع فيه فأعجبه وقال: هذا جيد، ثم خرج، قال: فوالله ما شعرت بعد أيام إلا وقد أتي به ميتاً محمولاً في نعشه، فوضعته في ذلك اللحد[1].

(١) شذرات الذهب (٦/ ٣٤٠).

منهجي في خدمة هذه الكتب

كانت هذه الكتب مطبوعة ومتداولة من قبل؛ ولكن بعض أهل دراية من الباحثين وذوي البصيرة العلمية، رأى أنها بحاجة إلى اعتناء أكثر، واهتمام أمثل يحسنان خدمتها ـ نصًّا وضبطاً، مراجعة وتخريجاً، ترقيماً وتشكيلاً، وتعريفا للأعلام ولاسيما المبهم منهم، وشرح الكلمات الغريبة شرحاً يفيد في فهم النصوص والعبارات. فحثني على هذا العمل النبيل، وتفضل بإعطائي ثلاث رسائل للمؤلف التي حواها هذا المجموع.

وفقني الله بمراجعته، ويسر لي خدمتها كالتالي:

١ ـ ضبط النص إملاء مع توزيع فقراته، يُيسِّر الانتفاع منه، ووضع علامات الترقيم المساعدة في توضيح الكلام مع إعجام ما أشكل منه.

٢ ـ عزو الآيات إلى سورها في القرآن الكريم، وذكرها في الهامش دون الأصل خشية الاختلاط.

٣ ـ تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية التي استقى منها المؤلف ـ رحمه الله ـ تخريجاً علميًّا بذكر الجزء والصفحة، واسم الكتاب الذي ورد فيه هذا الحديث. مع عناية التوسع والزيادة على ما عزى إليه المؤلف حسبما يقتضي المقام. وبيان درجتها في ضوء ما قاله العلماء، واستكمال نص الحديث المستشهد به إتماماً للفائدة.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة فيه ترجمة موجزة ولاسيما المبهمين، ومن لم يُذْكر باسمه الكامل والمعروف.

٥ ـ شرح الكلمات الغريبة؛ لئلا يبقى الغموض في فهم النصوص.

٦ ـ وضع فهارس متنوعة، تساعد في معرفة مادة مطلوبة من الكتاب.

٧ ـ تعريف المؤلِّف، والمؤلَّف باختصار في أول الكتاب.

هذا، وأشكر الله ـ عز وجل ـ ثم من أعانني في إنجاز العمل وأرجو الله العفو من الزلل في الدنيا، وغفران الذنوب يوم الحساب، وأسأله أن يتقبل جهود المؤلف، ويضاعف له الأجر والمثوبة، وأن يوفقني وجميع المسلمين الانتفاع بتعاليم الدين، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي التي تضمنت هذا الكتاب، وما سواه. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الراجي عفو ربه
أبو عبدالله محمد بدن صاحب العمري
بالرياض في اليوم السادس من شهر صفر
سنة ألف وسبعمائة وسبعة عشر من الهجرة.

الرسالة الأولى

اختيار الأولى

في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى

للإمام الحافظ الفقيه أبي الفرج عبدالرحمن
ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي
(٧٩٥هـ)

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه:

محمد العمري أبو عبدالله

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد: فهذه أحد رسائل الإمام العظيم، الحافظ البارع، الواعظ البليغ العلامة عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن محمد أبو الفرج البغدادي، الشهير بابن رجب الحنبلي ـ تغمده الله بواسع رحمته وعظيم مغفرته ـ في فضائل الأعمال والأسباب المكفِّرة للذنوب، ورفع الدرجات: الأمور التي يريدها بل يتمناها كل امرىء مسلم للتجوز يوم الحساب، والنجاة من النار، والفوز بجنة الفردوس الأعلى، ونعيم الخلد، ونيل رضا الله ـ عز وجل ـ.

فهذه هدية مباركة، وإرشادات قيمة من المؤلف إلى الأمة الإسلامية، جامعة لخيرات كثيرة، وكنوز ثمينة لا يستغني عنها المسلمون. تحمل في طياتها شرح حديث: اختصام الملأ الأعلى بغزارة علمه، وسعة اطلاعه، وقوة استدلاله، مستنبطاً مسائل عظيمة، مدعماً بتوجيهات عالية، في ضوء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال مأثورة مع أدلة عقلية، وبراهين ساطعة بأسلوب علمي رصين يخاطب العقل والروح ويُزَكِّيهما.

ساق المؤلف المعلومات بعبارة سهلة وواضحة، ولغة وعظ وإرشاد وحكمة تشتاق إليها النفوس، فحري أن يطلع عليه ويقتنيه كل فرد وأسرة؛ ليكون لهم مشعلاً في سبيل الأعمال الصالحة، ندعو الله التوفيق والسداد.

ثم أقول: قال الإمام المؤلف ـ رحمه الله ـ:

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ورسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

خرَّج الإمامُ أحمدُ - رحمه الله تعالى - من حديث مُعاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة في صلاة الصبح، حتى كِدْنا نتراءى قَرْنَ الشمسِ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ سريعاً، فَثَوَّبَ بالصلاة، وصلَّى، وتَجوَّزَ(١) في صلاتِه، فلما سلَّم قال: «كَمَا(٢) أنتُمْ على مَصَافِّكمْ»، ثم أقبل علينا، فقال: «إنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنكُمُ الغَدَاةَ، إنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لي، فَنَعِسْتُ في صَلاتِي حتَّى اسْتَثْقَلْتُ، فَإذَا أنَا بِرَبِّي - عَزَّ وجَلَّ - في أحْسَنِ صُورَةٍ(٣)، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! [أتَدْرِي](٤) فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأعْلَى(٥)؟ قُلْتُ: لا أدْري يَارَبِّ. قَالَ: يا مُحَمَّد! فيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعْلَى؟ قُلْتُ: لا أدْري يارَبِّ. قَالَ: يا مُحَمَّد! فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأعْلَى؟ قُلْتُ: لا أدْري يارَبِّ. فَرَأيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بيْنَ كَتِفَيَّ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أنامِلِهِ في صَدْري، وتَجلَّى لي كُلُّ شَيءٍ، وَعَرَفْتُ،

---

(١) أي خففها، وقلَّلها. ومنه الحديث: «تجوزوا في الصلاة» أي خفِّفوها وأسرعوا بها. النهاية ١/ ٣١٥.

(٢) أي استمروا على ما أنتم عليه.

(٣) قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته... فيكون المراد بما جاء في الحديث. أنه أتاه في أحسن صفة. ويجوز أن يعود المعنى إلى النبي ﷺ: «أي أتاني ربي وأنا في أحسن صورة... وأما إطلاق ظاهر الصورة على الله - تعالى - فلا! انظر النهاية (٣/ ٥٨ - ٥٩).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من مسند أحمد (٥/ ٢٤٣).

(٥) الملأ: أشراف الناس ورؤساؤهم، ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم. والمراد بالملأ الأعلى: الملائكة المقربين. انظر النهاية (٤/ ٣٥١).

فَقالَ: يَا مُحَمَّدُ! فيمَ يَخْتَصِمُ الملأ الأعْلى؟ قُلْتُ: في الكَفَّاراتِ والدَّرَجات. قَالَ: ومَا الكَفَّاراتُ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الأقْدام إلى الجُمُعَاتِ، وجُلُوسٌ في المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وإسْباغُ الوُضُوءِ عِنْدَ الكَريهَاتِ، قالَ: وَما الدَّرَجاتُ؟ قُلْتُ: إطْعامُ الطَّعام، ولينُ الكَلام، والصَّلاةُ والنَّاسُ نِيَامُ. قَالَ: سَلْ؟ قُلْتُ: اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وتَرْكَ المُنْكَراتِ، وحُبَّ المَسَاكين، وأنْ تَغْفِرَ لي وتَرْحَمَني، وإذا أرَدْتَ فِتْنَةً في قَوْم فتَوَفَّني غَيْرَ مَفْتُونٍ، وأسْألُكَ حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يُحبُّكَ، وحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُني إلى حُبِّكَ».

وقالَ رسُولُ الله ﷺ: «إنَّها حَقٌّ فادْرُسُوها، وتَعَلَّمُوها»[(١)].

وخَرَّجهُ التُّرمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. قال: وسألتُ محمد بنَ إسماعيل - يعني البخاري - عن هذا؟ فقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[(٢)].

قلتُ: في إسنادهِ اختِلافٌ: له طرقٌ متعدِّدَةٌ، وفي بعضها زيادةٌ ونقصانٌ. وقد ذكَرتُ عامة أسانيده؛ وبعض ألفاظِه المختلفة في كتابي: «شرح الترمذي».

وفي بعض ألفاظه عند الإمام أحمد[(٣)]، والترمذي[(٤)] أيضاً: «المشي على الأقْدَامِ إلى الجمَاعاتِ» بدل «الجُمُعَاتِ».

وفيه أيضاً عندهما بعد ذكر الكفارات زيادة: «ومَنْ فَعَلَ ذلكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَماتَ بخَيْرٍ، وكانَ منْ خطيئَتِهِ كَيَوْمِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ»[(٥)].

---

(١) انظر مسند أحمد (٥/ ٢٤٣) حيث رواه من طريق مالك بن يخامر عن معاذ به. ومن طريقه أيضاً رواه الترمذي في سننه (٥/ ٤٦ - ٤٧ح ٣٢٨٨ تفسير سورة ص) وقال: حسن صحيح. وحكى عن البخاري صحته كما ذكره المؤلف. وللحديث شواهد كثيرة. انظر مجمع الزوائد (١/ ٢٤٢ - ٢٤٣)، (٧/ ١٧٩ - ١٨٠). إرواء الغليل (٣/ ١٤٧ - ١٤٨ح ٦٨٤).

(٢) انظر السنن له (تفسير سورة ص حديث ٣٢٨٨). ولم أجد فيه قول البخاري: حسن.

(٣) في المسند (٤/ ٦٦)، (١/ ٣٦٨).

(٤) في السنن (٥/ ٤٧).

(٥) انظر: مسند أحمد (١/ ٣٦٨)، سنن الترمذي (٥/ ٤٥ح ٣٢٨٦). حديث ابن عباس - رضي الله =

وفيه أيضاً عندهُما: «والدَّرجاتُ: إفْشَاءُ السَّلَامِ»(*) بدل «لينِ الكَلام».

وفي بعض رواياته: «فَعَلِمْتُ مَا في السَّموَاتِ والأرْضِ، ثُمَّ تلا ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾»[1].

وفي رواية أخرى: «فتَجَلَّى لي مَا بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ»[2].

وفي رواية: «مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ».

وفي بعضها زيادةٌ في الدعاء الذي فيه، وهي: «وتَتُوبَ عليَّ».

وفي بعضها: «إسْبَاغَ الوُضُوءِ في السَبَراتِ»(*)(*)

وفي بعضها: «يَا مُحَمَّدُ! إذَا صَلَّيْتَ. فَقُلْ: اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ فِعْلَ الخَيْراتِ» فذكره.

* * *

والمقصود هاهنا شرح الحديث، وما يستنبط منه من المعارِفِ والأحكامِ، وغير ذلك.

ففي الحديثِ دلالةٌ على أن النبيَّ ﷺ لم يكن من عادته تأخيرُ صلاة الصبحِ إلى قرب طلوع الشمس، وإنما عادته: التغليس[3] بها، وكان أحياناً يسْفِر بها عند انتشار الضوء على وجه الأرض، وأما تأخيرها إلى قريب طلوع الشمس، فلم يكن من عادته. ولهذا اعتذر لهم عنه في هذا الحديث.

وقد قيل: إن تأخيرها إلى هذا الإسفار الفاحش لا يجوز لغير عذر، وإنه

= عنهما ـ.

* مسند أحمد (١/ ٣٦٨). سنن الترمذي (٥/ ٤٥ ح ٣٢٨٦) حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(١) الآية ٧٥ من سورة الأنعام، وهذا جزء من حديث رواه أحمد (٥/ ٣٧٨).

(٢) مسند أحمد (٥/ ٣٧٨).

* * السبرات جمع السبرة: وهي الشدة. كما سيأتي ـ إن شاء الله ـ شرحه عند المؤلف في ص ٣٥.

(٣) التغليس: الصلاة بغلَس. وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. وفي الحديث: أن النبي ﷺ كان يصلي الصبح بغلس. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٥٨).

وقت ضرورة، كتأخير العصر إلى بعد اصفرار الشمس، وهو قول القاضي[1] من أصحابنا في بعض كتبه. وقد أومأ إليه الإمام أحمد، وقال: هذه صلاة مفرِّط، إنما الإسفار أن ينتشر الضوء على الأرض.

وفي الحديث دلالة على أن من أخر الصلاة إلى آخر الوقت؛ لعذر أو غيره وخاف خروج الوقت في الصلاة، إن طولها أن يخففها حتى يدركها كلها في الوقت.

وأما قول أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لما طوّل في صلاة الفجر، وقرأ بـ (البقرة)، فقيل له: كادت الشمس أن تطلع، فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين[2].

فإن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لم يتعمد التأخير إلى طلوع الشمس، ولا أن يمدها ويطيلها حتى تطلع الشمس؛ لأنه دخل فيها بغلس، وأطال القراءة، وربما كان قد استغرق في تلاوته، فلو طلعت الشمس حينئذ لم يضره؛ لأنه لم يكن متعمداً لذلك. وهذا يدل على أنه كان يرى صحة الصلاة لمن طلعت عليه الشمس، وهو في صلاته، كما أمر النبي ﷺ من طلعت عليه الشمس ـ وقد صلى ركعة[3] من الفجر ـ أن يضيف إليها أخرى.

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف أبو يعلى البغدادي القاضي ابن الفراء الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، صاحب التصانيف المفيدة. مات ٤٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩ ـ ٩٢).

(٢) رواه البيهقي في سننه (١/ ٣٧٩ الصلاة) من طريق قتادة عن أنس بمثله، وفيه: أنه قرأ آل عمران. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٧٦ الصلوات) والمحاملي في صلاة العيدين (الحديث رقم ٢٣ بتحقيقي) من طريق حميد، عن أنس: أن أبا بكر قرأ في العيد بالبقرة. وزاد ابن أبي شيبة: حتى رأيت الشيخ يميل من طول القيام. اهـ. قلت: قوله: يميل كذا وجدته في النسخة المتداولة للمصنف. ولعل صوابه: يملّ. أي يسأم. والله أعلم.

(٣) وهو ما رواه البخاري (١/ ١٤٤ المواقيت) ومسلم (١/ ٤٢٤ح ٦٠٨ المساجد) كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك =

وفي حديث مُعاذٍ دليلٌ على أن من رأى رؤيا تسره، فإنه يُقصُّها على أصحابه، وإخوانه المحبِّين له، ـ ولاسيما ـ إن تضمنت رؤياه بشارة لهم، وتعليماً لما ينفعهم.

وقد كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر يقول لأصحابه: «مَنْ رأى مِنكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْياً؟»[(١)].

وفيه أيضاً أن من استثقل نومه في تهجده بالليل حتى رأى رؤيا تسره، فإن في ذلك بشرى له.

وفي مراسيل الحسن: «إذا نام العبد وهو ساجد، باهى الله به الملائكة يقول: يا ملائكتي! انظروا إلى عبدي: جسده في طاعتي، وروحه عندي».

وفيه دلالة على شرف النبي ﷺ وتفضيله بتعليمه ما في السماء والأرض، وتجلي ذلك له مما تختصم فيه الملائكة في السماء، وغير ذلك، كما أُرِيَ إبراهيمُ ملكوتَ السموات والأرض.

وقد ورد ـ في غير حديث ـ مرفوعاً، وموقوفاً: أنه ﷺ أُعطِيَ[(٢)] علمَ كل شيء خلا مفاتيحَ الغيب[(٣)] الخمس التي اختص الله عز وجل بعلمها، وهي المذكورة في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ

= الصبح. . .» الحديث.

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨١ ح ٢٢٧٥ الرؤيا) من حديث سمرة بن جندب بمعناه. ومن حديثه رواه البخاري أيضاً (٢/ ١٠٤ الجنائز) ولكن بلفظ: «إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: من رأى. . . الحديث». وهو طويل يذكر قصة ما رؤي من أنواع تعذيب العصاة في النار.

(٢) أنه ﷺ أعطي علم كل شيء. رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٤٥) من حديث عبدالله بن مسعود موقوفاً قال: أوتي نبيكم كل شيء إلا مفاتيح الغيب الخمس. . الحديث.

(٣) وانظر حديث مفاتيح الغيب في صحيح البخاري (٢/ ٢٣ الاستسقاء، ٦/ ٢١ تفسير سورة لقمان)، ومسند أحمد ٢/ ١٢٢ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «مفاتيح الغيب خمس»، ثم قرأ: إن الله عنده علم الساعة. . . الآية.

ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[(١)].

وأما وصف النبي ﷺ لربه عز وجل بما وصفه به، فكل ما وصف النبي ﷺ ربه عز وجل به، فهو حقٌ وصدقٌ، يجب الإيمان والتصديق به، كما وصف الله عز وجل به نفسه، مع نفي التمثيل عنه. ومن أشكل عليه فهم شيء من ذلك، واشتبه عليه، فليقل كما مدح الله به الراسخين في العلم، وأخبر عنهم أنهم يقولون عند المتشابه: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[(٢)]. وكما قال النبي ﷺ ـ في القرآن ـ: «وَما جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ». خرجه الإمام أحمد، والنسائي، وغيرهما[(٣)].

ولا يتكلف ما لا علم له به، فإنه يخشى عليه من ذلك الهلكة. سمع ابنُ عباس ـ رضي الله عنهما ـ يوماً من يروي عن النبي ﷺ شيئاً من هذه الأحاديث، فانتفض رجلٌ استنكاراً لذلك، فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما فرق هؤلاء يَجِدُّون رقة عند مُحْكَمِه، ويهلكون عند متشابَهِهِ.

خرَّجه عبدالرزاق في كتابه عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[(٤)].

---

(١) الآية ٣٤ من سورة لقمان.

(٢) الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٣) انظر مسند أحمد (٢/ ١٨١) حديث عبدالله بن عمرو، في سياق قصة تماري بعض الصحابة في آية من القرآن الكريم أمام بيت النبي ﷺ، ولم أجده في المجتبى فلعله في السنن الكبرى للنسائي والله أعلم. قلت: ورواه ـ أيضاً ـ عبدالرزاق في مصنفه (١١/ ٢١٦ح ٢٠٣٦٧) وله قصة: أن رسول الله ﷺ لقي قوماً يتدارءون في القرآن. . . وفيه «فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه».

(٤) لم اهتد إليه في مصنف عبدالرزاق، إنما أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٨٥) من طريق محمد بن ثور عن معمر به، عن ابن عباس قال: حدث رجل بحديث أبي هريرة فانتفض. قال ابن عباس: ما بال هؤلاء يجدون. . . الحديث. قال الألباني: إسناده صحيح، رجاله ثقات على شرط مسلم غير ابن ثور، واسمه محمد، وهو ثقة اتفاقاً، وهو صنعاني. ومثله محمد بن عبدالأعلى شيخ المصنف. توفي ٢٤٥هـ.

فكلما سمع المؤمنون شيئاً من هذا الكلام، قالوا: هذا ما أخبرنا الله ورسوله ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[1].

وفيه دلالة على أن الملأ الأعلى، وهم الملائكة أو المقربون منهم، يختصمون فيما بينهم، ويتراجعون القول في الأعمال التي تُقَرِّب بني آدم إلى الله ـ عز وجل ـ وتُكَفِّر بها عنهم خطاياهم. وقد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا، ويدعون لهم.

وفي الحديث الصحيح: «أنَّ الله إذَا أَحَبَّ عَبْداً، نادَى: يَا جِبْرِيلُ! إنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ فُيحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي في السَّماءِ: إنَّ الله يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لهُ القَبُولُ في الأرْضِ»[2].

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: إذا مات ابن آدم، قال الناس: ما خَلَّف؟، وقالت الملائكة: ما قَدَّم[3]؟

فالملائكة يسألون عن أعمال بني آدم، ولهم اعتناء بذلك، واهتمام به.

وبقي الكلام على المقصود من الحديث، وهو ذكر الكفارات والدرجات والدعوات، ونعقد لكل واحدة منها فصلاً مفرداً.

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الأحزاب.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٧٩ بدء الخلق، ٧/ ٨٣ الأدب، ٨/ ١٩٥ التوحيد)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠ح ٢٦٣٧ في البر والصلة) كلاهما من حديث أبي هريرة به.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة. كما ذكره النبهاني في الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (١/ ١٥٤).

الفصل الأول

في ذكر الكفَّارات.

وهو إسباغ الوضوء في الكريهات، ونقل الأقدام إلى الجُمُعات، أو الجماعات، والجلوسُ في المساجد بعد الصلوات. وسميت هذه كفارات؛ لأنها تكفر الخطايا والسيئات، ولذلك جاء في بعض الروايات:

«منْ فَعَلَ ذلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وماتَ بِخَيْرٍ، وكانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أمُّهُ»(١).

وهذه الخصال المذكورة الأغلب عليها تكفير السيئات، ويحصل بها ـ أيضاً ـ رفع الدرجات، كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «ألا أدُلُّكُمْ علَى ما يَمْحُو الله بِهِ الخَطَايَا، ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرجات؟» قالوا: بلى. يا رسول الله! قال: «إسْبَاغُ الوُضُوءِ علَى المَكَارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطَا إلى المَسَاجِدِ، وانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(٢).

وقد رُوِيَ هذا المعنى عن النبي ﷺ من وجوه متعددة.

فهذه ثلاثة أسباب يكفر الله بها الذنوب.

أحدها: الوضوء، وقد دل القرآن على تكفيره الذنوب، في قوله

---

(١) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد (١/٣٦٨)، والترمذي (٥/ ٤٥ ـ ٤٦) رقم (٣٢٨٧) كلاهما من حديث ابن عباس. وهذا لفظ أحمد، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب، من هذا الوجه. اهـ. وتمامه: أن النبي ﷺ قال: «أتاني ربي في أحسن صورة، قال يا محمد! هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى. قلت: «نعم. يختصمون في الكفارات والدرجات». قال: وما الكفارات والدرجات؟ قال: «المكث في المساجد، والمشي على الأقدام إلى الجمعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره. . » الحديث.

(٢) انظر: صحيح مسلم (١/ ٢١٩ ح٢٥١ الطهارة).

ـ عز وجل ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾(١).

فقوله تعالى: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ يشمل طهارةَ ظاهرِ البدن بالماء الطاهر، وطهارة الباطن من الذنوب والخطايا، وإتمام النعمة إنما تحصل بمغفرة الخطايا وتكفيرها، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ﴾(٢).

وقد استنبط هذا المعنى محمد بن كعب القرظي، ويشهد له الحديث الذي خرَّجه الترمذي وغيره عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو، يقول: [اللَّهُمَّ] إنِّي أسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ، فقال: «أتَدْرِي مَا تَمامُ النِّعْمَةِ؟» قال: دعوة دعوت بها، أرجو بها الخير. فقال النبي ﷺ: «إنَّ تَمامَ النِّعْمَةِ: النَّجاةُ مِنَ النَّارِ، ودُخُولُ الجَنَّةِ»(٣).

فلا تتم نعمة الله على عبده إلا بتكفير سيئاته.

وقد تكاثرت النصوص عن النبي ﷺ بتكفير الخطايا بالوضوء، كما في «صحيح مسلم» عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أنه توضأ، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وكَانَتْ صَلاتُهُ وَمَشْيُهُ إلى المَسْجِدِ نَافِلَةً»(٤).

---

(١) الآية ٦ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٢ من سورة الفتح.

(٣) انظر سنن الترمذي (٥/ ٢٠٢ ح٣٥٩٥ الدعوات). وتمامه: ... وسمع رجلاً وهو يقول: ياذا الجلال والإكرام! فقال: «قد استجيب لك فسل»، وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك الصبر. قال: «سألت الله البلاء، فاسأله العافية».

ـ ومحمد بن كعب القرظي أبو حمزة المدني. ولد ٤٠هـ على الصحيح. ووهم من قال: ولد في عهد النبي ﷺ. وهو ثقة عالم. فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة [فترِك]. مات سنة ١٢٠هـ. انظر: التقريب (٢/ ٢٠٣).

(٤) انظر صحيح مسلم (١/ ٢٠٧ ح٢٢٩ الطهارة). رواه حمران مولى عثمان عنه به.

وفيه - أيضاً - عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوضَّأَ، فأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»(١).

وفيه أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ - أَوْ المُؤمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ(٢) مَعَ المَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَعَ الماءِ - أو مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ - حتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»(٣).

وفيه أيضاً عن عمرو بن عبسة، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنكُمْ مِنْ رَجُلٍ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ، ويَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ، إلاَّ خَرَجَتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ(٤) وخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ الله، إلاَّ خَرَجَتْ خَطَايَا وَجْهِه مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِه معَ الماءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إلى المُرْفَقَيْنِ، إلاَّ خَرَجَتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إلاَّ خَرَجَتْ خَطَايَا رأسِهِ منْ أطرَافِ شَعْرِه مَعَ الماءِ، ثمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إلى الكَعْبَينِ إلاَّ خَرَجَتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ منْ أنَامِلِهِ، مَعَ المَاءِ، فإنْ هُو قامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ الله وأَثْنَى عليْه، ومَجَّدَهُ بالذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وفَرَّغَ قَلْبَهُ لله، إلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كهَيئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(٥).

وفي «الموطأ» و«مسند الإمام أحمد» و«سنن النسائي» و«ابن ماجة» عن الصُّنابحي، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُؤمِنُ، فَمَضْمَضَ خَرَجَت الخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتْ الخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَت

---

(١) انظر صحيح مسلم (١/ ٢١٦ ح٢٤٥ الطهارة) حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه -.

(٢) قوله: «بطشتها يداه» أي اكتسبتها. أصل البطش: الأخذ القوي الشديد. النهاية (١/ ١٣٥)، المعجم الوسيط (١/ ٦١).

(٣) انظر صحيح مسلم (١/ ٢١٥ح ٢٤٤ الطهارة) من طريق أبي صالح عنه.

(٤) فيه أي فمه.

(٥) انظر صحيح مسلم (١/ ٥٧٠ح ٨٣٢ صلاة المسافرين وقصرها) إلا أنه قال: «خرت» بدل «خرجت».

الخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ، حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ(١)، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حتَّى تخرُجَ منْ تَحْتِ أَظْفارِ يَدَيْهِ فَإذا مَسَحَ بِرأْسِهِ خَرَجَتْ الخطَايَا مِنْ رأْسِهِ حتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحْتِ أظفَارِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إلى المَسْجِدِ وَصَلاتُهُ نَافِلَةً»(٢).

وفي «المسند» عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِم يَتَوَضَّأ ويَغْسِلُ يَدَيْهِ، ويُمَضْمِضُ فَاهُ، ويَتَوَضَّأ كَمَا أُمِرَ إلاَّ حَطَّ الله عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ما نَطَقَ به فَمُهُ، ومَا مَسَّ بِيَدَيْهِ، ومَا مَشى إِلَيْهِ حتَّى إنَّ الخطَايَا تَحَادَرُ مِنْ أَطْرَافِهِ، ثُمَّ إذَا هُوَ مَشَى إلى المَسْجِدِ، فَرِجْلٌ تَكتُبُ حَسَنةً، وأُخْرَى تَمْحُو سَيِّئةً»(٣).

وفيه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ قامَ إلى وضُوئِهِ يُرِيدُ الصَّلاةَ، ثُمَّ غَسَلَ كَفَّيْهِ نزلَتْ خَطِيئَتُهُ منْ كَفَّيْهِ معَ أَوَّلَ قَطْرَةٍ، فإذَا مَضْمَضَ واسْتنشَقَ وأستَنْثَرَ نزلَتْ خَطيئَتُهُ منْ لِسانِهِ، وشَفَتَيهِ معَ أَوَّل قَطرَةٍ، فإذا غسَلَ وجهَهُ نزلَتْ خطيئَتُهُ من سَمْعِهِ وبَصَرِهِ معَ أَوَّلِ قطْرَةٍ، فإذَا غسَلَ يَدَيْهِ إلى المِرفَقَيْن ورِجْلَيْهِ إلى الكَعْبينِ سَلِمَ منْ كُلِّ ذَنْبٍ هوَ لَهُ، ومِنْ كلِّ خطيئَةٍ كَهَيئَتِهِ يومَ ولَدَتْهُ أُمُّهُ، فإذَا قامَ إلى الصَّلاةِ رَفَعَ

(١) قوله: «أشفار عينيه» مفرده: شُفر بالضم، وقد يفتح: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. النهاية (٢/ ٤٨٤).

(٢) انظر «الموطأ» (١/ ٣١ الطهارة) و«المسند» (٤/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) و«سنن النسائي» (١/ ٧٤ ـ ٧٥ الطهارة) و«سنن ابن ماجة» (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤ح ٢٨٢ الطهارة). وهو حديث صحيح كما قاله الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٦٢.

والصنابحي هو عبدالرحمن بن عُسَيلة أبو عبدالله المرادي. من كبار التابعين. قدم المدينة بعد موت النبي ﷺ بخمسة أيام، وروى عنه مرسلاً، مات في خلافة عبدالملك. انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)، وتقريب التهذيب (١/ ٤٩١).

(٣) لم أجده في المسند للإمام أحمد، وإنما رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٢٥ ـ ٢٥٦ ح ٧٩٩٥) من طريق لقيط أبي المشاء عن أبي أمامة به إلا قوله: «لمَحو» فورد عنده تُمْحي. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٢٨/١ وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه لقيط أبو المساور روى عن أبي أمامة، وروى عنه الجريري، وقرة بن خالد، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطىء ويخالف. اهـ. وساق له الطبراني طرقاً كثيرة بألفاظ عديدة. وذكره الهيثمي أيضاً بألفاظ مختلفة. وطرق كثيرة عن أبي أمامة.

بها دَرَجَتَهُ، وإنْ قَعَدَ سَالِماً»[١].

وفي المعنى أحاديث أُخر، وفيما ذكرناه كفاية. ولله الحمد والمنة.

وقد وردت النصوص أيضاً بحصول الثواب على الوضوء، وهذا زيادة على تكفير السيئات.

ففي «صحيح مسلم» عن عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأ، فَأحسَنَ الوُضوءَ، ثمَّ قالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، فُتِحَتْ لهُ أبْوابُ الجنَّةِ الثَّمانيةِ يَدْخُلَ منْ أيِّها شَاءَ»[٢].

وفيه أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «تَبْلُغُ الحِلْيَةُ منَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضوءُ»[٣].

وفيه أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «أنْتُمُ الغُرُّ المُحَجَّلُونَ منْ إسْبَاغِ الوُضُوءِ»[٤].

وخرّجه البخاري، ولفظه: «إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلينَ مِنْ أثرِ الوُضُوءِ»[٥].

واعلم أن حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - في المنام إنما فيه ذكر إسباغ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٣). وقال الهيثمي في «المجمع» ١/ ٢٢٢: رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، من حديث أبي أمامة، وفي إسناد أحمد: عبدالحميد بن بهرام عن شهر، واختلف في الاحتجاج بهما، والصحيح أنهما ثقتان، ولا يقدح الكلام فيهما.

(٢) انظر صحيح مسلم (١/ ٢١٠ ح٢٣٤ الطهارة)، وأوله: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء...».

(٣) انظر صحيح مسلم (١/ ٢١٩ ح٢٥٠ الطهارة).

(٤) انظر صحيح مسلم (١/ ٢١٦ ح٢٤٦ الطهارة).

(٥) رواه البخاري (١/ ٤٣ الوضوء) من حديث أبي هريرة بزيادة: «... فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل».

الوضوء على الكريهات، وكذا في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ المبدوء بذكره في هذا الفصل. فههنا أمران:

أحدهما: إسباغ الوضوء، وهو إتمامه وإبلاغه مواضعَه الشرعية، كالثوب السابغ المغطّي للبدن.

وفي «مسند البزار» عن عثمان مرفوعاً: «مَنْ تَوَضَّأَ فأَسْبَغَ الوُضُوءَ غُفِرَ لَهُ ما تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ومَا تأخَّرَ»(١). وإسناده لا بأس به.

وخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ(٢).

وخرج النسائي وابن ماجه من حديث أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إسْبَاغُ الوُضوءِ شَطْرُ الإيْمانِ»(٣).

وخرجه مسلم ولفظه: «الطَّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ»(٤).

وثانيهما: أن يكون إسباغه على الكريهات، والمراد أن يكون على حالةٍ تكْرَهُ النفس فيها الوضوء، وقد فُسِّر بحال نزول المصائب، فإن النفس حينئذ تطلب الجزع، فالاشتغال عنه بالصبر، والمبادرة إلى الوضوء والصلاة من علامة الإيمان، كما قال الله عز وجل: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾(٥). وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟

---

(١) انظر مسند البزار المسمى بالبحر الزخار (٢/ ٨٥ ح٤٣٧). قال الهيثمي في «المجمع» ١/ ٢٣٦: رواه البزار ورجاله موثقون، والحديث حسن إن شاءالله تعالى، ولفظه: «لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر الله له...» الحديث.

(٢) خرّجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ١٣٣ رقم ١٥٠) من طريق حمران عن عثمان مرفوعاً: «لا يسبغ عبد الوضوء.. الحديث» وهو صحيح إن شاءالله.

(٣) انظر سنن النسائي (٥/ ٥ الزكاة)، وابن ماجة رقم (١/ ١٠٢ح ٢٨٠ الطهارة وسننها) وهو حديث صحيح، وتمامه: «والحمد لله ملء الميزان، والتسبيح والتكبير ملء السماوات والأرض، والصلاة نور، والزكاة برهان...» الحديث.

(٤) انظر صحيح مسلم (١/ ٢٠٣ح ٢٢٣ الطهارة).

(٥) الآية ٤٥ من سورة البقرة.

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ﴾(١).

والوضوء مفتاح الصلاة، وقد يُطْفَؤُ به حرارةُ القلب الناشئة عن ألم المصائب، كما يؤمر مَنْ به غَضَبٌ بإطفاء غضبه بالوضوء.

وفُسِّرتِ الكريهات بالبرد الشديد، ويَشْهَدُ له أن في بعض روايات حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ «إِسْباغُ الوُضُوءِ عَلى السَّبَرَاتِ».

والسبرة: شدة البرد. ولا ريب أن إسباغ الوضوء في البرد يشق على النفس وتتألم به، وكل ما يؤلم فيه صنع ولا تسبب، كالمرض وغيره كما دلت النصوص الكثيرة على ذلك.

وأما إن كان ناشئاً عن فعل هو طاعة الله تعالى، فإنه يكتب لصاحبه به أجر، وترفع به درجاته، كالألم الحاصل للمجاهد في سبيل الله تعالى، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .﴾(٢). وكذلك الجوع في البرد، ويجب الصبر على الألم بذلك، فإن حصل به رضا فذلك مقام خواص العارفين المحبين.

وينشأ الرضا بذلك على ملاحظة أمور:

أحدها: تَذَكُّر فضل الوضوء من حطِّه الخطايا، ورفعِه للدرجات، وحصول الغرة والتحجيل به، وبلوغ الحلية في الجنة إلى حيث يبلغ.

وهذا كما انكسر ظفر بعض الصالحات من السلف من عثرة عثرتها فضحكت، وقالت: أنساني حلاوة ثوابه مرارة وجعه!.

وقال بعض العارفين: من لم يعرف ثواب الأعمال، ثقلت عليه في جميع الأحوال.

---

(١) الآية ١٥٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٢٠ من سورة التوبة.

الثاني: تَذَكُّر ما أعده الله ـ عز وجل ـ لمن عصاه من العذاب بالبرد والزَّمْهَرير، فإن [شدة] بردِ الدنيا يُذكِّر زمهرير جهنم.

وفي الحديث: «إنَّ أشَدَّ ما تَجِدُونَ من البَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّم»(١).
فملاحظة هذا الألم الموعود يهون الإحسان بألم برد الماء.

كما روي عن زبيد اليامي(٢) أنه قام ليلة للتهجد، والبردُ شديدٌ، فلما أدخل يده في الإناء وجد شدة برده، فذكر زمهرير جهنم، فلم يشعر ببرد الماء بعد ذلك، وبقيت يده في الماء حتى أصبح. فقالت له جاريته: مالك لم تصل الليلة كما كنت تصلي؟ فقال: إني لما وجدت شدة برد الماء ذكرت زمهرير جهنم، فما شعرت به حتى أصبحت، فلا تخبري بهذا أحداً ما دمت حيًّا.

الثالث: ملاحظة جلال من أمر بالوضوء، ومطالعة عظمته وكبريائه، وتذكر القيام بين يديه، ومناجاته في الصلاة، فذلك يهوّن كل ألم ينال العبد في طلب مرضاته من برد الماء وغيره، وربما لم يشعر بألمه بالكليّة، كما قال بعض العارفين: بالمعرفة هانت على العاملين: العبادة.

قال سعيد بن عامر(٣): بلغني أن إبراهيم الخليل ﷺ كان إذا توضأ سمع لعِظَامِه قَعقَعَةً(٤).

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٣٥ مواقيت الصلاة ٤/ ٨٩ بدء الخلق)، ومسلم (١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢ح ٦١٧ المساجد) من حديث أبي هريرة مرفوعاً. وتمامه: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربِّ! أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفَسين: نفَس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما ترون من الزمهرير».

(٢) هو زبيد بن الحارث اليامي الكوفي الحافظ. أحد الأعلام. من صغار التابعين، وقد رأى الصحابة، وقال شعبة: ما رأيت رجلاً خيراً من زبيد. مات ١٢٢هـ. سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٦).

(٣) هو سعيد بن عامر أبو محمد البصري الزاهد الحافظ. ولد ١٢٠هـ. هو ثقة مأمون. أثنى عليه كثير من العلماء، مات ٢٩٠هـ. انظر: السير (٩/ ٣٨٥ـ ٣٨٧).

(٤) قعقعة: حركة الشيء يسمع له صوت. النهاية (٤/ ٨٨).

وكان علي بن الحسين[١] إذا توضأ اصفرَّ لونه، فيقال له: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي مَنْ أريد أن أقوم؟

وكان منصور بن زاذان[٢] إذا فرغ من وضوئه يبكي حتى يرتفع صوته، فقيل له: ما شأنك؟ فقال: وأي شيء أعظم من شأني، إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم، فلعله يرضى عني.

وكان عطاء السَّلِيمِي[٣] إذا فرغ من وضوئه ارتعد وانتفض، وبكى بكاءً شديداً، فقيل له في ذلك؟ فقال: إني أريد أن أتقدم إلى أمر عظيم، إني أريد أن أقوم بين يدي الله عز وجل.

الرابع: استحضار اطلاع الله ـ عز وجل ـ على عبده في حال العمل له، وتحمل المشاق لأجله، فمن يتيقن أن البلاء بعين من يحبه، هان عليه الألم، كما أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٤]. وقوله تعالى لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[٥].

وقال ﷺ: «اعْبُدِ الله كأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاك»[٦].

---

(١) هو علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب زين العابدين، ثقة ثبت عابد فقيه، فاضل مشهور، مات ٩٣هـ. انظر: التقريب (٢/ ٣٥).

(٢) هو منصور بن زاذان الواسطي أبو المغيرة الثقفي. ثقة ثبت عابد. مات ١٢٩هـ. تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٥).

(٣) البصري العابد. من صغار التابعين، كان قد أرعبه فرط الخوف من الله، مات بعد ١٤٠هـ. السير ٦/ ٨٦.

(٤) الآية ٤٨ من سورة الطور.

(٥) الآية ٤٦ من سورة طه.

(٦) رواه البخاري (١/ ١٨ الإيمان)، ومسلم (١/ ٣٩ح ٩ الإيمان)، كلاهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ به في حديث جبريل المشهور.

قال أبو سليمان[١]: قرأت في بعض الكتب، يقول الله عز وجل: بعيني! ما تحمل المتحملون من أجلي، وكابد المكابدون في طلب مرضاتي، فكيف بهم وقد صاروا في جواري، وتبجحوا[*] في رياض خلدي؟ فهنالك فليبشر المصفون لله أعمالهم بالمنظر العجيب من الحبيب القريب، أترون أني أضيع لهم عملاً؟ فكيف وأنا أجود على المولّين عني، فكيف بالمُقْبلين إليّ[٢]؟

فإسباغ الوضوء في البرد، لاسيما في الليل، يطلع الله عليه ويرضى به، ويباهي به الملائكة، فاستحضار ذلك يهون ألمه.

وفي «المسند» و«صحيح ابن حبان» عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ أَحَدُهُما منَ الليْلِ يُعالج نَفْسَهُ إلى الطُّهُورِ، وعَلَيْهِ عُقَدٌ، فَيَتَوضَّأ، فإذَا وَضَّأ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وإذَا وَضَّأ وَجهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وإذَا مَسَحَ رَأسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وإذَا وَضَّأ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيقُولُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ للذِي وَرَاء الحِجَابِ: انْظُرُوا إلى عَبْدِي هَذَا يُعَالجُ نَفْسَهُ، مَا سَألَني عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ...» وذكر بقية الحديث[٣].

وروى عطية، عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ يَضْحَكُ إلى ثَلاثَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ قَامَ منْ جَوْفِ الليْلِ، فأحْسَنَ الطُّهُورَ فَصَلَّى...» وذكر

---

(١) هو عبدالرحمن بن أحمد أبو سليمان الداراني، الإمام الكبير زاهد العصر. ولد في حدود ١٤٠هـ. مات ٢١٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢ ـ ١٨٦).

(٢) هذا الأثر رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٥٥) من طريق أحمد ابن أبي الحواري عنه بمثله. والأثر طويل عنده.

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٩)، وابن حبان في صحيحه رقم (١٠٥٢ كتاب الطهارة). كلاهما من طريق أبي عشانة عنه به وله قصة. قال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٢٩): رواه أحمد والطبراني في الكبير، وزاد فيه: سمعت النبي ﷺ يقول: «من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم». وزاد: «رجال من أمتي يقوم أحدهم من الليل» فذكره، وله سندان عندهما رجال أحدهما ثقات.

(*) تبجحوا: أي فرحوا. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٣٨.

الحديث[١].

وكان بعض السلف له وِرْد بالليل، ففتر عنه[٢]، فهتف[٣] به هاتف:

بِعَيْنِ الله في اللَيْلِ لِمَا يَصْنَعُ خُدَّمُهْ
إذا قَامُوا وَحَثَّهُم على الخدمة أحْكامُهْ

الخامس: الاستغراق في محبة من أمر بهذه الطاعة، وأنه يرضى بها ويحبها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[٤]. فمن امتلأ قلبه من محبة الله عز وجل أحب ما يحبه، وإن شق على النفس، وتألمت به. كما يقال: المحبة تهوّن الأثقال.

وقال بعض السلف في مرضه: أحبه إليَّ أحبه إليه.

وكما قيل:

فَمَا لِجُرْحٍ إذا أرْضَاكُمُ ألَمُ.

وكما قيل:

فـي حُبِّكُـمْ يَهـونُ مـا قَـدْ ألْقَـى مـا يَسعَـدُ بـالنَّعِيـمِ مَـنْ لا يَشْقَـى

من خدم من يحب تلذذ بشقائه في خدمته.

وقال بعضهم: القلب المحب لله يحب النصب له.

وقال عبدالصمد: أوجد لهم في عذابه عذوبة.

* * *

إسباغ الوضوء على المكاره من علامات المحبين، كما في كتاب: «الزهد» للإمام أحمد، عن عطاء بن يسار قال: قال موسى ـ عليه السلام ـ: يا رب! مَن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٠)، وتمامه: «والقوم إذا صفوا للقتال» اهـ. ولم يرد ذكر الأمر الثالث. وضعفه الألباني. انظر: ضعيف الجامع (٢٦١٠) والسلسة الضعيفة (٣٤٥٣).

(٢) فتر عنه أي قصَّر فيه. المعجم الوسيط (٢/ ٦٧٢).

(٣) هتف أي صاح مادًّا صوته. المعجم الوسيط (٢/ ٩٧١).

(٤) الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.

أَهْلُكَ الذين هم أَهْلُك الذين تُظِلُّهم في ظل عرشك؟ قال: هم البريئةُ أياديهم، الطاهرةُ قلوبُهم، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذُكِرْت ذكروا بي، وإذا ذكروا ذَكَرْت بذكرهم: الذين يسبغون الوضوء في المكاره، وينيبون إلى ذكري، كما تنيب النسور إلى أوكارها، ويَكْلَفُون بمحبتي كما يَكْلَفُ الصبي بحب الناس، ويغضبون لمحارمي إذا استُحِلَّتْ، كما يغضب النَّمِر إذا حرب.

وقد يخرق الله العادة لبعض المحبين له، فلا يجد أَلَمَ بردِ الماء كما كان بعض السلف قد دعا الله أن يُهَوِّن عليه الطُّهورَ في الشتاء، فكان يؤتى بالماء، وله بخار.

وربما سلب بعضهم الإحساس في الحر والبرد مطلقاً.

وكان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد دعا له النبي ﷺ أن يُذهِبَ الله عنه الحرّ والبرد، فكان يلبس في الصيف لباسَ الشتاء، وفي الشتاء لباسَ الصيف. وقال النبي ﷺ فيه: «إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ»(١).

ورأى أبو سليمان الداراني في طريق الحج في شدة برد الشتاء شيخاً عليه أخلاق رثة(٢)، وهو يرشح عرقاً، فسأله عن حاله، فقال: إنما الحرُّ والبردُ خَلْقَانِ لله ـ عز وجل ـ فإن أمرهما أن يغشياني أصاباني، وإن أمرهما أن يتركاني تركاني. وقال: أنا في هذه البرية [منذ] ثلاثين سنة يلبسني في البرد فيحاً(٣) من محبته، ويلبسني في الصيف برداً من محبته.

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه (١/ ٤٣ ـ ٤٤ح ١١٧ المقدمة ـ فضل علي بن أبي طالب) من طريق ابن أبي ليلى عن علي. وقال البوصيري في الزوائد: إسناده ضعيف. ابن أبي ليلى ضعيف الحفظ، لا يحتج بما ينفرد به.

وأما أصل الحديث بدون هذه القصة فثابت رواه البخاري (٤/ ٢٠٧ فضائل الأصحاب. مناقب علي). ومسلم (٤/ ١٨٧١ح ٢٤٠٤ فضائل الصحابة). وفيه: «لأعطين الراية» أو «ليأخذن الراية رجل يحب الله...» الحديث.

(٢) أي ثياب بالية رديئة. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٥٢، ٣٢٨).

(٣) الفيح شدة الحر. المعجم الوسيط (٢/ ٧٠٧).

وقيل لآخر وعليه خرقتان في برد شديد: لو استترت في موضع يكنُّك من البرد فأنشد:

ويَحْسُنُ ظَنِّي أنَّني في فِنائِهِ وهَلْ أحد في كِنِّهِ[١] يَجِدُ البَرْد

* * *

السبب الثاني من مكفرات الذنوب: المشي على الأقدام إلى الجماعات وإلى الجُمُعات، ولاسيما إن توضأ الرجل في بيته، ثم خرج إلى المسجد لا يريد بخروجه إلا الصلاة فيه.

كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «صلاةُ الرَّجُلِ في الجَمَاعةِ تَضْعُفُ علَى صَلاتِهِ في بيْتِهِ وفِي سُوقِهِ خَمْساً وعِشرينَ ضِعْفاً، وذلِكَ أنَّهُ إذا تَوضَّأ فأحْسَنَ الوُضُوء، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لهُ بِهَا دَرَجةٌ وحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فإذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الملائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ: اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، ولا يَزَالُ أحَدُكُمْ في صَلاةٍ ما انْتَظَرَ الصَّلاةَ»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال في: «مَنْ تَطَهَّرَ في بيْتِهِ ثُمَّ مَشى إلى بيْتٍ منْ بيُوتِ الله لِيَقْضِي فَرِيضَةً منْ فرائِضِ الله، كانَتْ خُطُواتُه إحْداهُمَا تَحُطُّ خَطِيئةً، والأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»[٣].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «كُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ»[٤].

---

(١) الكِنُّ الكنان وكل ما يرد الحر والبرد من الأبنية ونحوها. المعجم ٢/ ٨٠٢.

(٢) انظر صحيح البخاي (١/ ١٥٨ ـ ١٥٩ الأذان). وصحيح مسلم (١/ ٤٥٩ح ٦٤٩ المساجد).

(٣) انظر صحيح مسلم (١/ ٤٦٢ح ٦٦٦ المساجد).

(٤) لم أجده في الصحيحين، وإنما وجدته مرويًا عند أحمد في المسند ٢/ ٣١٢ من طريق همام عنه، وصدره: «الكلمة اللينة صدقة».

وفي «المسند» و«صحيح ابن حبان» عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ ثُمَّ أتى المَسْجِدَ يَرْعَى الصَّلاةَ، كَتَبَ لَهُ كاتِباهُ بِكُلِّ خُطْوةٍ يَخْطُوهَا إلى المَسْجِدِ عَشْرَ حَسَناتٍ»[١].

و«فيهما» أيضاً عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَاحَ إلى مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ فَخُطْوَتاهُ: خُطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً، وخُطْوَةٌ تَكْتُبُ حَسَنَةً ذاهِباً ورَاجِعاً»[٢].

وفي «سنن أبي داود»[٣]. عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّراً إلى صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ فأجْرُهُ كأجْرِ الحاجِ المُحْرِمِ».

و«فيه»[٤] - أيضاً - عن رجل من الأنصار، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأ فأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى الصَّلاةِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمَهُ اليُمْنَى إلاَّ كَتَبَ الله لَهُ بها حَسَنَةً، ولَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ اليُسْرَى إلا حَطَّ الله عَنْهُ بِها خَطِيئَةً، فَلْيُقَرِّبْ أوْ لِيُبْعِدْ، فإنْ أتى المَسْجِدَ فَصَلَّى في جَمَاعَةٍ غُفِرَ لَهُ».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

* * *

(١) رواه أحمد ٤/ ١٥٧، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٩٣ ح ٢٠٤٥ الصلاة) من طريق أبي عشانة عنه به. وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط، وفي بعض طرقه ابن لهيعة، وبعضها صحيح. قلت: ورواه الحاكم (١/ ٢١١ الصلاة) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٢) وابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٨٧ ح ٢٠٣٩ الصلاة) كلاهما من طريق أبي عبدالرحمن الحبلي عنه به، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢): رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح، ورجال أحمد فيهم ابن لهيعة. وحسّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٧ ح٤).

(٣) انظر سنن أبي داود (١/ ١٥٣ ح ٥٥٨ الصلاة)، وتمامه: «... ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتب في عليين».

(٤) انظر سنن أبي داود (١/ ١٥٤ ح ٥٦٣ الصلاة) من حديث سعيد بن المسيب مرسلاً، وفي إسناده معبد بن هرمز، وهو مجهول، كما ذكره ابن حجر في التقريب (٢/ ٢٦٣) ولكن يشهد له الحديث الذي قبله. فهو به حسن لغيره. والله أعلم.

والمشي إلى الجُمُعات له مزيد فضل، لاسيما إن كان بعد الاغتسال، كما في «السنن» عن أوس بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ واغْتَسَلَ[1]، وبكَّرَ وابْتَكَرَ[2] ومَشَى ولَم يَرْكَبْ، ودَنَا مِنَ الإمَامِ، واسْتَمَعَ ولَمْ يَلغ، كانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أجْرُ صِيامِهَا وقِيامِهَا»[3].

وكلما بَعُد المكان الذي يمشي منه إلى المسجد كان أفضل؛ لكثرة الخطا.

وفي «صحيح مسلم»[4] عن جابر [بن عبدالله رضي الله عنهما] قال: كانت دارنا نائية عن المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد، فنهانا رسول الله ﷺ وقال: «إنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةٌ».

وفي «صحيح البخاري»[5] عن أنس، أن النبي ﷺ قال: «يا بَنِي سَلْمَةَ: ألا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ».

وفي «الصحيحين»[6] عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ

---

(١) قال ابن حبان: من غسّل: يريد غسل رأسه. واغتسل يريد اغتسل بنفسه. انظر صحيحه (٧/ ٢٠).

(٢) بكّر: أي بكر إلى الغسل. وابتكر إلى الجمعة. انظر الصحيح له (٧/ ٢٠).

(٣) انظر سنن أبي داود (١/ ٩٥ ح ٣٤٥ الطهارة). والترمذي (٢/ ٣ ح ٤٩٤ صلاة الجمعة). والنسائي (٣/ ٩٥ ـ ٩٦ الجمعة)، وابن ماجة (١/ ٢٤٦ ح ١٠٨٧ إقامة الصلاة). كلهم رووه من طريق أبي الأشعث شراحيل عنه به. وقال الترمذي: حديث حسن.
قلت: ورواه أيضاً أحمد (٤/ ١٠٤) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٠ ح ٢٧٨١ صلاة الجمعة)، والحاكم (١/ ٢٨٢ الجمعة) بالطريق المذكور.

(٤) انظر صحيح مسلم (١/ ٤٦١ ح ٦٦٤ المساجد ومواضع الصلاة) من طريق أبي الزبير عنه، وعنده درجة بدل: حسنة.

(٥) صحيح البخاري (١/ ١٦٠ الأذان) من طريق حميد عن أنس.
وتكملته: «والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصليها ثم ينام».

(٦) انظر صحيح البخاري (١/ ١٥٩ الأذان)، ومسلم (١/ ٤٦٠ ح ١٦٢ المساجد) حيث روياه من طريق أبي بردة عنه به. وهذا لفظ مسلم.

قال: «إنَّ أعظَمَ النَّاسِ أجْراً في الصَّلاةِ، أبْعَدهُمْ إليْهَا مَمْشى فأبْعَدهُمْ».

ومع هذا فنفس الدار القريبة من المسجد أفضل من الدار البعيدة عنه، لكن المشي من الدار البعيدة أفضل.

ففي «المسند» عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «فَضْلُ الدَّارِ القَريبةِ مِنَ المَسْجِدِ علَى الدَّارِ البَعِيدَةِ الشَّاسِعَةِ، كَفَضْلِ الغَازِي عَلى القَاعِدِ»(١).

وإسناده منقطع.

والمشي إلى المسجد أفضل من الركوب كما تقدم في حديث أوس في الجُمع. ولهذا جاء في حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ ذكر المشي على الأقدام، وكان النبي ﷺ لا يخرج إلى الصلاة إلا ماشياً حتى العيد يخرج إلى المصلى ماشياً، فإن الآتيَ للمسجد زائرٌ لله، والزيارة على الأقدام أقرب إلى الخضوع، والتذلل كما قيل:

لوْ جِئتُكُمْ زَائِراً أسْعَى على بَصَري ... لَـمْ أؤد حقًّـا وأيُّ الحـقِّ أدَّيْـتُ

وفي «صحيح البخاري»(٢) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «منْ غَدَا إلى المَسْجِدِ ـ أوْ رَاحَ ـ أعَدَّ الله لَهُ نُزُلاً في الجَنَّةِ، كُلَّمَا غَدَا ـ أو رَاحَ ـ».

وفي «الطبراني» من حديث سلمان مرفوعاً: «مَنْ تَوَضَّأ في بيْتِهِ، فأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أتى المَسْجِدَ، فَهُوَ زَائرٌ لله تعالى، وحَقٌّ على المَزُورِ أنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ»(٣).

---

(١) رواه أحمد في المسند ٦/ ٣٨٧ من طريق بكر بن عمرو أبي عبدالملك عنه.

(٢) انظر صحيح البخاري (١/ ١٦١ الآذان) ورواه أيضاً مسلم (١/ ٤٦٣ ٦٦٩ المساجد) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عنه.

* ملحوظة: يرجى التلطف بتقديم قولي: رواه الطبراني في الكبير (٦/٢٥٣ - ٢٥٤ ح ٦١٣٩) وأحد إسناديه رجاله رجال الصحيح كما ذكره الهيثمي (٢/ ٣٤) على قولي ذكره المنذري... الخ.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ح٦١٣٩) وأحد إسناديه رجاله رجال الصحيح. كما ذكره الهيثمي في الجامع (٢/ ٣٤) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٤ الصلاة) وقال: رواه الطبراني في الكبير بإسنادين: أحدهما جيد. وروى البيهقي نحوه موقوفاً على =

وفي «صحيح مسلم» عن أبيّ بن كعب، قال: كان رجل ـ لا أعلمُ رَجُلاً أبعدُ من المسجد منه ـ وكان لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له ـ أو قلت له ـ: لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء[(١)]، وفي الرَّمْضاء[(٢)] قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ جَمَعَ الله لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»[(٣)].

وكلما شق عليك المشي إلى المساجد كان أفضل، ولهذا فُضِّلَ المشيُ إلى صلاة العشاء، وصلاة الصبح، وعُدِّل بقيام الليل كله.

كما في «صحيح مسلم» عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّما قامَ نِصْفَ الليْلِ، ومَنْ صَلَّى الصُّبْحَ في جَمَاعةٍ، فَكَأَنَّما قامَ الليْلَ كُلَّهُ»[(٤)].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «أَثْقَلُ صَلاةٍ عَلى المُنافِقينَ: صَلاةُ العِشَاءِ، وصَلاةُ الفَجْرِ. ولَوْ يَعْلَمونَ مَا فيهمَا لأَتَوْهُمَا ولَوْ حَبْواً»[(٥)].

وإنما ثقلت هاتان الصلاتان على المنافقين: صلاة العشاء، وصلاة الفجر،

= أصحاب رسول الله ﷺ بإسناد صحيح.

(١) الظلماء: ظلمة الليل. أو ليلة ظلماء. المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٧).

(٢) الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة. والرَّمضُ: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره. انظر النهاية (٢/ ٢٦٤) والقاموس (ص ٨٣٠).

(٣) انظر صحيح مسلم (١/ ٤٦٠ - ٤٦١، ح ٦٦٣ المساجد) حيث رواه من طريق أبي عثمان عنه.

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤٥٤ ح ٦٥٦ المساجد) رواه من طريق عبدالرحمن ابن أبي عمرة عنه به، وللحديث قصة عنده.

(٥) انظر صحيح البخاري (١/ ١٦٠ الأذان) ومسلم (١/ ٤٥١ ـ ٤٩٢ ح ٦٥١ المساجد) كلاهما روياه من طريق أبي صالح عنه به بزيادة: «لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام.. الحديث.

لأن المنافق لا ينشط للصلاة إلا إذا رآه الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾[1]. وصلاة العشاء والصبح يقعان في ظلمة، فلا ينشط للمشي إليهما إلا كل مخلص، يكتفي برؤية الله ـ عز وجل ـ وحده لعلمه به.

* * *

وثواب المشي إلى المساجد في الظُّلَم: النورُ التام في ظُلَمِ القيامة، كما في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن بُرَيدة بن الحصيب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**بَشِّرِ المَشَّائينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ بالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وخرَّجه ابن ماجة من حديث سهل بن سعد[2].

وقد روي من وجوه كثيرة[3]، وفي بعضها زيادة: «**يَفْزَعُ النَّاسُ ولا يَفْزَعُونَ**».

قال النخعي[4]: كانوا يرون أن المشي في الليلة الظلماء إلى الصلاة موجبة، يعني توجب المغفرة.

وروينا عن الحسن، قال: أهل التوحيد في النار لا يقيدون، فيقول الخزنة بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء لا يقيدون وهؤلاء يقيدون؟ فيناديهم مناد: إن هؤلاء

---

(١) الآية ١٤٢ من سورة النساء.

(٢) رواه أبو داود (١/ ١٤٥ ح ٥٦١ الصلاة)، والترمذي (١/ ١٤٢ ح ٢٢٣ الصلاة) كلاهما من طريق عبدالله بن أوس عنه، ورواه ابن ماجة (١/ ٢٥٦ ح ٧٨٠) من طريق أبي حازم سهل به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه مرفوع. هو صحيح مسند وموقوف إلى أصحاب النبي ﷺ، ولم يسند إلى النبي ﷺ.

(٣) وله طرق وشواهد كثيرة وبمجموعها يرتقي إلى درجة الصحة لغيره. وقد صححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٢٨٢٠).

(٤) النخعي: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه الثقة. مات سنة ٩٦هـ. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٤٦).

كانوا يمشون في ظُلَم الليل إلى المساجد، كما أن مواضع السجود من عصاة الموحدين في النار لا تأكلها النار، فكذلك الأقدام التي تمشي إلى المسجد في الظُّلَم لا تقيد في النار. ولا يستوي في العذاب بين من خدمه، وبين من لم يخدمه وإن عذبه.

ومَنْ كانَ في سُخْطِهِ مُحْسِناً فكَيْفَ يَكُونُ إذا ما رَضي

لما كانت الصلاة صِلَةً بين العبد وبين ربه، ومناجاة تظهر فيها آثار تجليه لقلوب العارفين وقربه شرع قبل الدخول فيها الطهارة، فإنه لا يصلح للوقوف بين يدي الله عز وجل، والخلوة بمناجاته إلا طاهر، فأما المتلوِّث بالأوساخ الظاهرة والباطنة فلا يصلح للقرب، فشرع الله عز وجل للمصلي غسل أعضائه بالماء، ورتب عليها طهارة الذنوب وتكفيرها، حتى يجتمع لمن يريد المناجاة: طهارة ظاهرة وباطنة.

ثم شرع المشي إلى المساجد، وفيه أيضاً تكفير الخطايا حتى تكمل طهارة الذنوب إن بقي منها شيء بعد الوضوء، حتى لا يقف العبد في مقام المناجاة، إلا بعد كمال طهارة ظاهرة وباطنة، من دون الأوساخ والذنوب.

ولهذا شرع له تجديد التوبة والاستغفار، عقب كل وضوء حتى تكمل طهارة ذنوبه، كما خرَّج النسائي(١) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، وموقوفاً: «**مَنْ تَوَضَّأ فأسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قالَ عِنْدَ فَراغِهِ مِنْ وُضُوئِهِ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وبحَمْدِكَ أسْتَغْفِرُكَ، وأتُوبُ إلَيْكَ، خُتِمَ عليها بخَاتَمٍ**

(١) انظر النسائي في عمل اليوم والليلة (٨١، ٨٣)، ورواه أيضاً ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٢ ح ٣٠)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٦٤ فضائل القرآن) وقال: صحيح على شرط مسلم. وتعقبه الذهبي وقال: ووقفه ابن مهدي عن الثوري عن أبي هاشم، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٤٤) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. اهـ.
قلت: إلا أن النسائي قال بعد تخريجه في عمل اليوم والليلة: هذا خطأ، والصواب موقوفاً، ثم رواه من رواية الثوري، وغندر عن شعبة موقوفاً.

فَوُضِعَتْ تَحْتَ العَرْشِ، فَلَمْ تُكْسَرْ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ».

ومتى اجتهد العبد على تكميل طهارته ومشيه إلى المسجد ولم يقو ذلك كله على تكفير ذنوبه، فإن الصلاة يكمل بها التكفير كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيهِ كُلَّ يوم خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شيءٌ؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الخَطَايَا»[(١)].

* * *

وإن قوي الوضوء وحده على تكفير الخطايا، فالمشي إلى المسجد والصلاة بعده تكون زيادة حسنات، وهذا هو المراد من قول النبي ﷺ في حديث عثمان، والصنابحي: «وكانَ مَشيهُ إلى المَسْجِدِ صَلاتُهُ نافِلَةً» وسبق ذكر الحديثين[(٢)].

واعلم أن جمهور العلماء على أن هذه الأسباب كلها إنما تكفر الصغائر دون الكبائر، وقد صرح بذلك عطاء[(٣)] وغيره من السلف في الوضوء.

وقال سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ: الوضوء يكفر الجراحات الصغار، والمشي إلى المسجد يكفر أكثر من ذكر، والصلاة تكفر أكثر من ذلك. خرَّجه محمد بن نصر المروزي.

ويدل على أن الكبائر لا تكفَّر بذلك: ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الصلواتُ الخمْسُ والجُمُعةُ إلى الجُمعةِ،

---

(١) انظر صحيح البخاري (١/ ١٣٤ مواقيت الصلاة) وصحيح مسلم (١/ ٤٩٢ ح ٦٦٧ المساجد) كلاهما روياه من طريق أبي سلمة بن عبدالرحمن عنه.

(٢) في ص ٣٠، ٣١.

(٣) هو عطاء بن أبي رباح ـ أسلم ـ القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، مات سنة ١١٤هـ. انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٢٢).

ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ، مُكَفِّراتٌ لمَا بيْنَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكَبائِر»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِن امْرِىءٍ مُسْلم تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وخُشُوعَهَا، ورُكُوعَهَا، وسُجُودَها، إلَّا كَانَتْ كفَّارَةً لِمَا قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ، ما لَمْ يُؤتِ كَبيرةً، وذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»(٢).

* * *

فانظر إلى كم تيسر لك أسباب تكفير الخطايا، لعلك تطهر منها قبل الموت، فتلقاه طاهراً، فتصلح لمجاورته في دار السلام، وأنت تأبى إلا أن تموت على خُبْثِ الذنوب، فتحتاج إلى تطهيرها في كير جهنم.

يا هذا! أما علمت أنه لا يصلح لقربنا إلا طاهر؟ فإذا أردت قربنا، ومناجاتنا اليوم، فطهر ظاهرك وباطنك؛ لتصلح لذلك، وإن أردت قربنا ومجاورتنا غداً فطهِّر قلبك مِنْ سوانا؛ لتصلح لمجاورتنا ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾(٣). فالقلب السليم «هو» الذي ليس فيه غير محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، «إنَّ الله طَيِّبٌ لا يقبلُ إلا طَيِّباً»(٤). فما كل أحد يصلح لمجاورة الله تعالى

---

(١) لم أجده في صحيح البخاري، ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩ ح ٢٣٣ الطهارة).

(٢) انظر صحيح مسلم (١/ ٢٠٦ ح ٢٢٨ الطهارة) وليس عنده قوله: «سجودها».

(٣) الآية ٨٨ من سورة الشعراء.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣ ح ١٠١٥ الزكاة)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٨) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

ولفظه كما ورد عند مسلم: «أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٥١]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء، يارب! يارب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك».

غداً، ولا كل عبد يصلح لمناجاته اليوم، ولا على كل الحالات تحسن المناجاة.

النَّاسُ مِنَ الهوى على أَصْنافِ ... هذا نَقَضَ العَهْدَ وهذا وافِ
هيْهَاتَ مِنَ الكُدُورِ تَبْغي الصَّافي ... ما يَصْلُحُ للحَضْرَةِ قَلْبٌ جافِ

* * *

السبب ~~الثاني~~ الثالث من مكفرات الذنوب: الجلوس في المساجد بعد الصلوات.

والمراد بهذا الجلوس انتظارُ صلاة أخرى، كما في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ «**وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَذَلِكُمُ الرِّباطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»(١).

فجعل هذا من الرباط في سبيل الله عز وجل، وهذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها، فإن الجالس لانتظار الصلاة ليؤديها؛ ثم يذهب تقصر مدة انتظاره، بخلاف من صلى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى، فإن مدته تطول، فإن كان كلما صلى صلاة جلس ينتظر ما بعدها، فقد استغرق عمره بالطاعة، وكان ذلك بمنزلة الرباط في سبيل الله عز وجل.

وفي «المسند» و«سنن ابن ماجة»(٢) عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فرجع مَن رجع، وعقَّب من عقَّب، فجاء رسول الله ﷺ مسرعاً، قد حفزه النفس، وقد حسر عن ركبتَيْه، فقال: «**أبْشِرُوا، هذَا رَبُّكُمْ قدْ فَتَحَ باباً مِنْ أبْوَابِ السَّماءِ يُبَاهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إلى عبادِي قَدْ قَضَوا فَرِيضَةً، وهُمْ يَنْتَظِرونَ أُخْرى**».

وفي «المسند» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**مُنْتَظِرُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، كَفَارِسٍ اشْتَدَّ بِهِ فَرَسُهُ في سبيلِ الله على كَشْحِهِ، تُصَلِّي عَلَيْهِ مَلائِكَةُ الله، مالَمْ يُحْدِثْ أو يَقُم، وهُوَ في الرِّباطِ الأكْبَرِ**»(٣).

ويدخل في قوله: «**والجُلوسُ في المَسَاجِد بعْدَ الصَّلَواتِ**». الجلوس للذكر والقراءة، وسماع العلم وتعليمه، ونحو ذلك، لاسيما بعد صلاة الصبح

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٨٧ و٢٠٨)، وابن ماجة في سننه (١/ ٢٦٢ ح ٨٠١ المساجد) كلاهما عنه. وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات. وقال السيوطي: التعقيب في المساجد: انتظار الصلاة بعد الصلاة.

(٣) رواه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٢ من طريق عبدالرحمن بن مهران عنه، وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٩) وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط. وفيه نافع بن سليم القرشي، وثقه أبو حاتم، وبقية رجاله رجال الصحيح.

حتى تطلع الشمس، فإن النصوص قد وردت بفضل ذلك، وهو شبيه بمن جلس ينتظر صلاة أخرى؛ لأنه قد قضى ما جاء إلى المساجد لأجله من الصلاة، وجلس ينتظر طاعة أخرى.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله تَعالى، يَتْلُونَ كِتابَ الله ويَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وذَكَرَهُمُ الله فيمَنْ عِنْدَهُ»(١).

وأما الجالس قبل الصلاة في المسجد لانتظار تلك الصلاة خاصة، فهو في صلاة حتى يصلي.

ففي «الصحيحين» عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه لما أخر صلاة العشاء الآخرة، ثم خرج فصلى بهم، قال لهم: «إنَّكُمْ لَمْ تَزالُوا في صَلاةٍ، ما انْتَظَرْتُمُ الصَّلاةَ»(٢).

و«فيهما» أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الملائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مادَامَ في مُصَلَّاهُ مالَمْ يُحْدِثْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، ولا يزالُ أحدُكُمْ في صَلاةٍ ما كانَتِ الصَّلاةُ تحْبِسُهُ، لا يَمْنَعُهُ أنْ يَنْقَلِبَ إلى أهْلِهِ إلا الصَّلاةُ»(٣).

وفي رواية لمسلم: «ما لَمْ يُؤْذِ فيه، مالَمْ يُحْدِثْ فيهِ».

وهذا يدل على أن المراد بالحدث: حدث اللسان ونحوه من الأذى، وفسره أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ بحدث الفرج، وقيل: إنه يشمل الحدثين.

وفي «المسند» عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «القَاعِدُ يَرْعى الصَّلاةَ كالقَانِتِ، ويُكْتَبُ مِنَ المُصَلِّينَ مِنْ حِيْن يَخْرُجُ مِنْ بَيتِهِ حتَّى

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤ ح ٢٦٩٩ الذكر والدعاء) من حديث أبي هريرة في حديث طويل.

(٢) انظر صحيح البخاري (١/ ١٤٣ مواقيت الصلاة)، ومسلم (١/ ٤٤٣ ح ٦٤٠ المساجد).

(٣) تقدم تخريجه.

يَرْجِعَ إليْهِ»[١].

وفي رواية له: «فإذَا أتى المسْجِدَ ثُمَّ قَعَدَ فيهِ كانَ كالصَّائِمِ القانِتِ حتى يَرْجِعَ إلَيْه».

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

وبالجملة فالجلوس في المساجد للطاعات له فضل عظيم.

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يُوطِّنُ رَجُلٌ المسَاجِدَ للصَّلاةِ والذِّكْرِ إلا تَبَشْبَشَ[٢] الله عزَّ وجَلَّ لهُ، كما يَتَبَشْبَشُ أهْلُ الغَائِبِ إذا قَدِمَ عَلَيْهِمْ غَائِبُهُمْ»[٣].

وروى درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَلِفَ المَسْجِدَ أَلِفَهُ الله»[٤].

وقال سعيد بن المسيب: من جلس في المسجد فإنما يجالس الله عز وجل.

وصح عن النبي ﷺ أنه عُدَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجلٌ قلبُهُ معلَّقٌ بالمسجد» إذا خرج منه حتى يعود إليه[٥].

وإنما كانت ملازمة المسجد للطاعات مكفِّرة للذنوب؛ لأن فيها مجاهدة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البشُّ: فرح الصديق بالصديق، واللطف في المسألة، والإقبال عليه. النهاية (١/ ١٣٠).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٠٧، ٣٢٨، ٣٤٠، ٤٥٣) وابن ماجة (١/ ٢٦٢ ح ٨٠٠ المساجد)، وابن حبان في صحيحه (ج٤/ رقم ١٦٠٧)، والحاكم (١/ ٢١٣ الصلاة) وصححه ووافقه الذهبي. قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد كما ذكره النبهاني في الفتح (٣/ ١٧٣) وضعف الألباني إسناده من أجل ابن لهيعة. انظر: السلسلة الضعيفة (٣٠٦٠).
قلت: وفيه دراج بن سمعان أبو السَّمْح المصري، صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف، انظر: التقريب (١/ ٢٣٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٠ ح ١٦١ الأذان) ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥ ح ١٠٣١ الزكاة) كلاهما من حديث أبي هريرة.

النفس وكفًّا لها عن أهوائها، فإنها لا تميل إلا إلى الانتشار في الأرض لابتغاء الكسب، أو لمجالسة الناس، أو لمحادثتهم، أو للتنزه في الدور الأنيقة والمساكن الحسنة ومواطن التنزه، ونحو ذلك، فمن حبس نفسه في المسجد على الطاعة، فهو مرابط لها في سبيل الله مخالف لهواها، وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد، وهذا الجنس ـ أعني ما يؤلم النفس ويخالف هواها ـ فيه كفارة للذنوب، وإن كان لا صنع للعبد فيه، كالمرض ونحوه، فكيف بما كان حاصلاً عن فعل العبد واختياره، إذا قصد به التقرب إلى الله عز وجل، فإن هذا من نوع الجهاد في سبيل الله الذي يقتضي تكفير الذنوب كلها. ولهذا المعنى كان المشي إلى المساجد كفارة للذنوب أيضاً، وهو نوع من الجهاد في سبيل الله أيضاً.

كما خرَّجه الطبراني من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «الغُدُوّ والرَّواحُ إلى المَساجِدِ منَ الجِهادِ في سبيلِ الله عَزَّ وجَلَّ»[١].

كان زياد ـ مولى ابن عباس ـ أحد العُبَّاد الصالحين، وكان يلازم مسجد المدينة، فسمعوه يوماً يعاتب نفسه، ويقول لها: أين تريدين؟، تريدين أن تذهبي إلى أحسن من هذا المسجد؟ تريدين أن تبصري دار فلان، ودار فلان؟!

ولما كانت المساجد في الأرض بيوت الله، أضافها الله إلى نفسه تشريفاً لها، وتعلقت قلوب المحبين لله عز وجل بها، لنسبتها إلى محبوبهم وارتاحت إلى ملازمتها لإظهار ذكره فيها، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢].

أين يذهب المحبون عن بيوت مولاهم، قلوب المحبين ببيوت محبوبهم متعلقة، وأقدام العابدين إلى بيوت معبودهم مترددة.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢ المشي إلى المساجد) من حديث أبي أمامة، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه القاسم بن عبدالرحمن. وفيه اختلاف اهـ.
وقال الألباني: إنه موضوع. انظر ضعيف الجامع الصغير (٣٩٢٦) والسلسلة الضعيفة (٢٠٠٧).

(٢) الآيتان ٣٦، ٣٧ من سورة النور.

يا حبذا العَرْعَرخ النَّجديُّ والبانُ ... ودارُ قومٍ بأكناف الحِمى بَانُوا
وأطيبُ الأرض ما للقلبِ فيه هوىً ... سَمُّ الخياطِ مع المحْبُوبِ ميدانُ
لا يُذْكَرُ الرَّمْلُ إلا حنَّ مُغْتَربٌ ... له بذي الرَّمْلِ أوطارٌ وأوطانُ
يَهْفُو إلى البان من قلبي نَوازِعُهُ ... وما بين الْبان بل من داره البان

* * *

الفصل الثاني

في ذكر الدرجات المذكورة في حديث معاذ - رضي الله عنه -

وهي ثلاث:

أحدها: إطعام الطعام. وقد جعله الله في كتابه من الأسباب الموجبة للجنة ونعيمها، قال الله عز وجل: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ - إلى قوله -: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[(١)].

فوصف فاكهتهم وشرابهم جزاءً لإطعامهم الطعام.

وفي «الترمذي» من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا مُؤْمِن أَطْعَمَ مُؤْمِناً علَى جُوعٍ، أَطْعَمَهُ الله من ثِمَارِ الجنَّة. ومَنْ سَقَى مُؤْمِناً على ظَمَأ. سَقَاهُ الله مِنَ الرَّحيقِ المَخْتُومِ»[(٢)].

---

(١) الآيات: ٨ـ٢١ من سورة الدهر.

(٢) أنظر سنن الترمذي (٤/ ٥١ ح ٢٥٦٦ صفة القيامة) من طريق عطية العوفي عنه به، وتمامه: «... وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عرى كساه الله من خضر الجنة». وقال: هذا حديث غريب. وقد روي هذا عن عطية، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً. وهو أصح عندنا وأشبه.
وبهذا الطريق رواه أيضا أحمد في مسنده (٣/ ١٤) وأبو داود في سننه (٢/ ١٣٠ ح ١٦٨٢ الزكاة) ولكن عندهما تقديم وتأخير في لفظ الحديث.

وفي «المسند» و«الترمذي» عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظاهِرُهَا مِن باطِنِها، وباطِنُهَا مِنْ ظاهِرِهَا». قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لِمَنْ أطْعَمَ الطَّعَامَ، وأطَابَ الكَلامَ، وصَلَّى باللَّيلِ، والنَّاسُ نِيامٌ»(١).

وفي حديث عبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه، الذي خرَّجه أهل السنن ـ أنه سمع النبي ﷺ أول قدومه المدينة يقول: «أيُّها النَّاسُ أفْشُوا السَّلامَ، وأطْعِمُوا الطَّعامَ، وصِلُوا الأرْحَامَ، وصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ»(٢).

وفي حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيْمانٌ باللهِ ورَسُولِهِ، وجِهَادٌ في سَبِيلِهِ، وحَجٌّ مَبْرُورٌ، وأهْوَنُ مِنْ ذلِكَ إطْعامُ الطَّعامِ، ولِينُ الكَلامِ».

---

(١) انظر المسند (١/ ١٥٦) وسنن الترمذي (٣/ ٢٣٨ ح ٢٠٥٠ البر، ٤/ ٨٠ ح ٢٦٤٧ الجنة) من طريق النعمان بن سعد عنه بنحوه إلا أن عندهما: قام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟.. وزاد الترمذي: «... وأدام الصيام». وقال: هذا حديث غريب. ورواه أيضاً أبو يعلى في مسنده (١/ ٣٣٨ ح ٤٢٨). وله شاهد رواه أحمد (٥/ ٣٤٣) والحاكم (١/ ٣٢١ صلاة التطوع) وكلاهما من حديث أبي مالك الأشعري بنحو لفظ المؤلف، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٥٧) وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

(٢) رواه الدارمي في سننه (١/ ٢٨٠ ح ١٤٦٨ الصلاة، ٢/ ١٨٨ ح ٢٦٣٥ الاستئذان)، والترمذي في سننه (٤/ ٦٥ ح ٢٦٠٣ صفة القيامة). وابن ماجة في سننه (١/ ١٠٨٣ ح ٣٢٥١ الأطعمة) ثلاثتهم من طريق زرارة بن أوفى عنه بمثله وصححه الترمذي. وهذا لفظ ابن ماجة. وذكر في صدره: لما قدم النبي ﷺ المدينة فجعل الناس قبله. وقيل: قد قدم رسول الله... ثلاثاً. فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: «يا أيها الناس... الحديث».

وبهذا الطريق واللفظ رواه أيضاً أحمد في مسنده (٥/ ٤٥١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ٧٠ ح ٢١٥) والحاكم في المستدرك (٣/ ١٣ الهجرة) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

خرَّجه الإمام أحمد(١).

وفي حديث هانىء بن يزيد(٢) أن رجلاً قال: يا رسول الله! دلني على عمل يُدخِلُني الجنة، ويُباعِدُني من النار، قال: «تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتُفْشِي السَّلام»(٣).

وفي حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ خُتِمَ لَهُ بإطْعامِ مِسْكينٍ دَخَلَ الجَنَّة»(٤).

وفي «الصحيحين» عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الإسلام خير؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرأ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، ومَنْ لمْ تَعْرِف»(٥).

---

(١) في مسنده (٥/ ٣١٩) من طريق جنادة بن أبي أمية عنه ولكن بلفظ: «الإيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله». قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله؟ قال: «السماحة والصبر». قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله؟ قال: «لا تتهم الله تبارك وتعالى في شيء قضى لك به».
وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٦٤) وعزاه إلى أحمد وقال: وفي إسناده ابن لهيعة. ولكن له شاهد رواه أحمد أيضاً (٤/ ٢٠٤) من حديث عبدالله بن عمرو بنحو لفظ المؤلف. وضعف إسناده الهيثمي (١/ ٦٥) بسبب رِشدين اهـ. والله أعلم.

(٢) هانىء بن يزيد بن نهيك المذحجي والد شريح القاضي، كان يكنى أبا الحكم، فغيره النبي ﷺ إلى أبي شريح. رواه أحمد والبخاري في الأدب، وأبو داود والنسائي. كما ذكره ابن حجر في الإصابة (٦/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٨٠ ح ٤٦٧) من طريق شريح عنه بمثله، وح ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠ من طرق عدة. ورواه ابن أبي شيبة (٨/ ٥١٩) والبخاري في الأدب (ص ٣٥٦ ح ٨١١)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٤٤ ح ٤٩٠ البر والإحسان) والحاكم (١/ ٢٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال: وليس له علة.

(٤) رواه أبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢١٨) من طريق نعيم ابن أبي هند عنه به، بزيادة: «محتسباً على الله عز وجل دخل الجنة، ومن ختم له بصوم يوم محتسباً على الله... ومن ختم له بقول لا إله إلا أن...» الحديث.
ورواه البزار أيضاً مكتفياً بقوله: «ومن ختم له بصيام يوم... الحديث عن حذيفة. كما ذكره النبهاني في الفتح (٣/ ٨٨).

(٥) انظر صحيح البخاري (١/ ٩ الإيمان) وصحيح مسلم (١/ ٦٥ ح ٣٩ الإيمان) من طريق أبي =

وفي حديث صهيب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعامَ». خرَّجه الإمام أحمد(١).

فإطعام الطعام يوجب دخول الجنة، ويباعد من النار، ويُنْجي منها، كما قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾(٢).

وفي الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرةٍ»(٣).

وكان أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ يقول لولده: اذكروا صاحب الرغيف، ثم ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل عَبَدَ الله سبعين سنة، ثم إن الشيطان حسَّن في عينيه امرأة، فأقام معها سبعة أيام، ثم خرج هارباً، فأقام مع مساكين، فتصدق عليه برغيف كان بعض أولئك المساكين يريده، فآثره به، ثم مات؛ فوزن عبادته بالسبعة الأيام التي مع المرأة فرجحت الأيام السبعة بعبادته، ثم وزن الرغيف بالسبعة الأيام فرجح بها.

ويتأكد إطعام الطعام للجائع، وللجيران خصوصاً. وفي «الصحيح» عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «أطعِموا الجائِعَ، وعُودُوا المريضَ، وفُكُّوا العَاني»(٤).

= الخير عنه به.

(١) في مسنده (٦/ ١٦) من طريق حمزة عن أبيه صهيب بلفظه. ذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٠) مع قصة طويلة. وقال: روى ابن ماجة طرفاً منه. ورواه أحمد وفيه: عبدالله بن محمد بن عقيل وحديثه حسن، وفيه ضعف. وبقية رجاله ثقات.

(٢) الآيات ١١ ـ ١٦ من سورة البلد.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١١٤ الزكاة)، ومسلم (٢/ ٧٠٤ ح ١٠١٦ الزكاة) كلاهما من حديث عدي بن حاتم به. وزاد مسلم: «فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة».

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٠ الجهاد والسير: ٦/ ١٩٥ الأطعمة) من طريق أبي وائل عنه به. ورواه البخاري في كتاب النكاح، والأحكام، والمرضى أيضاً.

وفي «صحيح مسلم»[١] عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال له: «يا أبَا ذَرٍّ! إذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فأكْثِرْ ماءَها وتَعَاهَدْ جِيرانَكَ».

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «أيُّمَا أهْلُ عَرَصَةٍ فيهم امْرُؤٌ جائعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُم ذِمَّةُ الله عز وجل»[٢].

وقال ﷺ: «لا يَشْبَعُ المُؤمِنُ دُونَ جَارِهِ»[٣].

وفي «صحيح الحاكم» عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «ليسَ بالمُؤمِنِ الذي يَشْبَعُ وجَارُهُ جَائعٌ»[٤].

وفي رواية: «مَا آمَنَ مَنْ باتَ شَبْعاناً وجَارُهُ طاوِياً»[٥].

فأفضل أنواع إطعام الطعام: الإيثارُ مع الحاجة، كما وصف الله تعالى

---

(١) (٤/ ٢٠٢٥ ح ٢٧٢٥ البر والصلة).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٣) والمستدرك للحاكم(٢/ ١١ ـ ١٢ البيوع) من طريق كثير بن مرة الحضرمي عنه به. وفي صدره عندهما: «من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه. . ». وقال الذهبي في إسناده: عمرو تركوه، وأصبغ فيه لين. وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٠٣) عن ابن عمر به. وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط. وفيه: أبو بشر الأملوكي ضعفه ابن معين اهـ.
والعرصة: ساحة الدار. المعجم الوسيط (٢/ ٥٩٣).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ٥٤ ح ١١٢) والتاريخ الكبير (٥/ ١٩٦) وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٩٢ ح ٢٦٩٩)، والخطيب في تاريخه (١٠/ ٣٩١ ـ ٣٩٢) كلهم من حديث ابن عباس بلفظه الثاني الذي سيرد ـ إن شاءالله ـ عند المؤلف إلا البخاري في تاريخه فعنده: يأكل.

(٤) انظر المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٦٧ البر والصلة) من طريق عبدالله ابن أبي داود عنه، وفيه: «يبيت» بدل: «يشبع» وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وصححه الألباني؛ لشواهده. انظر السلسلة الصحيحة برقم ١٤٩.

(٥) رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٢١٨ ترجمة: حكيم بن جبير) من حديث ابن عباس بزيادة قوله في آخره: «إلى جنبه».
طاو: أي خالي البطن جائع لم يأكل. انظر النهاية (٣/ ١٤٦ طوا).

بذلك الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ فقال: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١).

وقد صح أن سبب نزولها أن رجلاً منهم أخذ ضيفاً من عند النبي ﷺ يُضِيفُه فلم يجد عنده إلا قوت صبيانه، فاحتال هو وامرأته حتى نوّموا صبيانهم، ومال إلى السراج، كأنه يصلحه فأطفأه ثم جلس مع الضيف يريه أنه يأكل معه، ولم يأكل، فلما غدا على رسول الله ﷺ قال له: «لَقَدْ عَجِبَ الله مِنْ صَنِيعِكُمَا الليلَةَ». ونزلت هذه الآية(٢).

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره غيره، وهو صائم، ويصبح صائماً، منهم: عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ وداود الطائي، وعبدالعزيز بن سليمان، ومالك بن دينار، وأحمد بن حنبل وغيرهم.

وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه، فلم يفطر تلك الليلة.

ومنهم من كان لا يأكل إلا مع ضيف له. قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس، وأكل الناس معه.

وكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم: الحسن، وابن المبارك. وكان ابن المبارك ربما يشتهي الشيء فلا يصنعه إلا لضيف ينزل به، فيأكله مع ضيفه.

وكان كثير منهم يفضّل إطعام الإخوان على الصدقة على المساكين، وقد رُوي هذا المعنى مرفوعاً من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ بإسناد ضعيف

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٢٦ مناقب الأنصار) ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٢٤ ح ٢٠٥٤ الأشربة) كلاهما من حديث أبي هريرة.

ـ ولاسيما إن كان الإخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام.

كان بعضهم يعمل الأطعمة الفاخرة، ثم يُطعمها إخوانَه الفقراء، ويقول: إنهم لا يجدونها.

وبعضهم يصنع له طعاماً ولا يأكل، ويقول: إني لا أشتهيه، وإنما صنعته لأجلكم.

وبعضهم اتخذ حلاوة فأطعمها المعتوه،[1] فقال له أهله: إن هذا لا يدري ما يأكل؟ فقال: لكن الله يدري!

واشتهى الربيع[2] بن خُثيم حلواء، فلما صُنِعَتْ له دعا بالفقراء، فأكلوا، فقال له أهله: أتعبتنا ولم تأكل؟! فقال: ومن أكله غيري؟!![3].

وقال آخر منهم ـ وجرى له نحو من ذلك ـ: إذا أكلته كان في الحش[4]، وإذا أطعمته كان عند الله مدخوراً.

ورُوي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: لأن أجمع أناساً من إخواني على صاع من طعام، أحب إليَّ من أن أدخل سوقكم هذه فأبتاع نسمة فأعتقها.

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعاماً يشتهونه أحب إليَّ من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل.

* * *

---

(١) المعتوه: المجنون المصاب بعقله. وقد عُتِه فهو معتوه. انظر: النهاية ٣/ ٩٨١.

(٢) هو الربيع بن خُثيم بن عائذ أبو يزيد الثوري الكوفي. الإمام القدوة العابد، أدرك زمن النبي ﷺ. وهو أحد الزهاد الثمانية، مات قبل ٦٥هـ. انظر: حلية الأولياء (٢/ ١٠٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٦ـ٢٦٢).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠٧) من طريق منذر الثوري عنه بمثله، وبألفاظ مختلفة.

(٤) الحُش: الكنيف، والمتوضأ، المعجم الوسيط (١/ ١٧٦).

أأصف الإيثار لمن يبخل بأداء الحقوق الواجبة على الأعيان؟

أأطلب الشجاعة من الجبان، أو أستشهد على رؤية الهلال من هو من جملة العميان؟

كم بَيْنَ من قيل فيه ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾[1]. وبين من قيل فيه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2].

فما بيننا وبين القوم [إلا] كما بين اليقظة والنوم؟

لا تَعْرِضَنَّ لذكْرِنا في ذِكْرِهِمْ ليسَ الصَّحيحُ إذا مَشى كالمُقْعَدِ

فيا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح، هيهات هيهات ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[3].

نَزَلُوا بمكَّة في قبائلِ هاشمٍ ونَزَلْت بالبَيْداءِ أبعدِ مَنْزِلِ

الثاني من الدرجات: لين الكلام، وفي رواية: «إفشاء السَّلام» وهو داخل في لين الكلام. وقد قال الله عز وجل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[6]. وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[8].

---

(١) الآية ٧٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٣) الآية ٢١ من سورة الجاثية.

(٤) الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٥) الآية ٥٣ من سورة الإسراء.

(٦) الآيتان ٣٤، ٣٥ من سورة فصلت.

(٧) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٨) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت.

ولما قال النبي ﷺ: «الحَجُّ المبْرُورُ ليْسَ لهُ جَزَاءٌ إلا الجنَّة». قالوا له: وما الحج المبرور يا رسول الله؟ قال: «إطْعَامُ الطَّعَامِ وَلينُ الكَلامِ». خرَّجه الإمام أحمد(١).

وقد تقدم في ذكر إطعام الطعام أحاديث أخر في طيب الكلام.

وفي الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ: «والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»(٢).

وفيه أيضاً: «اتَّقُوا النَّارَ ولوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فمَنْ لمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(٣).

أما كون إفشاء السلام من موجبات الجنة، ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلوا الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، ألا أدُلُّكُمْ علَى شَيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ، أفْشُوا السَّلامَ فيمَا بيْنَكُمْ»(٤).

وخرّج أبو داود من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن أوْلى النَّاسِ بالله تعَالى مَنْ بدَأَهُمْ بالسَّلامِ»(٥).

ويروى من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً وم، وقوفاً: «إذَا مَرَّ الرَّجُلُ بالقوْمِ فسَلَّمَ عَليْهِمْ، فرَدُّوا عَلَيْهِ كانَ لَهُ عَليهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ، لأنَّهُ ذَكَرَهُمْ بالسَّلامِ، وإنْ لم يَرُدُّوا عَلَيهِ [ردّ عليهم(٦)] مَلأٌ خَيْرٌ منْهُمْ وأطْيَبُ»(٧).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٥ و٣٣٤) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ والمتن ثابت؛ لكثرة شواهده، وانظر أيضا: الألباني في الإرواء (٣/ ٢٣٧ ـ ٢٤١).

(٢) هو جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٢٤ الجهاد والسير)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٩ ح ١٠٠٩ الزكاة) عن أبي هريرة به.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) (١/ ٧٤ ح ٥٤ الإيمان) من طريق أبي صالح عنه.

(٥) (٤/ ٣٥١ ح ٥١٩٧ الأدب) ورواه أيضاً الترمذي (٤/ ١٥٩ ح ٢٨٣٥ الاستئذان) وقال: هذا حديث حسن.

(٦) زيادة من مسند البزار والطبراني في الكبير؛ ليستقيم الكلام.

(٧) أما الحديث المرفوع فرواه البزار في مسنده: البحر الزخار (٥/ ١٧٥ ح ١٧٧١) وابن حبان في=

وقد روي من حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه وغيره ـ أن رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال: السلام عليكم. فقال النبي ﷺ: «عَشْرٌ»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقال النبي ﷺ: «عشْرُونَ»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال رسول الله ﷺ: «ثَلاثُونَ».

خرَّجه الترمذي[(١)] وغيره. وخرجه أبو داود[(٢)]، وزاد: «ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال النبي ﷺ: «أرْبَعونَ» ثم قال: «هَكذَا تكونُ الفَضَائِلُ»[(٣)].

وقد سبق حديث: «أنْ تَقْرَأ السَّلام عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[(٤)].

وفي حديث ابن مسعود مرفوعاً: «منْ أشْراطِ السَّاعةِ: السَّلامُ بالمَعْرِفَةِ» خرَّجه الإمام أحمد[(٥)].

= روضة العقلاء (ص ٧٤ كما ذكره محقق البحر الزخار)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٨٢ ح ١٠٣٩١، ١٠٣٩٢) من طريق زيد بن وهب عنه مرفوعاً بمثله.

وأما الحديث الموقوف فرواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٣٥ الأدب)، والبخاري في الأدب (ص ٤٥٧ ح ١٠٣٩)، والبيهقي (كما ذكره محقق الأدب المفرد) من طريق زيد بن وهب عنه موقوفاً.

وذكره الهيثمي في المجع (٨/ ٣٢) عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً وقال: رواه البزار بإسنادين والطبراني بأسانيد، وبعضها رجاله رجال الصحيح، عند البزار والطبراني.

(١) في سننه (٤/ ١٥٦ ح ٢٨٣٠ الاستئذان والآداب) من طريق أبي رجاء عنه. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه عن عمران بن حصين. وفي الباب عن أبي سعيد وعلي، وسهل بن حنيف، ورواه أيضاً الدارمي في سننه (٢/ ١٩٠ ح ٢٦٤٣ الاستئذان) من الطريق المذكور. ورواه أيضاً أحمد، والنسائي، والبيهقي وحسنه كما ذكره السيد عبدالله هاشم في تحقيقه على سنن الدارمي.

(٢) في سننه (٤/ ٣٥٠ ح ٥١٩٥ الأدب) من طريق أبي رجاء عنه.

(٣) برقم ٥١٩٦ من حديث أنس.

(٤) في ص ٥٨ وهو في الصحيحين.

(٥) في مسنده (١/ ٣٨٧) من طريق الأسود بن يزيد عنه بلفظ: «إن من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة». وله قصة أن رجلاً سلم على ابن مسعود فقال: السلام عليك يا أبا =

وإنما جمع بين إطعام الطعام ولين الكلام؛ ليكمل بذلك الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، فلا يتم الإحسان بإطعام الطعام إلا بلين الكلام، وإفشاء السلام، فإن إساءة الكلام، يُبْطِلُ الإحسان بالفعل من الإطعام وغيره، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[1].

وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من إطعام الطعام والإحسان بإعطاء المال، كما قال لقمان لابنه: يا بُنيَّ! لِتكُن كَلِمتكَ طيبةً، ووجهك منبسطاً، تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.

وقد كان النبي ﷺ يلين القول حتى لمن يشهد له بالشر، فيتقي بذلك شره، وكان ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره في وجهه، ولم يكن ﷺ فحاشاً ولا مُتفحشاً[2].

وروي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان يُنْشد:

بُنَيَّ إنَّ البرَّ شيءٌ هَيِّن ... وَجْهٌ طَلِيقٌ وكلامٌ لَيِّنْ

ولبعضهم:

خُذِ العَفْو وأْمُر بِعُرْفٍ كَما ... أُمِرْت وأعْرِضْ عَنِ الجَاهِلينْ
ولِنْ في الكَلامِ لكلِّ الأنامِ ... فَمُسْتَحسَنٌ من ذوي الجاهِ لِينْ

وقد وصف الله - عز وجل - في كتابه أهل الجنة بمعاملة الخلق، بالإحسان بالمال، واحتمال الأذى، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3]. فالإنفاق في السراء والضراء

= عبدالرحمن فذكره ابن مسعود. وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٢) بروايات مختلفة وعزاها إلى أحمد والبزار والطبراني وقال: رجال أحمد والبزار، رجال الصحيح.

(١) الآية ٢٦٤ من سورة البقرة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣١٨ مناقب عبدالله بن مسعود) من حديث عبدالله بن عمرو: أن رسول الله... لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً. وقال: «إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً».. الحديث.

(٣) الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.

يقتضي غاية الإحسان بالمال من الكثرة والقلة، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس يقتضي عدم المقابلة على السوء بمثله من قول وفعل، وذلك يتضمن إلانةُ القول، واجتناب الفحش، والإغلاظ في المقال، ولو كان مباحاً، وهذا نهاية الإحسان، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾[١].

ومن هذا قول بعضهم ـ وقد سئل عن حسن الخلق ـ فقال: بذل الندى[٢]، وكف الأذى. وهذا الوصف المذكور في القرآن أكمل من هذه؛ لأنه وصفهم ببذل الندى، واحتمال الأذى.

وحسن الخلق يبلغ به العبد درجات المجتهدين في العبادة، كما قال النبي ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرجَةَ الصَّائِمِ النَّهارَ، القائِمِ الليْلَ»[٣].

ورؤي بعضُ السَّلف في المنام، فسئل عن بعض إخوانه الصالحين، فقال: وأين ذلك، رُفع في الجنة بحسن خلقه.

ومما يندب إلى إلانة القول فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون برفق، كما قال تعالى في حق الكفار: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤].

قال بعض السلف: ما أغضبت أحداً فقبل منك.

وكان أصحاب ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إذا رأوا قوماً على ما يُكْرَه يقولون لهم: مهلاً مهلاً، بارك الله فيكم.

ورأى بعض التابعين رجلاً واقفاً مع امرأة، فقال لهما: إن الله يراكما،

---

(١) الآية ١٩٥ من سورة البقرة.

(٢) الندى: الجود والسخاء والخير. المعجم الوسيط (٢/ ٩١٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٩٠، ١٨٧) وأبو داود في سننه (٤/ ٢٥٢ ح ٤٧٩٨ الأدب) وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٢٩ ح ٤٨٠)، والحاكم في مستدركه (١/ ٦٠) والبغوي في شرح السنة (٣٥٠٠) كلهم من حديث عائشة به. وهو حديث ثابت، له شواهد كثيرة. وقال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وزاد الحاكم: وشاهده صحيح على شرط مسلم.

(٤) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

سترنا الله وإياكما.

ودخل الحسن[١] إلى دعوة، فجيء بآنية فضة فيها حلواء، فأخذ الحسن الحلواء فقلبها على رغيف وأكل منها، فقال بعض من حضر: هذا نهي في سكوت.

ورأى الفضيل[٢] رجلاً يعبث في صلاته فزبَره[٣]، فقال له الرجل: يا هذا! ينبغي لمن يقوم لله أن يكون ذليلاً، فبكى الفضيل، وقال له: صدقت.

قال شعيب بن حرب: ربما مرَّ سفيان الثوري بقوم يلعبون بالشطرنج، فيقول: ما يصنع هؤلاء؟ فيقال له: يا أبا عبدالله! ينظرون في كتاب، فيطأطىء رأسه ويمضي؛ وإنما يريد بذلك ليعلم أنه قد أنكر.

وقال سفيان: لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى.

وقال الإمام أحمد: الناس يحتاجون إلى مداراة، ورفق في الأمر بالمعروف، بلا غلظة، إلا رجلاً معلناً بالفسق فإنه لا حرمة له.

وكان كثير من السلف لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، إلا سرًّا فيما بينه وبين من يأمره وينهاه.

وقالت أم[٤] الدرداء: من وعظ أخاه سرًّا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه.

---

(١) هو البصري الإمام المشهور، رحمه الله.

(٢) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي الخراساني، الإمام القدوة، الثبت شيخ الإسلام، المجاور بحرم الله. ولد بسمرقند، وارتحل في طلب العلم، مناقبه كثيرة. انظر الحلية (٨/ ٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١ ـ ٤٤٢).

(٣) زبره أي منعه ونهاه. انظر المعجم الوسيط (١/ ٣٨٨).

(٤) وهي: هجيمة السيدة العالمة الفقيهة الدمشقية، اشتهرت بالعلم والعمل والزهد، انظر: السير ٤/ ٢٧٧ـ٢٧٩.

وكذلك مقابلة الأذى بإلانة القول، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾(١). وقال تعالى: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾(٢).

وقال بعض السلف: هو الرجل يسبه الرجل، فيقول له: إن كنت صادقاً فيغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فيغفر الله لك.

قال رجل لسالم بن عبدالله ـ وقد زحمت راحلته راحلته في سفر ـ: ما أراك إلا رجل سوء، فقال له سالم: ما أراك أبعدت.

وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي، قال: متى عرفت اسمي؟ ما عرفه أحد من أهل البصرة غيرك.

ومر بعضهم على صبيان يلعبون بجَوْز، فوطىء على بعض الجوز بغير اختياره فكسره، فقال له الصبي: يا شيخ النار، فجلس الشيخ يبكي، ويقول: ما عرفني غيره.

ومرَّ بعضهم مع أصحابه في طريق فرموا عليهم رماداً، فقال الشيخ لأصحابه: من يستحق النار، فصالحوه بالرماد، يعني فهو رابح.

ورأي جندي إبراهيم بن أدهم خارج البلد، فسأله عن العمران، فأشار له إلى القبور، فضرب رأسه ومضى، فقيل له: إنه إبراهيم بن أدهم، فرجع يعتذر إليه، فقال له إبراهيم: الرأس الذي يحتاج إلى اعتذارك تركته ببلخ.

ومر به جندي آخر، وهو ينظر بستاناً لقوم بأجرة فسأله أن يناوله من البستان شيئاً، فلم يفعل، وقال: إن أصحابه لم يأذنوا في ذلك، فضرب رأسه، فجعل إبراهيم يطأطىء رأسه، وهو يقول: اضرب رأساً طالما عصى الله.

مِنْ أَجْلِكَ قَدْ جَعَلْتُ خَدِّي أَرْضاً   لِلشَّامِتِ والحَسُودِ حتَّى تـرضَـى

---

(١) الآية ٩٦ من سورة المؤمنون.

(٢) الآية ٢٢ من سورة الرعد.

الثالث من الدرجات: «الصلاة بالليل والناس نيام»، فالصلاة بالليل من موجبات الجنة، كما سبق ذكره في غير حديث. وقد دل عليه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[1]. فوصفهم بالتيقظ بالليل والاستغفار بالأسحار، وبالإنفاق من أموالهم.

كان بعض السلف نائماً فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: قم فصلِّ، أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل، هم خُزَّانها؟!

وقيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2]، فجعل جزاءه على التهجد بالقرآن بالليل أن يبعثه المقام المحمود، وهو أعلى درجاته ﷺ.

قال عون بن عبدالله: يُدْخِل الله الجنة أقواماً، فيعطيهم حتى يملوا، وفوقهم ناس في الدرجات العلى، فلما نظروا إليهم عرفوهم، فقالوا: ربنا إخواننا، كنا معهم، فيم فضَّلْتَهم علينا؟ فيقول: هيهات هيهات! إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمئون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون.

ويوجب أيضاً من نعيم الجنة ما لم يطلع عليه العباد في الدنيا، قال الله عز وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ، قال: «يَقُولُ الله عزَّ وجلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحينَ: مَالا عَينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، اقرؤا إذا

---

(١) الآيات ١٥ ـ ١٩ من سورة الذاريات.

(٢) الآية ٧٩ من سورة الإسراء.

(٣) الآيتان ١٦، ١٧ من سورة السجدة.

شِئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(١).

قال بعض السلف: أخفوا لله العملَ، فأخفى الله لهم الجزاء، فلو قدموا عليه لأقر لهم تلك الأعين عنده.

ومما يُجزَى به المتهجِّد في الليل: كثرةُ الأزواج من الحور العِيْن في الجنة، فإن المتهجد قد ترك لذة النوم بالليل، ولذة التمتع بأزواجه طلباً لما عند الله عز وجل، فعوّضه الله تعالى خيراً مما تركه، وهو الحور العين في الجنة.

ومن هنا قال بعضهم: طول التهجد مهور الحور العين في الجنة.

وكان بعض السلف يُحيي الليل بالصلاة ففتر عن ذلك، فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: قد كنتَ يا فلان تدأب في الخطبة، فما الذي قصر بك عن ذلك؟ قال: وما ذلك؟ قال: كنت تقوم من الليل، أو ما علمت أن المتهجد إذا قام إلى تهجده. قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطبته.

ورأى بعضهم في منامه امرأة لا تشبه نساء الدنيا، فقال لها: من أنتِ؟ قالت: حوراء أَمَةُ الله، فقال لها: زوِّجيني نفسَكِ، قالت: اخطبني إلى سيدي وامهرني، قال: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

نام بعض المتهجدين ذات ليلة، فرأى في منامه حوراء، تنشده:

أَتَخْطُبُ مِثْلِي وعَنِّي تَنَامُ ... ونَوْمُ المُحبينَ عنَّا حَرامُ
لأنَّا خُلِقْنَا لكُلِّ امْرِئٍ ... كثيرِ الصَّلاة بَراهُ الصِّيَامُ

وكان لبعض السلف وِرْد من الليل فنام عنه ليلة، فرأى في منامه جارية كأنّ وجهَها: القمرُ، ومعها رِقّ فيه كتاب مكتوب، فقالت: أتقرأ؟ قال: نعم. فأعطته إياه، ففتحه فإذا فيه مكتوب:

أَلْهَتْكَ اللَّذائِذُ والأماني ... عَنِ الفِرْدَوْسِ والظُّلَلِ الدَّواني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٦ بدء الخلق) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤ ح ٢٨٢٤ الجنة وصفة نعيمها) كلاهما من حديث أبي هريرة به.

أتلهو بالكرى عن طيب عيشٍ مع الخيرات في غُرف الجنانِ
تعيش مُخلَّداً لا موتَ فيها وتنعمُ في الجنانِ مع الحِسانِ
تيقَّظْ من منامك إنَّ خيراً من النَّوم التَّهجُّدُ بالقُرانِ

فاستيقظ قال: فوالله ما ذكرتها إلا ذهب عني النوم.

كان بعض الصالحين له وِرْدٌ فنام عنه، فوقف عليه فتى في منامه، فقال له بصوت محزون:

تيقَّظْ لِساعاتٍ مِنَ الليلِ يا فتى لعلَّك تحظى في الجنانِ بحُورِها
فتنعَمُ في دارٍ يدومُ نعيمُها مُحمَّدُ فيها والجليلُ يزُورُها
فقمْ وتيقَّظْ ساعةً بعدَ ساعةٍ عَسَاكَ تُوفِّي ما بقى مِنْ مُهورِهَا

كان بعض السلف الصالح كثير التهجد، فبكى شوقاً إلى الله عز وجل ستين سنة، فرأى في منامه كأنه على ضفة نهر يجري بالمسك به شجرُ لؤلؤ ونبت من قضبان الذهب، فإذا بحورٍ مزيناتٍ يقلن بصوت واحد: سُبحان المُسَبَّحُ بكل لسان سبحانه. فقال لهن: ما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذَرَانَا إلهُ الناس رَبُّ مُحَمَّدٍ لِقَوم على الأقدام بالليل قُوَّمُ
يُناجُونَ رَبَّ العَالَمينَ إلهَهُمْ وتَسْري همومُ القوم والنَّاسُ نوَّمُ

فقال: بَخٍ بَخٍ لهؤلاء. من هم لقد أقر الله أعينهم بِكُنَّ؟ فقلن: أَوَما تَعرفهم؟! قال: لا. فقلن: بلى! هؤلاء المتهجدون، أصحاب القرآن والسهر.

وكان بعض الصالحين ربما نام في تهجده فتوقظه الحوراء في منامه، فيستيقظ بإيقاظها.

ورُوِي عن أبي سليمان الداراني[1] أنه قال: ذهب بي النوم ذات ليلة في صلاتي، فإذا بها ـ يعني الحوراء ـ تُنَبِّهني، وتقول: يا أبا سليمان! أترقد وأنا أُرَبَّى

(١) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية أبو سليمان العبسي الداراني، من داريا إحدى قرى دمشق، تقدمت ترجمته.

لك في الخدور منذ خمسمائة سنة؟

وفي رواية عنه أنه نام ليلة في سجوده قال: فإذا بها قد ركضتني برِجلها، وقالت: أحبيْبي، ترقد عيناك والمَلِكُ يقظان؟ ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم، بؤساً، لعينٍ آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ، ولقي المحبّون بعضهم بعضاً، فما هذا الرقاد يا حبيبي، وقرة عيني؟ أترقد عيناك، وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟ فوثب فزعاً، وقد عرق من توبيخها له، قال: وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي.

وكان أبو سليمان يقول: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

وقال يزيد الرَّقَاشي[1] لحبيب العجمي[2]: ما أعلم شيئاً أَقَرَّ لعيون العابدين في الدنيا من التهجد في ظلمة الليل، وما أعلم شيئاً من نعيم الجنان وسرورها ألذ عند العابدين، ولا أَقَرَّ لعيونهم من النظر إلى ذي الكبرياء العظيم إذا رَفع تلك الحُجُب، وتجلى لهم الكريم، فصاح حبيب عند ذلك، وخر مغشيًّا عليه.

وكان السَّرّي[3] يقول: رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل.

وقال أبو سليمان: إذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، [و]أشرف الجليل جَلّ جلاله، ونادى يا جبريل!: بعيني من تلذذ بكلامي، واستروح إلى مناجاتي، ناد فيهم يا

---

(١) يزيد الرقاشي هو يزيد بن أبان أبو عمرو البصري القاص. زاهد ضعيف. مات قبل ١٢٠هـ. انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٣٦١).

(٢) حبيب العجمي أبو محمد الفارسي، زاهد أهل البصرة وعابدهم، صاحب الكرامات، روى عن الحسن البصري وغيره. انظر الحلية ٦/ ١٤٩، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٤٣ ـ ١٤٤) وقال الذهبي فيه: سقت من أخباره في تاريخ الإسلام، وذكره ابن عساكر في تاريخه.

(٣) هو السَّرّي بن المغلِّس السقطي أبو الحسن البغدادي، الإمام القدوة شيخ الإسلام. اشتغل بالعبادة وصحب معروفاً الكرخي. مات ٢٥٣هـ. انظر السير (١٢/ ١٨٥).

جبريل! ما هذا البكاء، هل رأيتم حبيباً يعذب أحباءه، أم كيف يجمل بي أن أعذب قوماً إذا جَنَّهم الليل تملقوني؟ فبي حلفت إذا قدموا عليَّ يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهي ينظرون إلي، وأنظر إليهم.

وسئل الحسن البصري: لم كان المتهجدون أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم نوراً من نوره.

رأت امرأة من الصالحات في منامها كأن حللاً قد فرقت على أهل مسجد محمد بن جُحادة، فلما انتهى الذي يفرقها إليه، دعا بسفط[1] مختوم، فأخرج منه حلة صفراء، قالت: فلم يقم لها بصري، فكساه إياها، وقال: هذه لك بطول السهر، قالت: فوالله لقد كنت أراه ـ تعني محمد بن جُحَادة[2] ـ بعد ذلك فأتخايلها عليه ـ تعني تلك الحلة.

قال كرز بن وبرة: بلغني أن كعباً[3] قال: إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء.

يـا نَفْـسُ فـازَ الصَّـالحُونَ بـالتُّقَى ... وأبْصَـرُوا الحَـقَّ وقَلْبِـي قَـدْ عَمـي
يـا حسنَهُـمْ واللَيْـلُ قَـدْ جَنَّهُـمْ ... ونُـورُهُـمْ يَفُـوقُ نُـورَ الأنْجُـمِ
تَـرَنَّمُـوا بـالـذِّكْـرِ فـي لَيْلِهِـمْ ... فَعَيْشُهُـمْ قَـدْ طَـابَ بـالتَّـرَنُّـمِ
قُلُـوبُهـمْ للـذِّكْـرِ قَـدْ تَفَـرَّغـتْ ... دُمُـوعُهـمْ كـاللـؤلُـؤِ مُنْتَظِـمِ
أنْـوَارُهُـم بِهِـمْ لَهُـمْ قَـدْ أشْـرَقَـتْ ... وخُلَـعُ الغُفْـرانِ خَيْـرُ القِسَـمِ

وفي بعض الآثار: يقول الله عز وجل [كل ليلة]: يا جبريل! أقم فلاناً، وأنم فلاناً.

---

(١) السَّفط: وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه. المعجم الوسيط ١/ ٤٣٣.

(٢) هو محدث ثقة، مات سنة ١٣١هـ، التقريب (٤٧١).

(٣) هو كعب بن ماتِع أبو إسحاق الحميري المعروف بكعب الأحبار. ثقة مخضرم كان من أهل اليمن فسكن الشام. ومات في خلافة عثمان. انظر: التقريب (٢/ ١٣٥).

قام بعض الصالحين في ليلة باردة، وكان على أخلاق[١] رثة، فضربه البرد، فبكى، فسمع هاتفاً يقول: أقمناك وأنمناهم، ثم تبكي علينا.

تَنبَّهُوا أيا أُهَيْلَ وِدِّي كَمْ ذَا الكَرَى هَبَّ نَسِيْمُ نَجْدِ
كَمْ بَيْنَ خالٍ وَجَوٍ وسَاهِرٍ وَراقِدٍ وكَاتِمٍ ومُبْدِيْ

قيل لابن مسعود: ما نسطيع قيام الليل، قال: أبعدتكم ذنوبكم.

وقيل للحسن: أعْجَزَنا قيام الليل، قال: قيدتكم خطاياكم، إنما يؤهل الملوك للخلوة بهم، ومخاطبتهم من يخلص في ودادهم ومعاملتهم، فأما من كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك.

الليْلُ لي ولأحْبَابِي أُحَادِثُهُمْ قَدْ اصْطَفَيْتُهُمُ كي يَسْمَعُوا وَيعُوا
لَهُم قلوبٌ بأسْرَاري لَها مُلِئَتْ على وِدادِي وإرْشادِي لهُم طُبِعُوا
قدْ أثْمَرتْ شَجَراتُ الفَهْمِ عُهدَهُمُ فمَا جَنَوْا إذْ جَنَوْا بِمَا بهِ ارْتَفَعُوا
سَرَوْا فما وهَنُوا عَجْزاً ولاَ ضَعُفُوا ووَاصَلُوا حَبْلَ تَقَريبي فَما انْقَطَعُوا

* * *

---

(١) أخلاق: ثياب بالية قديمة.

الفصل الثالث

في ذكر الدعوات المذكورة في هذا الحديث.

وهي: «اللهُمَّ إنِّي أسألُكَ فِعْلَ الخَيْراتِ، وتَرْكَ المُنْكَراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وأنْ تَغْفِرَ لِي وتَرْحَمَني، وإذَا أرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فاقْبِضْنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وأسألُكَ حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وحُبَّ العَمَلَ الذِي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، فقال النبي ﷺ: تَعَلَّمُوهُنَّ وادْرُسُوهُنَّ فإنَّهُنَّ حَقٌّ».

هذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية وأكملها، فقوله ﷺ: «أسألُكَ فِعْلَ الخَيْراتِ وتَرْكَ المُنْكَراتِ» يتضمن طلب كل خير، وترك كل شر، فإن الخيرات تجمع كل ما يحبه الله تعالى، ويقرب منه من الأعمال والأقوال من الواجبات والمستحبات. والمنكرات تشمل كل ما يكرهه الله تعالى، ويباعد عنه من الأقوال والأعمال؛ فمن حصل له هذا المطلوب، حصل له خير الدنيا والآخرة، وقد كان النبي ﷺ يحب مثل هذه الأدعية الجامعة.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «كانَ النَّبيُّ، ﷺ، يُعْجِبُهُ الجَوَامِعُ مِنَ الدُّعَاءِ، يَدَعُ مَا بيْنَ ذَلِكَ» خرَّجه أبو داود[(١)].

* * *

(١) في سننه (٢/ ٧٧ ح ١٤٨٢ الصلاة) من طريق أبي نوفل عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك. ورواه أيضاً الطيالسي (ص ٢٠٩ ح ١٤٩١)، وأحمد في مسنده (٦/١٤٨، ١٨٩) وابن حبان في صحيحه (١/ ١٤٩ ح ٨٦٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٩ الدعاء) كلهم من الطريق المذكور، أما الطيالسي وأحمد فبلفظ المؤلف. وأما الحاكم فبنحوه. وأما ابن حبان فليس عنده: ويدع ما بين ذلك، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقوله: «وحُبَّ المَسَاكينَ» هذا قد يقال: إنه من جملة فعل الخيرات، وإنما أفرده بالذكر، لشرفه وقوة الاهتمام به، كما أفرد أيضاً ذكر حب الله تعالى، وحب من يحبه، وحب عمل يبلغه إلى حبه، وذلك أصل فعل الخيرات كلها.

وقد يقال: إنه طلب من الله ـ عز وجل ـ أن يرزقه أعمال الطاعات بالجوارح، وترك المنكرات بالجوارح، وأن يرزقه ما يوجب له ذلك، وهو حبه وحب من يحبه، وحب عمل يبلغه حبه.

فهذه المحبة بالقلب موجبة لفعل الخيرات بالجوارح، ولترك المنكرات بالجوارح، وسأل الله تعالى أن يرزقه المحبة فيه، فقد تضمن هذا الدعاء سؤال حب الله ـ عز وجل ـ وحب أحبابه، وحب الأعمال التي تقرب من حبه، والحب فيه، وذلك مقتضى فعل الخيرات كلها.

وتضمن ترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمن اجتناب الشر كله، فجمع هذا الدعاء طلب خير الدنيا.

وتضمن سؤال المغفرة والرحمة، وذلك يجمع خير الآخرة كله، فجمع هذا الدعاء خير الدنيا والآخرة.

والمقصود أن حب المساكين أصل الحب في الله تعالى؛ لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا الله ـ عز وجل ـ والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان، وهو صريح الإيمان، وهو أفضل الإيمان، وهذا كله مروي عن النبي ﷺ أنه وصف به الحب في الله تعالى(١).

---

(١) روى الطبراني في معجم الكبير (١١/ ٢١٥ ح ١١٥٣٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «أي عرى الإيمان... أوثق؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله». وقد حسنه الألباني لشواهده. انظر السلسلة الصحيحة (٩٩٨، ١٧٢٨).

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: به تنال ولاية الله، وبه يوجد طعم الإيمان.

وحب المساكين قد وصَّى به النبي ﷺ غير واحد من أصحابه. قال أبو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ: «أوصاني رسول الله ﷺ أنْ أحِبَّ المساكينَ، وأنْ أدْنُو مِنهُمْ» خرَّجه الإمام أحمد[(١)].

وخرَّج الترمذي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائِشَةُ أحِبِّي المسَاكينَ، وقَرِّبيهمْ، فإنَّ الله يُقَرِّبُكِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٢)].

ويروى أن داود ـ عليه السلام ـ كان يجالس المساكين، ويقول: يا رب! مسكين بين مساكين.

ولم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين. كتب سفيان الثوري إلى بعض إخوانه: عليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم، فإن رسول الله ﷺ كان يسأل ربَّه حبَّ المساكين، وحُبُّ المساكين مستلزمٌ لإخلاص العمل لله تعالى. والإخلاص هو أساس الأعمال الذي لا تثبت الأعمال إلا عليه، فإن حب المساكين يقتضي إسداء النفع إليهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا، فإذا حصل إسداء النفع إليهم حبًّا لهم والإحسان إليهم كان هذا العمل خالصاً.

---

(١) في «المسند» (٥/ ١٥٩) من طريق عبدالله بن الصامت، عن أبي ذر ولفظه: «أمرني خليلي ﷺ بسبع: أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم، وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مرًّا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش». وأشار إليه الهيثمي في «المجمع» ٨/ ١٥٧ وقال: رواه الطبراني في «الصغير» و«الكبير» في حديث طويل، والبزار، ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير سلام بن المنذر وهو ثقة.

(٢) في سننه (٤/ ٧ ح ٢٤٥٧ الزهد) من طريق الليثي، عن أنس، عن عائشة به. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

وقد دل القرآن على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾(٢).

قال سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: نزلت هذه الآية في ستة: فيَّ، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال؛ قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنَّا لا نرضى أن نكون أتباع لهم، فاطردهم عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾(٣).

وقال خباب بن الأرت في هذه الآية: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وعمار وخباب وبلال قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً، تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وُجُوهَ العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العربُ مع هذه الأعبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: «نعم». قالوا: فاكتب لنا

---

(١) الآيتان ٨، ٩ من سورة الإنسان.

(٢) الآية ٥٢ من سورة الأنعام.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٨ ح ٢٤١٣ فضائل الصحابة) من طريق شريح عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر. فقال المشركون للنبي: اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاءالله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾.

ورواه أيضاً عبد بن حميد، وأحمد في مسنديهما، والفريابي (لعله في كتاب القدر)، والنسائي وابن ماجة في سننيهما، وابن المنذر، وابن جرير، وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم، وابن حبان في صحيحه، وأبوالشيخ في العظمة، والحاكم في مستدركه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الدلائل من حديث سعد به. كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥). وهذا لفظ ابن ماجة. انظر سننه (٢/ ١٣٨٣ ح ٤١٢٨ الزهد).

عليك كتاباً. قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليًا ليكتب ونحن قعود في ناحية المسجد، فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[١] الآية.

ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٢] ثم قال: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[٣] قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ الآية، ولا تجالس الأشراف ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾[٤] يعني عيينة، والأقرع.

قال خباب: فكنا نقعد مع النبي ﷺ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم».

خرَّجه ابن ماجة وغيره[٥].

وكان النبي ﷺ يعود المرضى من مساكين أهل المدينة ويشيِّع جنائزهم. وكان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضي

---

(١) الآية ٥٢ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٥٣ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٥٤ من سورة الأنعام.

(٤) الآية ٢٨ من سورة الكهف.

(٥) رواه ابن ماجة في سننه (٢/ ١٣٨٢ ح ٤١٢٧ الزهد) من طريق أبي الكنود عن خباب. وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وقد روى مسلم ـ كما تقدم ـ والنسائي وابن ماجه بعضه من حديث سعد اهـ.

ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنفه وأبو يعلى في مسنده، وأبو نعيم في الحلية، وابن المنذر، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفاسيرهم، وأبو الشيخ في العظمة، والبيهقي في الدلائل من حديث خباب، كما ذكره السيوطي في الدر (٣/ ٢٥).

حاجتهما[١].

وعلى هذا الهَدْي كان أصحابه من بعده، والتابعون لهم بإحسان.

فيُرْوَى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان جعفر ابن أبي طالب يحب المساكين، ويجلس إليهم ويحدثهم، ويحدثونه، وكان النبي ﷺ يكنيه أبا المساكين[٢].

وفي رواية: أنه كان يطعمهم، وربما أخرج لهم عكة العسل فشقوها ولعقوها[٣].

وكانت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين تسمى أم المساكين؛ لكثرة إحسانها إليهم، وتوفيت في حياة النبي ﷺ.

وقال ضرار بن مرة في وصف علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في أيام خلافته: كان يُعظِّم أهل الدين، ويحب المساكين.

ومر ابنُه الحسن ـ رضي الله عنهما ـ على مساكين يأكلون فدعوه فأجابهم وأكل معهم وتلا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٤]، ثم دعاهم إلى منزله فأطعمهم وأكرمهم.

---

(١) مشْيُ النبي ﷺ مع المساكين والأرامل، وقضاء حاجتهما له ذكر في حديث عبدالله ابن أبي أوفى رواه النسائي في سننه (٣/ ١٠٩ الجمعة) والحاكم في مستدركه (٢/ ٦١٤ التاريخ) بلفظ: ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة. وهذا لفظ النسائي. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٣٢١ ح ٣٨٥٥ مناقب جعفر بن أبي طالب)، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٨١ ح ٤١٢٥ الزهد) كلاهما من طريق سعيد المقبري عنه. وذكر الترمذي قصة له، وقال: هذا حديث غريب. وأبو إسحاق المخزومي هو إبراهيم بن الفضل المديني، وقد تكلم فيه بعض أهل الحديث من قبل حفظه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٩ مناقب جعفر بن أبي طالب) من حديث أبي هريرة ـ أيضاً ـ في حديث طويل. قال: كان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا الذكة التي ليس فيها شيء، فيشقّها فنلعق ما فيها.

(٤) الآية ٢٣ من سورة النحل.

وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لا يأكل غالباً إلا مع المساكين، وكان يقول: لعل بعضَ هؤلاء أن يكون مَلِكاً يوم القيامة.

وجاء مسكين أعمى إلى ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وقد ازدحم الناس عنده، فناداه: يا أبا عبدالرحمن! أدنيت أرباب الخز واليمنية، وأقصيتني لأجل أني مسكين، فقال له: أدن، فلم يزل يدنيه، حتى أجلسه إلى جانبه وبقربه.

وكان مطرف بن عبدالله يلبس الثياب الحسنة، ثم يأتي المساكين ويجالسهم.

وكان سفيان الثوري يعظم المساكين، ويجفُو أهل الدنيا، فكان الفقراء في مجلسه هم الأغنياء، والأغنياء هم الفقراء.

وقال سليمان التيمي: كنا إذا طلبنا علية أصحابنا وجدناهم عند الفقراء والمساكين.

وقال الفضيل[(١)]: من أراد عز الآخرة فليكن مجلسه مع المساكين.

ومن فضائل المساكين أنهم أكثر أهل الجنة، كما قال النبي ﷺ: **«قُمْتُ عَلَى بَابِ الجنَّةِ فإذَا عامَّةُ مَنْ دَخلَهَا المَسَاكينُ»**[(٢)].

وقال ﷺ: **«تحَاجَّت الجنَّةُ والنَّارُ، فقَالتِ الجَنَّةُ: لا يَدْخُلُنِي إلاَّ الضُّعَفَاءُ والمَسَاكِينُ»**[(٣)].

---

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود أبو علي الإمام القدوة الزاهد المتعبد. انظر مناقبه في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١ـ٤٤٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٥٠ النكاح) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٦ ح ٢٧٣٦ الرقاق) كلاهما من حديث أسامة به بزيادة: «وأصحاب الجد محبوسون، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها من النساء». وهذا لفظ البخاري.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٤٨ تفسير سورة ق) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٦ ح ٢٨٤٦ الجنة وصفة نعيمها) كلاهما من حديث أبي هريرة، وهذا لفظ مسلم.

وسئل النبي ﷺ عن أهل الجنة؟ فقال: «كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعَّفٍ»(١).

وهم أوَّل الناس دخولاً، كما صح عنه ﷺ: «إنَّ الفُقَراءَ يَسْبِقُونَ الأَغْنياءَ إلى الجَنَّةِ بأَرْبَعينَ عَاماً»(٢).

وفي رواية: «أنَّهُمْ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وهُوَ خَمْسُمَائةِ سَنَةٍ»(٣).

وهم أول الناس إجازة على الصراط، كما صح عنه ﷺ أنه سئل من أول الناس إجازة على الصراط؟ فقال: «فُقَرَاءُ المُهَاجِرينَ»(٤).

وهم أول الناس وروداً على الحوض، كما قال النبي ﷺ: «أوَّلُ النَّاسِ وُرُوداً عَلى الحَوْضِ: فُقَراءُ المُهاجِرينَ، الشُّعَثَةُ رُؤُسُهُمْ، الدَنَسَةُ ثِيَابُهُمْ، الذِينَ لاَ يَنْكِحُونَ المُتَنَعِّمَاتِ، ولا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ»(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٧٢ تفسير سورة التحريم) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٠ ح ٢٨٥٣ الجنة) كلاهما من حديث حارثة بن وهب به، بزيادة: «لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر». وهذا لفظ البخاري.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٥ ح ٢٩٧٩) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، إلا أنه قال: «خريفاً» بدل «عاماً». وبهذا اللفظ رواه أحمد (٢/ ١٦٩) من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه (٢/ ١٣٨٠ ح ١٤٢٢ الزهد) من حديث أبي هريرة به.
ورواه الترمذي في سننه (٤/ ٨ ح ٢٤٥٦ الزهد) من حديث أبي سعيد ولكنه قيدهم بالمهاجرين.
وقال: وفي الباب عن أبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وجابر. وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٥٢ ح ٣١٥ الحيض) عن ثوبان به في حديث طويل: أن حبراً من أحبار اليهود سأل النبي ﷺ أسئلة عديدة منها، فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين».

(٥) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) والترمذي في سننه (٤/ ٤٨ ح ٢٥٦١ القيامة) وابن ماجة في سننه (٢/ ١٤٣٨ ح ٤٣٠٣ الزهد) والطبراني في الكبير (٢/ ٩٩ ح ١٤٣٧) والحاكم (٤/ ١٨٤) كلهم من حديث ثوبان في وصف الحوض ومن يرده، ثم سأل عمر: من هم يا رسول الله؟ فوصفهم به. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقال الحاكم: هذا حديث=

وهم أتباع الرسل كما أخبر الله تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ أن قومه عيَّروه باتباع الضعفاء له، قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾[(١)]. وكذلك قال هرقل لأبي سفيان لما سأله عن النبي ﷺ: وهل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، قال هرقل: هم أتباع الرسل[(٢)].

وهم أفضل من الأغنياء عند كثير من العلماء أو أكثرهم. وقد دل على ذلك أدلة كثيرة.

منها: قول النبي ﷺ حين مرَّ به الغني والمسكين في المسجد: «هَذَا ـ يعني المسكين ـ خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِنْ هَذَا ـ يعني الغني ـ». وقد خرَّجه البخاري وغيره[(٣)].

ومنهم من لو أقسم على الله لأبرّه، كما في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال في أهل الجنة: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّهُ»[(٤)].

وفي رواية خرَّجها ابن ماجة[(٥)]: «أَنَّهُمْ مُلُوكُ أَهْلِ الجنَّةِ».

= صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وذكره المنذري في الترغيب (٤/ ١٣٥ ح ١٠) وقال: رواه الطبراني، ورواته رواة الصحيح. ورواه أيضاً الآجري في الشريعة (ص ٣٥٣).

(١) الآية ١١١ من سورة الشعراء.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥ بدء الوحي) ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٩٤ ح ١٧٧٣ الجهاد) كلاهما من حديث ابن عباس به في حديث طويل.

(٣) في صحيحه (٦/ ١٢٣ النكاح) من حديث سهل بن سعد قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يُشفَّع، وإن قال أن يستمع... فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يستمع. فقاله النبي ﷺ، إلا أن عنده: «مثل هذا» بدل «من هذا».

ورواه أيضاً ابن ماجة في سننه (٢/ ١٣٧٩ ـ ١٣٨٠ ح ٤١٢٠ الزهد) من حديث سهل أيضاً بلفظ البخاري المتقدم آنفاً.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في سننه (٢/ ١٣٧٨ ح ٤١١٥ الزهد) من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً: «ألا أخبرك عن ملوك =

وفي الحديث المشهور: «رُبَّ أشْعَثَ أغْبرَ ذِي طِمْرَيْنِ مَدْفُوعٍ بالأبوابِ لَوْ أقْسَمَ علَى الله لأبَرَّهُ». خرَّجه الحاكم وغيره(١).

رُبَّ ذِيْ طِمْـــرَيْـــنِ نِضْـــو يَـــأمَـــنِ العَـــالَـــمُ شَـــرَّه
لا يُـــــرَى إلا غَنِيًّـــــا وهُـــــوَ لا يَمْلِـــــكُ ذَرَّه
ثُـــمَّ لَـــو أقْسَـــمَ علـــى الله فـــي شـــيءٍ أبَـــرَّه

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: كونوا جدد القلوب، خلقان الثياب، سرج الليل، مصابيح الظلام، تعرفون في أهل السماء، وتخفون على أهل الأرض.

طُـوبـى لِعَبْـدٍ بِحَبْـلِ الله مُعْتَصِمـه عَلى صراطٍ سَويٍّ ثـابِـتٌ قَـدَمُـهْ
رَث اللِّبـاسِ جَـديـدُ القَلْـبِ مُسْتَتِـرٌ في الأرضِ مُشْتَهَرٌ فوقَ السَّماءِ سَمُهْ
مـا زالَ يَسْتَحْقِـرُ الأولـى بهمَّتِـهِ حتى تَرَقَّتْ إلى الأخْرَى بِهِ هِمَمُهْ
فَـذَاكَ أعظَـمُ مِـن ذِي التَّـاجِ مُتَّكِئـاً علـى النَّمـارِقِ مُحْتَفـاً بـِهِ خَـدَمُـهْ

* * *

واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة:

منها أنها توجب إخلاص العمل لله ـ عز وجل ـ؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله ـ عز وجل ـ؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالباً، فأما من أحسن إليهم؛ ليمدح بذلك فما أحسن إليهم حبًّا لهم، بل حبًّا لأهل الدنيا،

= الجنة؟» قلت: بلى. قال: «رجل ضعيف، مستضعف، ذو طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره».

(١) في المستدرك (٤/ ٣٢٨ الرقاق) من حديث أبي هريرة به إلا قوله: «مدفوع بالأبواب» وعنده: «تنبو عنه أعين الناس..» وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الحاكم: أظن مسلماً أخرجه.
قلت: وهو كذلك رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٤ ح ٢٦٢٢ البر والصلة) من حديث أبي هريرة أيضاً، ولكن بلفظ المؤلف دون قوله: «أغبر ذي طمرين».
طمرين. الطِّمر: الثوب الخلق. قاله ابن الأثير في النهاية (٣/ ١٣٨).

وطلباً لمدحهم له بحب المساكين.

ومنها أنها تزيل الكبر، فإن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين، كما سبق عن رؤساء قريش والأعراب، ومن حذا حذوهم من هذه الأمة ممن تشبه بهم حتى أن بعض علماء السوء كان لا يشهد الصلاة في جماعة خشية أن تزاحمه المساكين في الصف، ويمتنع بسبب هذا الكبر فيفوته خيرٌ كثيرٌ جدًّا، فإن مجالس الذكر والعلم تقع فيها كثيراً مجالسة المساكين، فإنهم أكثر هذه المجالس، فيمتنع المستكبر من هذه المجالس بتكبره. وربما كان المسموع منه الذكر والعلم من جملة المساكين، فيأنف أهل الكبر من التردد في مجلسه، لذلك فيفوتهم خير كثير.

وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾(١) يشيرون إلى عظماء مكة والطائف، كعتبة بن ربيعة، وأخيه شيبة، ونحوهما من صناديد قريش وثقيف، ذوي الأموال والشرف فيهم، ممن كان أكثر مالاً من محمد ﷺ وأعظم رئاسة عندهم، ورد عليهم سبحانه بأنه يقسم رحمته كما يشاء(٢)، وأنه كلما رفع درجات بعضهم على بعض في الدنيا، فكذلك يرفعها في الآخرة، وأن رحمته بالنبوة والعلم والإيمان خير مما يجمعونه من الأموال التي تفنى، فهو يختص بهذه الرحمة الدينية من يشاء، ويرفعه على أهل النعم الدنيوية.

وقد خص محمداً ﷺ بما لم يشركه فيه غيره من هذه النعم، كما قال الله تعالى له: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٣).

---

(١) الآية ٣١ من سورة الزخرف.

(٢) كما قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

(٣) الآية ١١٣ من سورة النساء.

وقد كان علي بن الحسين يجلس في مجلس زيد بن أسلم فيعاتب على ذلك، فيقول: إنما يجلس المرء حيث يكون له فيه نفع *، أو كما قال، يشير إلى أنه ينتفع بسماع ما يسمعه من العلم والحكمة. وزيد بن أسلم أبوه مولى لعمر ـ رضي الله عنه ـ وابن الحسين سيد بني هاشم وشريفهم.

ولما اجتمع الزهري[١] وأبو حازم الزاهد[٢] بالمدينة عند بعض بني أمية ـ لما حج ـ وسمع الزهري كلام أبي حازم وحكمته أعجبه ذلك، وقال: هو جاري منذ كذا وكذا، وما جالسته ولا عرفت أن هذا عنده، فقال له أبو حازم: أجل إني من المساكين، ولو كنت من الأغنياء لعرفتني، فوبّخه بذلك.

وفي رواية عنه، أنه قال له: لو أحببت الله لأحببتني، ولكنك نسيت الله فنسيتني.

يشير إلى أن من أحب الله تعالى أحب المساكين من أهل العلم والحكمة لأجل محبته لله تعالى، ومن غفل عن الله تعالى غفل عن أوليائه من المساكين، فلم يرفع لهم رأساً، ولم ينتفع بما اختصهم الله ـ عز وجل ـ به من الحكمة والعلوم النافعة التي لا توجد عند غيرهم من علماء أهل الدنيا.

وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن أهله، والغالب عليهم المسكنة، وعدم المال، والرفعة في الدنيا، ويدعون أهل الرئاسات والولايات فلا يأخذون عنهم ما عندهم من العلم بالكلية.

ومنها أنه يوجب صلاح القلب وخشوعه.

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيدالله الزهري القرشي أبو بكر، من أحفظ أهل زمانه للسنن وأحسنهم لها سياقاً، وكان فقيهاً فاضلاً، مات سنة أربع وعشرين ومائة. انظر ترجمته في «تقريب التهذيب» ص (٥٠٦).

(٢) أبو حازم هو سلمة بن دينار أبو حازم المدني، ثقة عابد، مات في خلافة المنصور، «التقريب» ص (٢٤٧).

* انظر تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٦) ترجمة زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة المدني الفقيه.

وفي «المسند» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «إنْ أحْببْتَ أن يَلينَ قَلْبُكَ فَاطْعِمِ المِسْكِينَ، وامْسَحْ رَأسَ اليَتيم»(١).

ومنها أن مجالسة المساكين توجب رضا من يجالسهم برزق الله ـ عز وجل ـ وتعظم عنده نعمة الله ـ عز وجل ـ بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب التسخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه. وقد نهى الله ـ عز وجل ـ نبيه ﷺ عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾(٢).

وقال النبي ﷺ: «انْظُرُوا إلى مَنْ دُونَكُمْ ولا تَنْظُرُوا إلَى مَنْ فَوْقَكُمْ، فإنَّهُ أجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا(٣) نِعْمَةَ الله عليْكُمْ»(٤).

قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ: أوصاني رسول الله ﷺ أن أنظر إلى من دوني ولا أنظر إلى من فوقي، وأوصاني أن أحب المساكين، وأن أدنوَ منهم(٥).

وكان عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود يجالس الأغنياء فلا يزال في غم؛ لأنه لايزال يرى من هو أحسن منه لباساً ومركباً، وطعاماً ومسكناً، فتركهم

---

(١) لأحمد (٢/ ٢٦٣) من طريق أبي عمران الجوني عن رجل عنه، في ص ٣٨٧ من طريق أبي عمران عنه. وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٣) عن أبي هريرة بمثله. وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) الآية ١٣١ من سورة طه.

(٣) الازدراء: الاحتقار والانتقاص، والعيب، وهو افتعال من زريت.. فقلبت التاء دالاً لأجل الزاي. قاله ابن الأثير في النهاية (٢/ ٣٠٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٥ ح ٢٩٦٣ الزهد) من حديث أبي هريرة به إلا قوله: «دونكم» فعنده: «أسفل منكم».

ورواه البخاري (٧/ ١٨٧ الرقاق) ومسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه».

(٥) تقدم تخريجه.

وجالس المساكين فاستراح من ذلك[١].

قد روي عن النبي ﷺ أنه نهى عائشة عن مخالطة الأغنياء[٢].

وقال عمر: إياكم والدخول على أهل السعة، فإنه مسخطة للرزق.

واعلم أن المسكين إذا أطلق يراد به غالباً من لا مال له يكفيه، فإن الحاجة توجب السكون والتواضع، بخلاف الغنى فإنه يوجب الطغيان. ولهذا ذم الفقير المختال، وعظم وعيده؛ لأنه عصى بما ينافي فقره، وهو الاختيال والزهو، والكبر.

ولما كان المسكين عند الإطلاق لا ينصرف إلا إلى من لا كفاية له من المال، وصى الله تعالى بإيثار المساكين، وإطعامهم الطعام، ومدح من يطعمهم، وذم من لا يحض على إطعامهم، وجعل لهم حقًّا في أموال الصدقات والفيء، وخُمْس الغنائم وحضور قسمة الأموال.

وهؤلاء المساكين على قسمين:

أحدهما: من هو محتاج في الباطن، وقد أظهر حاجته للناس.

والثاني: من يكتم حاجته، ويظهر للناس أنه غنيٌّ، فهذا أشرف القسمين.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤٢) من طريق سفيان عن عون بن عبدالله قال: صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غمًّا مني فإن رأيت رجلاً أحسن ثياباً مني وأطيب ريحاً مني غمني ذلك. فصحبت الفقراء فاسترحت اهـ. قال الترمذي في سننه (٣/ ١٥٦ اللباس) ويروى عن عون بن عبدالله بن عتبة قال: صحبت الأغنياء . . . وساقه إلى آخر اللفظ المذكور في رواية أبي نعيم.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٣/ ١٥٥ ح ١٨٣٩ اللباس) والحاكم في مستدركه (٤/ ٣١٢ الرقاق) كلاهما من طريق عروة بن الزبير عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقي ثوباً حتى ترقّعيه». وهذا لفظ الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان. سمعت محمداً [يعني البخاري] يقول: صالح بن حسان منكر الحديث. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقد مدح الله ـ عز وجل ـ هذا في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾(١).

وقال النبي ﷺ: «لَيْسَ المِسكينَ بهَذَا الطَّوَافِ الذِي تَرُدُّهُ اللقْمَةُ واللقْمَتَانِ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، ولَكِنَّ المِسْكينَ مَنْ لا يَجِدُ غِنىً يُغْنيهُ، ولا يُفْطَنُ لهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ»(٢).

قال بعضهم: هذا المحروم المذكور في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩﴾(٣).

فأخبر النبي ﷺ أن من كتم حاجته فلم يفطن له أحق باسم المسكين من الذي أظهر حاجته بالسؤال، وأنه أحق بالبر منه. وهذا يدل على أنهم كانوا لا يعرفون من المساكين إلا من أظهر حاجته بالسؤال.

وبهذا فرق طائفة من العلماء بين الفقير والمسكين، فقالوا: من أظهر حاجته فهو مسكين، ومن كتمها فهو فقير.

وفي كلام الإمام أحمد إيماء إلى ذلك، وإن كان المشهور عنه أن التفريق بينهما بكثرة الحاجة وقلتها، كقول كثير من الفقهاء. وهذا حيث جُمِعَ بين ذكر الفقير والمسكين، كما في آية(٤) الصدقات، فأما إذا أفرد أحد الاسمين دخل فيه الآخر عند الأكثرين.

وقد كان كثير من السلف يكتم حاجته ويُظْهِر الغنى تعففاً وتكرماً، منهم:

---

(١) الآية ٢٧٣ من سورة البقرة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣١ الزكاة). ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٩ ح ١٠٣٩ الزكاة) كلاهما من حديث أبي هريرة وهذا لفظ مسلم وعند البخاري: «الأكلة والأكلتان».

(٣) الآية ١٩ من سورة الذاريات، و٢٥ من سورة المعارج.

(٤) وهي: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ الآية ٦٠ من سورة التوبة.

إبراهيم النخعي، كان يلبس ثياباً حسناء، ويخرج إلى الناس، وهم يرون أنه تَحِلُّ له الميتة من الحاجة.

وكان بعض الصالحين يلبس الثياب الجميلة، وفي كُمِّه مفتاح دار كبيرة، ولا مأوى له إلا المساجد. وكان آخر لا يلبس جبة في الشتاء؛ لفقره، ويقول: بي علة تمنعني من لبس المحشو، وإنما يعني بها الفقر.

إنَّ الكَريمَ لَيُخْفي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حتَّى تَراهُ غَنِيًّا وهْوَ مَجهُودُ

وكان بعكس هؤلاء من يلبس ثياب المساكين مع الغنى، تواضعاً لله ـ عز وجل ـ وبعداً عن الكِبْر، كما كان يفعله الخلفاء الراشدون الأربعة وبعدهم عمر بن عبدالعزيز. وكذلك كان جماعة من الصحابة، منهم: عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص ـ وغيرهما ـ رضي الله عنهم ـ.

ورُوي أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كان يُنْشِدُ:

إذَا أرَدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلّهم فانْظُرْ إلى مَلِكٍ في زِيِّ مِسكيْنِ
ذَاكَ الذيْ حَسُنَتْ في النَّاسِ سيْرَتُهُ وذَاكَ يَصْلُحُ للدُّنيَا وللدِّينِ

وكان علي ـ رضي الله عنه ـ يعاتَب على لباسه، فيقول: هو أبعد عن الكبر، وأجدر أن يقتديَ بي المسلمُ.

وعوتب عمر بن عبدالعزيز على ذلك، فقال: إن أفضل القصد عند الجِدَّة، يعني أفضل ما اقتصد الرجل في لباسه مع قدرته ووجدانه.

وفي «سنن أبي داود» وغيره(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «البَذَاذَةَ مِنَ

(١) رواه (٤/ ٧٥ ـ ٧٦ ح ٤١٦١ الترجل) وابن ماجة (٢/ ١٣٧٩ ح ٤١١٨ الزهد) كلاهما من حديث أبي أمامة الحارثي، وهذا لفظ ابن ماجة. وله قصة عند أبي داود: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ عنده الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمعون، ألا تسمعون: إن البذاذة من الإيمان» مرتين يعني التقحل، وبروايتهما ذكره المنذري في الترغيب (٣/ ١٠٨ ح ٣) فقال: تكلم أبو عمر النمري في هذا الحديث. ورواه أيضاً أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، كما ذكره النبهاني في الفتح الكبير (٢/ ١٨).

الإِيْمَانِ» يعني التَّقَشُّف.

وفي «الترمذي»[١] عن النبي ﷺ: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً لله عزَّ وجلَّ وهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ [على رُؤُسِ الخَلائِقِ][٢] حتَّى يُخيِّرَهُ مِنْ أيِّ حُلَلِ الجنَّةِ شَاءَ يَلْبَسُها».

وخرجه أبو داود من وجه آخر ولفظه: «مَنْ تَرَكَ ثَوْبَ جَمَالٍ وهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ» ـ [قال بشر[٣]] أحسبه قال: تواضعاً ـ كَسَاهُ الله حُلَّةَ الكَرَامَةِ»[٤].

وإنما يُذَمُّ من ترك اللباس مع قدرته عليه بخلاً على نفسه أو كتماناً لنعمة الله ـ عز وجل ـ وفي هذا جاء الحديث المشهور: «إنَّ الله إذا أنْعَمَ على عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ على عَبْدِهِ»[٥].

ومن لبس لباساً حسناً إظهاراً لنعمة الله، ولم يفعله اختيالاً كان حسناً.

---

(١) سننه (٤/ ٦٣ ح ٢٥٩٨ صفة القيامة) من حديث معاذ بن أنس به إلا قوله: «الجنة» فعنده: «الإيمان». ورواه أيضاً أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٩) والحاكم في مستدركه (٤/ ١٨٤) من حديث معاذ بن أنس أيضاً باللفظ المذكور. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من سنن الترمذي (٤/ ٦٣).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من سنن أبي داود (٤/ ٢٤٨).

(٤) في سننه (٤/ ٢٤٨ ح ٤٧٧٨ الأدب) عن رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه به، وزاد: «ومن زوج لله تعالى توجه الله تاج الملك». وأورده بهذا اللفظ المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٠٧ ح ٢) وعزاه إلى أبي داود في سننه، وقال: رواه البيهقي من طريق زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه بزيادة بعض الأمور.

(٥) رواه الطبراني في الكبير، (١٨/ ١٣٥، ١٨٠ ح ٢٨١، ٤١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٧١) من حديث عمران بن حصين به، وأشار إليه الترمذي في سننه بعدما رواه من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده». وقال: هذا حديث حسن. وقال وفي الباب: عن أبي الأحوص عن أبيه عمران بن حصين، وابن مسعود. وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (١٧٠٨) والسلسلة الصحيحة (١٢٩٠). ورواه أحمد (٤/ ٤٣٨) بلفظ: «من أنعم الله عز وجل. . . الحديث». وقال الهيثمي (٥/ ١٣٥): رجال أحمد ثقات.

وكان كثير من الصحابة والتابعين يلبسون لباساً حسناً، منهم: ابن عباس، والحسن البصري.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن الرجل يحب أن يكون لباسه حسناً، ونعله حسناً، قال: «لَيْسَ ذَلِكَ بالكِبْرِ، إنَّمَا الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ»(١).

يعني التكبر عن قبول الحق والانقياد له، واحتقار الناس وازدراءهم، فهذا هو الكبر، وأما مجرد اللباس الحسن الخالي عن الخيلاء فليس بكبر، واحتقار الناس مع رثاثة اللباس كبر.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان ماشياً في طريق، وهناك أَمَةٌ سوداء، فقال لها رجل: الطريق الطريق للنبي ﷺ، فقالت: الطريق يمنة ويسرة، فقال النبي ﷺ: «دَعُوهَا فإنَّها جَبَّارَةٌ»(٢) خرَّجه النسائي وغيره(٣).

وفي رواية للطبراني وغيره، قالوا: يا رسول الله! إنها - يعني - مسكينة،

---

(١) برواية مسلم في صحيحه (١/ ٩٣ ح ٩١ الإيمان) بإسناده عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس».

- «بطر الحق» دفعه وإنكاره ترفعاً وتجسراً. و«غمط الناس» احتقارهم. ذكره محمد فؤاد عبدالباقي تعليقاً عليه. انظر صحيح مسلم الهامش (١/ ٩٣).

(٢) جبارة. الجبّار: القاهر العالي المتسلط. يقال قلب جبار لا تدخله الرحمة ولا يقبل الموعظة. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٠٥).

(٣) في عمل اليوم والليلة من طريق أبي بردة ابن أبي موسى عن أبيه عبدالله بن قيس: بينما رسول الله ﷺ يمشي، وامرأة بين يديه . . . الحديث. كما ذكره المزي في التحفة (٥/ ٤٥٥ ح ٩٠٤٧). ورواه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٣٤ ح ٣٢٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٩١) كلاهما من حديث أنس بنحوه. وذكره ابن حجر في المطالب (٣/ ١٨٩ ح ٣٢١٥). وقال البوصيري: رواه أبو يعلى عن يحيى بن عبدالحميد الحماني وقد ضعفه الجمهور. انظر هامش المطالب برقم (٢).

وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٤) وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وأبي يعلى في مسنده وفيه يحيى الحماني ضعفه أحمد ورماه بالكذب. ورواه البزار وضعفه براو آخر.

قال: «إنَّ ذَاكَ في قَلْبِها»[١]. يعني إن الكبر في قلبها وإن كان لباسها لباس المساكين.

وقال الحسن: إن قوماً جعلوا التواضع في لباسهم، والكبر في صدورهم، إن أحدهم أشد كبراً بمدرعته من صاحب السرير بسريره، وصاحب المنبر بمنبره.

قال أحمد ابن أبي الحواري: قال لي سليمان ابن أبي سليمان، وكان يعدل بأبيه أي شيء أرادوا أي شيء أرادوا بثياب الصوف؟ قلت: التواضع، قال: وما يتكبر أحدهم إلا إذا لبس الصوف؟ وقال أبو سليمان: يكون ظاهرك قطنيًّا، وباطنك صوفيًّا.

وقال أبو الحسن ابن بشار: صوّف قلبك، والبس القهوي على القهوي، يعني رفيع الثياب.

فمتى أظهر الإنسان لباس المساكين لدعوى الصلاح ليشتهر بذلك عند الناس كان ذلك كبراً ورياء. ومن هنا ترك كثير من السلف المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصالحين، وقالوا: إنه شهرة.

ولما قدم سيار أبو الحكم[٢] البصرة لزيارة مالك بن دينار لبس ثياباً حسنة، ثم دخل المسجد، فصلى صلاة حسنة، فرآه مالك ولم يعرفه، فقال له: يا شيخ! إني أرغب بك عن هذه الثياب مع هذه الصلاة، فقال له: يا مالك ثيابي هذه تضعني عندك أم ترفعني؟ قال: بل تضعك، فقال: نعم الثوب. ثوب يضع صاحبه عند الناس، ولكن انظر يا مالك لعل ثوبيك هذين ـ يعني الصوف ـ أنزلاك من الناس ما لم ينزلاك من الله، فبكى مالك، وقام إليه واعتنقه، وقال له: أنشدك الله

---

(١) في المعجم الكبير من حديث أبي موسى كما ذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٤) وأعله ببلال ابن أبي بردة.

(٢) هو سيار بن وردان أبو الحكم الواسطي العنزي الإمام الحجة القدوة الرباني. قال أحمد: ثقة، ثبت. توفي ١٢٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

أنت سيار أبو الحكم؟ قال: نعم[١].

فلهذا كره من كره من السلف، كابن سيرين وغيره لباس الصوف حيث صار شعار الزاهدين، فيكون لباسه اشهاراً للنفس، وإظهاراً للزهد.

وأما النبي ﷺ فكان يلبس ما وجد، فتارة يلبس لباس الأغنياء من حلل اليمن، وثياب الشام ونحوها، وتارة يلبس لباس المساكين، فيلبس جبة من صوف أحياناً، وأحياناً يتَّزر بعباءة، ويهنؤ[٢] إبل الصدقة بيده، ـ يعني أنه يطليها بيده ويصلحها ـ كما يفعل أرباب الإبل بها، ولم يبعث الله نبيًّا من أهل الكبر، وإنما يبعث من لا كِبرَ عنده، ولا يتكبر عن معالجة الأشياء التي يأنف منها المتكبرون، كرعاية الإبل، والغنم، وإجارة نفسه عند الحاجة إلى الاكتساب، ومن أعطاه الله منهم ملكاً، فإنه يزاد به تواضعاً لله ـ عز وجل ـ كداود، وسليمان، ومحمد صلى الله عليهم وسلم تسليماً كثيراً.

وقد يُطلق اسم المسكين، ويُراد به من استكان قلبه لله ـ عز وجل ـ وانكسر له، وتواضع لجلاله، وكبريائه، وعظمته، وخشيته، ومحبته، ومهابته.

وعلى هذا المعنى حمل بعضهم الحديث المروي عن النبي ﷺ أنه قال: **«اللهُمَّ احْيِنِي مِسْكيناً، وأمِتْنِي مِسْكيناً، واحْشُرنِي في زُمْرَةِ المسَاكِين»**. خرَّجه الترمذي من حديث أنس[٣]، وخرجه ابن ماجة من حديث ابن عباس[٤]، وفي

---

(١) ذكره الذهبي في السير (٥/ ٣٩٢) من طريق فضيل بن عياض قال: دخل سيار... ثم ساق بنحوه مختصراً. دون ذكر بكاء مالك وما بعده.

(٢) قال ابن الأثير: هنأت البعير أهنؤه: إذا طليته بالهناء وهو القطران. أنظر: النهاية (٥/ ٢٧٧).

(٣) في سننه (٤/ ٨ ح ٢٤٥٧ الزهد) من طريق الليثي عن أنس به بزيادة... يوم القيامة»، فقالت عائشة: لمَ يا رسول الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم.. الحديث. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٤) لم أجده عن ابن عباس عند ابن ماجة في سننه، فلعله أخرجه عنه في إحدى مصنفاته الأخرى، ولكنه رواه في السنن (٢/ ١٣٨١ ـ ١٣٨٢ ح ١٤٢٦ الزهد) من حديث أبي سعيد به. وقال البوصيري في «الزوائد»: والحديث صححه الحاكم، وعده ابن الجوزي من الموضوعات. =

حمله على ذلك نظر؛ لأن في تمام حديثيهما ما يدل على أن المراد به المساكين من المال؛ لأنه ذكر سبقهم الأغنياء إلى الجنة مع أن في إسناد الحديثين ضعفاً.

وقد خُيِّر النبي ﷺ بين أن يكون نبيًّا مَلِكاً، أو عبداً رسولاً، فأشار إليه جبريل ـ عليه السلام ـ أن تَواضَع، فقال ﷺ: «بل عبداً رسُولاً» وكان بعد ذلك لا يأكل متكئاً، ويقول: «آكُلُ كمَا يَأكُلُ العَبْدُ، وأَجْلِسُ كمَا يَجْلِسُ العَبْدُ»(١).

قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: **فأَعْطَانِي الله لذَلِكَ أنْ جَعَلَني سيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وأوَّلَ شَافِعٍ، وأوَّلَ مَنْ تَنشَقُّ عنهُ الأرضُ»(٢).**

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّما أنا عَبْدٌ، فقُولوا عَبْدَ الله ورَسُولَه**»(٣).

فأشرف أسمائه: عبدالله، ولهذا سمي بهذا الاسم في القرآن في أفخر مقاماته.

فلما حقق ﷺ عبوديته لربه حصلت له السيادة على جميع الخلق.

= وقال السيوطي: قال الحافظ صلاح الدين بن العلائي: الحديث ضعيف السند لكن لا يحكم عليه بالوضع. وقال العلاء: إنه ينتهي بمجموع طرقه إلى درجة الصحة. وقال ابن حجر: قد حسن الترمذي؛ لأن له شاهداً.

وانظر هامش سنن ابن ماجة. والإرواء للألباني رقم (٨٦١ ج ٣/ ص ٣٥٨ ـ ٣٦٣). وقد صححه وذكر له شواهد كثيرة منها حديث ابن عباس وعزاه إلى الشيرازي في الألقاب. وقال الألباني: والحديث بمجموعهن أحسن: وقد جزم العلائي بصحته.

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٣١٨ ح ٤٩٢٠) ومن طريقه أبو الشيخ في أخلاق النبي وآدابه (ص ١٩٧ كما ذكره حسين سليم في تحقيقه لمسند أبي يعلى) ومن طريق أبي الشيخ رواه البغوي في شرح السنة (١٣/ ٢٣٨ ح ٣٦٨٣) كلهم من حديث عائشة بمثله.

وذكره الهيثمي (٩/ ٢٢) وعزاه إلى أبي يعلى وقال: إسناده حسن.

(٢) يشهد له ما رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٢ ح ٢٢٧٨ الفضائل) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

(٣) برواية الإمام البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٢ الأنبياء) من حديث عمر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله». ورواه أيضاً أحمد في مسنده (١/ ٢٣، ٢٤، ٤٧).

كان كثير من العارفين يقول في مناجاته لربه: كفى بي فخراً أني لك عبد، وكفى بي شرفاً أنك لي رب.

وكان بعضهم يقول: كلما ذكرت أنه ربي وأنا عبده، حصل لي من السرور ما يصلح به بدني.

شَرَفُ النُّفُوسِ دُخُولُهَا في رِقِّهِمْ والعَبْدُ يَحْوِي الفَخْرَ بالمُتَمَلُّك

وكان أبو يزيد البسطامي ينشد:

والَيْتَنِي صِرْتُ شَيّا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أُعَدُّ
أَصْبَحْتُ للكُلِّ مَوْلَى لأَنِّي لَكَ عَبْدُ

فمن انكسر قلبه لله ـ عز وجل ـ واستكان وخشع وتواضع، جبره الله ـ عز وجل ـ ورفعه بقدر ذلك.

وفي الأثر المشهور: أن الله ـ عز وجل ـ قال لموسى ـ عليه السلام ـ حين سأله: أين أجدك؟ قال: عند المنكسرة قلوبُهم من أجلي، فإني أدنو منهم كل يوم باعاً، ولولا ذلك لانهدموا.

وروي عن عبدالله بن سلام أنه فسره، فقال: هم المنكسرة قلوبهم بحب الله عن حب غيره.

وفي الحديث المشهور المرفوع: «أنَّ الله تَعَالى إذَا تَجَلَّى لِشَيءٍ منْ خَلْقِهِ خَشَعَ لَهُ، فإذَا تَجَلَّى بِقُلُوبِ العارِفينَ عَظَمَةُ الله وجَلالُهُ وكبْرِياؤُهُ انْدَكَّتْ قُلُوبُهُمْ مِن هَيْبَتِهِ، وخَشَعَتْ وانْكَسَرَتْ مِنْ مَحَبَّتِهِ ومَخَافَتِهِ».

مَساكينٌ أَهْلُ الحُبِّ حتَّى قُبُورُهُمْ عليْهَا تُرَابُ الذُّلِّ بيْنَ المقَابِرِ

فالمسكين في الحقيقة من استكان قلبه لربه وخشع من خشيته ومحبته، ولا يكون المسكين ممدوحاً بدون هذه الصفة، فإن من لم يخشع قلبه مع فقره وحاجته فهو جبار، كتلك الأمة السوداء التي قال فيها النبي ﷺ: «إنها جبَّارة»، وهو إما عائل مستكبر أو فقير مختال، وكلاهما لا ينظر الله إليه يوم

القيامة(١)، فالمؤمن يستكين قلبه لربه ويخشع له، ويتواضع، ويظهر مسكنته وفاقته إليه في الشدة والرخاء، أما في حال الرخاء فإظهار الشكر، وأما في حال الشدة فإظهار الذل والعبودية والفاقة والحاجة إلى كشف الضر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾(٢).

فذم من لا يستكين لربه عند الشدة، وكان النبي ﷺ يخرج عند الاستسقاء متواضعاً متخشعاً متمسكناً(٣).

وحبس لمطرف بن عبدالله قريب له، فلبس خلقان ثيابه، وأخذ بيده قصبة وقال: أتمسكن لربي لعله يشفعني فيه(٤).

ومما يشرع في التمسكن لله ـ عز وجل ـ: حالُ الصلاة، كما في حديث الفضل بن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**الصَّلاةُ مَثْنَى مَثْنَى، تَشَهُّدٌ في كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وتَخَشُّعٌ وتَضَرُّعٌ، وتَمَسْكُنٌ، وتَقْنَعُ يدَيْك ـ يقول تَرْفَعُهُمَا [إلى رَبِّكَ مُسْتَقْبِلاً ببطُونِهِمَا وَجْهَكَ](٥) وتَقُولُ: يا رَبِّ ثلاثاً، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ(٦)**» خرَّجه الترمذي(٧) وغيره.

---

(١) وهو من ضمن الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم. شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر. رواه مسلم (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣ ح ١٠٧ الإيمان).

(٢) الآية ٧٦ من سورة المؤمنون.

(٣) كما رواه أبو داود في سننه (١/ ٣٠٢ ح ١١٦٥ الصلاة) والترمذي في سننه (٢/ ٣٥ ح ٥٥٥ صلاة الاستسقاء) والنسائي (٣/ ١٥٦ الاستسقاء) من حديث ابن عباس: خرج رسول الله ﷺ متبذلاً، متواضعاً، متضرعاً. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وذكر الترمذي رواية أخرى برقم ٥٥٦ وزاد فيها: «متخشعاً» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٠٠) من طريق أبي سليمان الداراني بنحوه، دون ذكر حبس أحد أقربائه.

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من سنن الترمذي.

(٦) الخداج: النقصان. والخداج مصدر على حذف المضاف. أي ذات خداج. النهاية (٢/ ١٢).

(٧) في سننه (١/ ٢٣٨ ح ٣٨٣ الصلاة) من طريق ربيعة بن الحارث، عن الفضل به. ورواه أيضاً أحمد في مسنده (١/ ٢١١) من طريقه به إلا أن قوله: «خداج» فورد عنده: فقال فيه قولاً شديداً.

وكذلك يشرع إظهار المسكنة في الدعاء، خرَّج الطبراني من حديث ابن عباس [رضي الله عنهما] قال: رأيت النبيَّ ﷺ يَدْعُو بعرَفَةَ، ويَداهُ إلى صدْرِهِ كاستِطْعامِ المِسْكينِ(١).

ومن حديثه أيضاً أن النبي ﷺ قال في دعائه عشية عرفة: «أنا البائسُ الفقيرُ، المستغيثُ، المستَجيرُ، الوَجِلُ، المُشفِقُ، المقرُّ، المعترف بذنبه، أسألُكَ مسألةَ المسكين، وأبتهلُ إليك ابتهال المذنب الذَّليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير»(٢).

وكان بعض السلف يجلس بالليل مطرقاً رأسه ويمد يديه وهو ساكت كَحَالِ المسكين المستعطي.

وقال طاوس: دخل علي بن الحسين الحجر ليلة فصلى، فسمعته يقول في سجوده: عُبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك. قال طاوس: فحفظتهن، فما دعوت بهن في كرب إلاَّ فُرِّج عني.

وكان بعض العباد قد حج ثمانين حجة على قدميه، فبينما هو في الطواف، وهو يقول: يا حبيبي. يا حبيبي، فهتف هاتف: أليس ترضى أن تكون مسكيناً حتى تكون حبيباً، فُغشِّي عليه، فكان بعد ذلك يقول: مسكينك، مسكينك.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ:

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٧١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه الحسين بن عبدالله بن عبيدالله، وهو ضعيف. اهـ.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ١٧٤ - ١٧٥ ح ١١٤٠٥) من طريق عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس، وصدره: «اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، لا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس. . .» الحديث.

وذكره الهيثمي في الزوائد (٣/ ٢٥٥) وقال: رواه الطبراني في الكبير والصغير. . . وفيه يحيى بن صالح الأبلي. قال العقيلي: روى عنه يحيى بن بكير مناكير. وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال المناوي في فيض القدير (٢/ ١١٨): قال ابن الجوزي: حديث لا يصح. وقال العراقي: سنده ضعيف. كما ذكره حمدي السلفي في هامش المعجم الكبير للطبراني.

أَنَـا الفقيـرُ إلـى رَبِّ السَّمـواتِ أنا المُسَيْكِينُ في مَجْموعِ حالاتي
أنـا الظَّلـومُ لِنفسـي وهـيَ ظـالمتـي والخَيْرُ إن جاءنـا مـنْ عنـدِهِ يـأتـي

قوله ﷺ: «وأن تغفر لي وترحمني» المغفرة والرحمة يجمعان خير الآخرة كله؛ لأن المغفرة ستر الذنب مع وقاية شره. وقد قيل: إنه لا تجتمع المغفرة مع عقوبة الذنب حيث كانت المغفرة وقاية ستر الذنب، وهذا لا يكون مع عقوبة عليه؛ ولذلك سمي المِغْفَرُ مِغْفَراً؛ لأنه يستر الرأس ويقيه الأذى، وهذا بخلاف العفو، فإنه يكون تارة قبل العقوبة، وتارة بعدها.

وأما الرحمة فهي دخول الجنة، وعُلُوُّ درجاتها، وجميع ما في الجنة ـ من النعيم بالمخلوقات، ومن رِضَى الله ـ عز وجل ـ وقُرْبِه ومُشَاهَدَتِه وزِيَارَتِه ـ فإنه من رحمة الله تعالى.

وفي الحديث الصحيح: «إنَّ الله عز وجل يقولُ للجنَّة: أنتِ رحمتِي، أرْحَمُ بكِ من أشاءُ من عِبادِي»[1].

فكل ما في الجنة من رحمته ـ عز وجل ـ إنما تُنالَ برحمته لا بالعمل، كما قال ﷺ: «لنْ يَدْخُلَ أحدٌ مِنكُمْ الجَنَّةَ بعَمَلِهِ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟!، قال: «ولا أنَا إلاَّ أنْ يتغَمَّدَنِي الله برَحْمتِهِ»[2].

قوله ﷺ: «وإذَا أرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فاقْبِضْنِي إليْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢١٨٦ ح ٢٧٤٦ الجنة وصفة نعيمها) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «احتجت النار والجنة. . . الحديث».

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٠ المرضى والطب) ومسلم (٤/ ٢١٦٩ ح ٢٨١٦ صفات المنافقين) كلاهما من حديث أبي هريرة، وهذا مثل لفظ البخاري.

(٣) رواه مالك في «الموطأ» في القرآن ١/ ٤١٨ رقم (٤٠) عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت في الناس. . . الحديث». وقال محققه: رواه أيضاً الترمذي في «السنن» كتاب «التفسير» رقم ٤٤ من حديث ابن عباس مرفوعاً.

المقصود بهذا الدعاء: سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته، فإن قدَّر الله ـ عز وجل ـ على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أهم الأدعية، فإن المؤمن إذا عاش سليماً من الفتن، ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها، وحصول الناس فيها كان ذلك نجاة له من الشر كله، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يتعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن(١).

وفي حديث آخر: «وجَنِّبْنَا الفَوَاحِشَ ما ظَهِرَ منْهَا ومَا بَطَنَ»(٢).

وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر، وكان يتعوذ بالله في صلاته من أربع، ويأمر بالتعوذ منها: «أعوذُ بالله منْ عذابِ جهنَّمَ، ومِنْ عذَابِ القَبْر، ومن فِتْنَةِ المحْيَا والمَماتِ، ومِن فِتْنةِ المسيح الدَّجَّالِ»(٣).

ففتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها، كالكفر والبدع والفسوق، والعصيان. وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة، وفتنة الملكين في القبر، فإن الناس يفتنون في قبورهم مثل أو قريباً من فتنة الدجال، ثم خص فتنة الدجال بالذكر؛ لعظيم موقعها، فإنه لم يكن في الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها، وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن.

وفي حديث معاوية عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّهُ لمْ يَبْقَ منَ الدُّنْيَا إلا بلاءٌ وفِتْنَةٌ»(٤).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ٢٥٤ ح ٩٦٩ الصلاة) والحاكم في مستدركه (١/ ٢٦٥ الصلاة) كلاهما من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كان يعلمنا كلمات ولم يكن يعلمناهن كما يعلمنا التشهد: «اللهم ألّف بين قلوبنا.. وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.. الحديث». وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٩ ح ٢٨٦٧ الجنة وصفة نعيمها) من حديث زيد بن ثابت بقوله: «نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن».

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٢ الجنائز ـ باب التعوذ من عذاب القبر) ومسلم في صحيحه (١/ ٤١٢ ح ٥٨٨ المساجد) كلاهما من حديث أبي هريرة. وهذا لفظ مسلم.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٩٤) وابن ماجة في سننه (٢/ ١٣٣٩ ح ٤٠٣٥ الفتن) كلاهما من =

وأخبر النبي ﷺ عن الفتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا(١).

وكان أول هذه الفتن ما حدث لهم من مقتل عمر ـ رضي الله عنه ـ ونشأ من تلك الفتن: مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ وما ترتب عليه من إراقة الدماء، وتفرق القلوب، وظهور فتن الدين، كبدَع الخوارج المارقين، وإظهارهم ما أظهروا، ثم ظهور بدع أهل القدر والرفض ونحوهم، وهذه هي الفتنة التي تموج كموج البحر المذكورة في حديث حذيفة(٢) ـ رضي الله عنه ـ المشهور حين سأله عنها عمر ـ رضي الله عنه ـ. وكان حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أكثر الناس سؤالاً للنبي ﷺ عن الفتن خوفاً من الوقوع فيها(٣)؛ ولما حضره الموت قال: حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، الحمد لله الذي سبقت بي الفتنة قادتها وعلوجها؛ وكان موته قبل قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ بنحو أربعين يوماً، وقيل: بل مات بعد قتل عثمان(٤). وكان في تلك الأيام رجل من الصحابة نائماً فأتاه آت في منامه، فقال له: قم! فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالح عباده، فقام فتوضأ وصلى، ثم اشتكى ومات بعد قليل.

= حديث معاوية وهذا لفظ ابن ماجة. وزاد أحمد: «وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله». وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٠٠ ح ١١٨ الإيمان) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض الدنيا».

(٢) الذي رواه البخاري (١/ ١٣٣ مواقيت الصلاة) ومسلم (٤/ ٢٢١٨ ح ١٤٤ الفتن).

(٣) وروى البخاري في صحيحه (٨/ ٩٣ الفتن) ومسلم (٣/ ١٤٧٥ ح ١٨٤٧ الإمارة) من طريق أبي إدريس الخولاني عن حذيفة: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. . . الحديث، وفيه ذكر الفتن التي ستحدث بعد.

(٤) ذكر العجلي موته بعد قتل عثمان، وبيعة علي بأربعين يوماً. انظر: الإصابة (١/ ٣٣٢ ترجمة حذيفة رقم ١٦٤٢).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لرجل: «إذا متُّ أنا وأبو بكر وعمر وعثمان، فإن استطعت أن تموت فمت»[(١)].

وهذه إشارة إلى هذه الفتن التي وقعت بمقتل عثمان - رضي الله عنه -.

والدعاء بالموت خشية الفتنة في الدين: جائز. وقد دعا به الصحابة - رضي الله عنهم - والصالحون بعدهم. ولما حج عمر - رضي الله عنه - آخر حجَّة حجها استلقى بالأبطح، ثم رفع رأسه ويديه وقال: اللهم إنه قد كبر سني، ورقَّ عظمي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع، ولا مفتون، ثم رجع إلى المدينة، فما انسلخ الشهر حتى قتل - رضي الله عنه -.

ودعا علي - رضي الله عنه - ربه أن يريحه من رعيته حيث سئم منهم فقتل عن قريب.

ودعت زينب بنت جحش - رضي الله عنها - لما جاءها عطاء عمر - رضي الله عنه - من المال فاستكثرته، وقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعدها، فماتت قبل العطاء الثاني.

ولما ضجر عمر بن عبدالعزيز من رعيته حيث ثقل عليهم قيامه فيهم بالحق، طلب من رجل كان معروفاً بإجابة الدعوة أن يدعو له بالموت، فدعا له ولنفسه بالموت فماتا.

ودُعِي طائفة من السلف الصالح إلى ولاية القضاء، فاستمهلوا ثلاثة أيام، فدعوا الله لأنفسهم بالموت فماتوا.

واطُّلِع على حال بعض الصالحين ومعاملاته التي كانت سرًّا بينه وبين ربه، فدعا الله أن يقبضه إليه خوفاً من فتنة الاشتهار، فمات.

فإن الشهرة بالخير فتنة؛ لما جاء في الحديث: «كفى بالمَرْءِ فِتْنَةً أنْ يُشارَ

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٨٠) من حديث سهل ابن أبي خيثمة به مرفوعاً. وذكره النبهاني في الفتح الكبير (١/ ٨٨) وعزاه إلى أبي نعيم في الحلية عنه.

إليهِ بالأصابعِ»(١).

وكان سفيان الثوري يتمنى الموت كثيراً، فسئل عن ذلك؟ فقال: ما يدريني لعلِّي أدخل في بدعة، لعلِّي أدخل فيما لا يحل لي، لعلِّي أدخل في فتنة، أكون قد متّ فسبقت هذا.

واعلم أن الإنسان لا يخلو من فتنة. قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: لا يقل أحدكم: أعوذ بالله من الفتن، ولكن ليقل: أعوذ بالله من مضلات الفتن، ثم تلا: ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾(٢).

يشير إلى أنه لا يستعاذ من المال والولد، وهما فتنة.

وفي «المسند» أن النبي ﷺ أمر أمّ سلمة أن تقول: «اللهمَّ! رَبَّ النَّبيِّ مُحمَّدٍ، اغْفِرْ لي ذَنْبِي، واذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وأجِرْني منْ مُضلاتِ الفِتَنِ ما أبقَيتَنِي»(٣).

وقد جعل النبي ﷺ النساء والأموال فتنة.

ففي «الصحيح» عنه ﷺ قال: «ما تركْتُ بعْدِي فِتنةً أضرُّ علَى الرِّجالِ منَ النِّساءِ»(٤).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه من حديث عمران بن حصين بلفظ: «كفى بالمرء إثماً أن يشار إليه بالأصابع، إن كان خيراً فهي مزلة إلا من رحم الله تعالى، وإن كان شرًا فهو شر». كما ذكره النبهاني في الفتح الكبير (٢/ ٣١٧) وضعفه الألباني. انظر: ضعيف الجامع (٤١٨٦).

(٢) الآية ٢٨ من سورة الأنفال. والأثر رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٨٩ ح ٨٩٣١) من طريق القاسم عن ابن مسعود قال: لا يقل أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد إلا يشتمل على فتنة، لكن من استعاذ فليستعذ من معضلاتها» الحديث. وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٣) وقال: رواه الطبراني وإسناده منقطع. وفيه المسعودي وقد اختلط.

(٣) (٦/ ٣٠٢) من طريق شهر عنها به إلا قوله: «أبقيتني» فهو عنده: «ما أحييتنا».

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٢٤ النكاح) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٧ ح ٢٧٤٠ الذكر والدعاء) كلاهما من حديث أسامة، وهذا لفظ البخاري. وفي لفظ مسلم زيادة قوله: «هي» قبل=

و«فيه» أيضاً أنه ﷺ قال: «والله ما الفقْرَ أخْشَى عليْكُمْ، ولكنْ أخْشَى أن تُبْسَطَ عليكُمُ الدُّنيا، كمَا بُسِطتْ علَى مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنافَسُوها كمَا تَنافَسُوهَا، فَتُهْلِككمْ كمَا أهْلَكَتْهُمْ»(١).

وفي «صحيح مسلم»(٢) عنه ﷺ قال: «اتَّقُوا النِّساء، فإنَّ أوَّل فِتنةِ بني اسْرائيلَ كانَتْ في النِّساءِ».

وفي «الترمذي»(٣) أنه ﷺ قال: «لكلِّ أمَّةٍ فِتنَةٌ، وفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ». وقد قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾(٤). فالرجل فتنة للمرأة، والمرأة فتنة للرجل، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والفاجر فتنة للبر، والبرُّ فتنة للفاجر، والكافر فتنة للمؤمن، والمؤمن فتنة للكافر، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾(٥)، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(٦)، فجعل كل ما

= قوله: «أضر».

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٧٢ الرقاق) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٤ ح ٢٩٦١ الزهد) كلاهما من حديث المسور بن مخرمة، وهذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري أيضاً إلا قوله المتعلقة بالهلاك فهو عنده: «تلهيكم كما ألهتهم».

(٢) (٤/ ٢٠٩٨ ح ٢٧٤٢ الذكر والدعاء) من حديث أبي سعيد به، وصدره: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون...».

(٣) سننه (٣/ ٣٨٩ ح ٢٤٣٩ الزهد) من حديث كعب بن عياض بلفظه بزيادة: «إن» في أوله. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه أيضاً أحمد في مسنده (٤/ ١٦٠) وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٧ ح ٣٢٢٣) والحاكم في مستدركه (٤/ ٣١٨ الرقاق) من حديثه بلفظ الترمذي إلا ابن حبان فهو بلفظ المؤلف. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال شعيب الأرناؤط في تحقيقه على صحيح ابن حبان: إسناده قوي، رجاله رجال الصحيح.

(٤) الآية ٢٠ من سورة الفرقان.

(٥) الآية ٥٣ من سورة الأنعام.

(٦) الآية ٥٣ من سورة الأنبياء.

يصيب الإنسان من خير أو شر فتنة، يعني أنه محنة يمتحن بها، فإن أصيب بخير امتحن به شكر، وإن أصيب بشر امتحن به صبر.

وفتنة السراء[١] أشد من فتنة الضراء[٢].

قال عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ: بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وبلينا السراء فلم نصبر[٣].

قال بعضهم: فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر على فتنة السراء إلا صدِّيق.

ولما ابتلي الإمام أحمد بفتنة الضراء صبر، ولم يجزع، وقال: كانت زيادة في إيماني، فلما ابتلي بفتنة السراء جزع وتمنى الموت صباحاً ومساء، وخشي أن يكون نقصاً في دينه[٤].

ثم إن المؤمن لابد أن يفتن بشيء من الفتن المؤلمة الشاقة عليه؛ ليمتحن إيمانه، كما قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾[٥].

ولكن الله يلطف بعباده المؤمنين في هذه الفتنة، ويصبرهم عليها، ويثيبهم فيها، ولا يلقيهم في فتنة مضلة مهلكة، تذهب بدينهم، بل تمر عليهم الفتن، وهم منها في عافية.

وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إنَّ لله ضَنائِنَ[٦] مِنْ عِبادِهِ، يَغْذُوهُم في رَحْمَتِهِ، ويُحْيِيهِمْ في عَافيةٍ، ويَتَوَفَّاهُمْ إلى جَنَّتِهِ، أُولَئِكَ الذينَ

(١) السَّرَّاء: النعمة والرخاء والمسرة، المعجم الوسيط (١/ ٤٢٧).

(٢) الضَّرَّاء: الشدة وكل حالة تضر، المعجم الوسيط (١/ ٥٣٨).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٠) من طريق إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه به.

(٤) أخبار محنته مبسوطة في مناقب الإمام أحمد لأبي الفرج ابن الجوزي ص (٣٠٨ـ٣٨٥).

(٥) الآيتان ١، ٢ من سورة العنكبوت.

(٦) الضنائن مفرده: الضنين. وضنائن الله: خواصّ خلقه. المعجم الوسيط (١/ ٥٤٥).

تَمُرُّ عَلَيهِمُ الفِتَنُ، كَقِطَعِ الليلِ المُظْلِم، وهُمْ منْها في عَافِيَةٍ»(١).

والفتن الصغار التي يُبتلى بها المرء في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الطاعات من الصلاة والصيام والصدقة، كذا جاء في حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ(٢).

وروي أنه سأل النبي ﷺ قال: إن في لساني ذرباً(٣)، وإن عامة ذلك على أهلي، فقال له: «أين أنت عن الاستغفار»(٤).

وأما الفتن المضِلَّة التي يخشى منها فساد الدين فهي التي يستعاذ منها ويسئل الموت قبلها، فمن مات قبل وقوعه في شيء من هذه الفتن فقد حفظه الله تعالى وحماه.

وفي «المسند»(٥) عن محمود بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «اثنتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابنُ آدَمَ يَكْرَهُ المَوْتَ، والمَوْتُ خَيرٌ للمُؤْمنِ مِنَ الفِتْنَةِ، ويَكْرَهُ قِلَّةَ المالِ، وقِلَّةُ المالِ أقَلُّ للحِسَابِ».



---

(١) لم يتيسر لي البحث عنه في إحدى مؤلفات ابن أبي الدنيا، ولكن رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦) من طريق نافع عن ابن عمر به. ورواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر به بزيادة: «شيء». كما ذكره النبهاني في الفتح الكبير (١/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٢) قوله: فتنة الرجل في أهله وماله وولده، وجاره يكفرها الصلاة، والصوم، والصدقة، والأمر، والنهي... الحديث رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣ مواقيت الصلاة). ومسلم في صحيحه (١/ ١٢٨ ح ١٤٤ الإيمان كلاهما عن حذيفة.

(٣) يقال: ذرب لسانه: إذا كان شتاماً فاحشاً لا يبالي ما قال. المعجم الوسيط (١/ ٣١٠).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٩٤، ٣٩٧) والدارمي في سننه (٢/ ٢١٢ ح ٢٧٢٦ الرقاق). وابن ماجة في سننه (٢/ ١٢٥٤ ح ٣٨١٧ الأدب) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١١٠ ح ٣٦٤) كلهم من طريق عبيد بن عمر أبي المغيرة عن حذيفة بنحوه بزيادة: «إني لأستغفر كل يوم مائة مرة، وأتوب إليه». وهذا لفظ أحمد. وعند ابن ماجة: «تستغفر الله سبعين مرة». وقال البوصيري في الزوائد: فيه أبو المغيرة البجلي مضطرب الحديث. قاله الذهبي في الكاشف.

(٥) للإمام أحمد (٥/ ٤٢٧) من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عنه به. ورواه سعيد بن منصور في سننه من حديث عمران به، كما ذكره النبهاني في الفتح الكبير (١/ ٤١).

قوله ﷺ: «وأسْألُكَ حُبكَ، وحُبَّ مَنْ يُحِبكَ، وحُبَّ العَمَلَ الذي يُبلِّغني حُبكَ».

هذا الدعاء يجمع كل خير، فإن الأفعال الاختيارية من العباد إنما تنشأ عن محبة وإرادة، فإذا كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح، فكانت تحب ما يحبه الله ويرتضيه، فأحب ما يحبه الله ـ عز وجل ـ من الأعمال والأقوال كلها، ففعل حينئذ الخيرات كلها، وترك المنكرات كلها، وأحب من يحبه الله من خلقه.

وهذا الدعاء كانت الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يدعون به، كما في «الترمذي»(١) عن النبي ﷺ أن داود ـ عليه السلام ـ كان يقول: «اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ حُبكَ، وحُبَّ منْ يُحِبكَ، وحُبَّ عَمَلٍ يُبلِّغُني حُبك، [اللهمَّ اجْعلْ حُبك أحبُّ إليَّ مِن نَفْسي، وأهْلي، ومنَ الماءِ البارِدِ](٢)».

و«فيه»(٣) أيضاً أن النبي ﷺ كان يدعو: «اللهُمَّ ارزُقْني حُبكَ، وحُبَّ مَنْ يُحِبكَ، وحُبَّ عَمَلٍ يبلغُني إلى حُبك، اللهمَّ ما رَزَقْتني ممَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ قُوَّةً لي فيمَا تُحِبُّ، ومَا زَوَيْتَ عَنِّي ممَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ فَرَاغاً لي فيمَا تُحِبُّ».

وفي حديث مرسل خرَّجه ابن أبي الدنيا وغيره أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهُمَّ اجْعَلْ حُبكَ أَحَبُّ الأشياءِ إليَّ، وخَشْيَتَكَ أَخْوَفَ الأشْياءِ عِنْدي، واقْطَعْ عَنِّي حَاجَاتِ الدُّنْيا بالشَّوْقِ إلى لِقَائِكَ، وإذا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أهْله الدُّنيَا مِنْ دُنْيَاهُمْ

---

(١) سننه (٥/ ١٨٤ ح ٣٥٥٦ الدعوات) من حديث أبي الدرداء به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من سنن الترمذي.

(٣) (٥/ ١٨٥ ح ٣٥٥٧ الدعوات) من حديث عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري بلفظ: ... وحبَّ من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي.. الحديث. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

فَأقرِرْ عَيْني في عِبَادَتِكَ»[١].

ومن كان همه طلب محبة الله ـ عز وجل ـ أعطاه الله ـ عز وجل ـ فوق ما يريده من الدنيا تبعاً.

قال بعض السلف: لما توفي داود ـ عليه السلام ـ أرسل الله ـ عز وجل ـ إلى سليمان ـ عليه السلام ـ: ألك حاجة تسألني إياها؟ فقال سليمان: أسأل الله أن يجعل قلبي يحبه، كما كان قلب أبي داود يحبه، وأن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي داود يخشاه. فشكر الله له ذلك، وأعطاه مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده[٢].

ومحبة الله تعالى على درجتين:

إحداهما: واجبة، وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات، وكراهة ما يكرهه من المحرمات، فإن المحبة التامة تقتضي الموافقة للمحبوب في محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه خصوصاً فيما يحبه ويكرهه من المحب نفسه، فلا تصح المحبة بدون فعل ما يحبه المحبوب من محبيه، وكراهة ما يكرهه المحبوب من محبيه.

وسئل بعض العارفين عن المحبة، فقال: الموافقة في جميع الأحوال وأنشد:

ولو قيل مُتْ مِتُّ سَمْعاً وطاعة   وقُلْتُ لداعي المَوْتِ أهْلاً ومرْحباً

---

(١) لم يتيسر لي البحث عنه في إحدى مؤلفات ابن أبي الدنيا، ولكن رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٨٢) بإسناده عن الهيثم بن مالك الطائي به. وذكره النبهاني في الفتح الكبير (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) وعزاه إلى أبي نعيم في الحلية.

(٢) كما ورد في صحيح البخاري (٦١٢ العمل في الصلاة ـ باب ما يجوز من العمل في الصلاة)، وصحيح مسلم (١/ ٣٨٤ ح ٥٤١ المساجد ـ باب جواز لعن الشيطان) من حديث أبي هريرة أنه عرض الشيطان إلى النبي ﷺ في صلاة فقال: «لقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان عليه السلام: رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي. . . الحديث. وهذا لفظ البخاري.

وأنشد بعضهم:

تعصي الإلَه وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هذا لعمريْ في القِيَاس شَنيعُ
لوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأطَعْتَهُ ... إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

ومتى أخلَّ العبد ببعض الواجبات أو ارتكب بعض المحرمات، فمحبته لربه غير تامة، فالواجب عليه المبادرة بالتوبة، والاجتهاد في تكميل المحبة المفضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها. وهذا معنى قول النبي ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حينَ يَزْنِي وهُوَ مُؤمِنٌ، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حينَ يَسْرِقُ وهُوَ مُؤمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حينَ يَشْرَبُهَا وهُوَ مُؤْمِنٌ»[(١)].

فإن الإيمان الكامل يقتضي محبة ما يحبه الله، وكراهة ما يكرهه الله ـ عز وجل ـ والعمل يقضي ذلك، فلا يرتكب أحد شيئاً من المحرمات، أو يُخِلّ بشيء من الواجبات إلا لتقديم هوى النفس؛ لارتكاب ذلك على محبة الله تعالى المقتضية لخلافه.

الدرجة الثانية من المحبة: درجة المقرَّبين: وهي أن يمتلىء القلب بمحبة الله تعالى حتى توجب له محبة النوافل، والاجتهاد فيها، وكراهة المكروهات، والانكفاف عنها، والرضا بالأقضية والأقدار المؤلمة للنفوس بصدورها عن المحبوب، كما قال عامر بن عبدقيس[(٢)]: أحببت الله حبًا هوَّن عليَّ كل مصيبة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في مواضع عدة منها (٣/ ١٠٧ المظالم). ومسلم في صحيحه (١/ ٧٦ ح ٥٧ الإيمان) كلاهما من حديث أبي هريرة به بزيادة: «ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حيث ينتهبها وهو مؤمن». وهذا لفظ مسلم.

فائدة: «لا يزني الزاني وهو مؤمن..» الحديث. اختلف العلماء في معناه: فالقول الصحيح الذي قاله المحققون: إن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان. اهـ. وكذا علق عليه محمد فؤاد عبدالباقي. انظر التعليق (١) على الحديث في صحيح مسلم (١/ ٧٦).

(٢) القدوة الولي الزاهد أبو عبدالله. قال العجلي: كان ثقة من عباد التابعين. رآه كعب الأحبار، فقال: هذا راهب هذه الأمة. توفي في زمن معاوية. اهـ. قاله الذهبي في السير (٤/ ١٥ ـ ١٩) وترجم له أيضاً أبو نعيم في الحلية (٢/ ٨٧).

ورضّاني بكل بلية؛ فلا أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت، ولا على ما أمسيت(١).

وقال عمر بن عبدالعزيز لما مات ولده الصالح: إن الله أحب قبضه، وإني أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور يخالف محبة الله، وكان يقول: أصبحت فما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر.

وأنشد بعضهم:

يـا مَـنْ يَعِـزُّ علينـا أنْ نُفَـارِقَهُـمْ وِجْدَانُنَا(٢) كُل شيءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
إنْ كـانَ سَـرَّكُـمُ مـا قَـدْ بُلِيْـتُ بـهِ فمـا لِجُـرحٍ إذا أرْضـاكُـمُ ألَـمُ

وحسب سلطان الهوى أن يلذ فيه كل ما يؤلم.

كان عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: اللهُمَّ! لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردَّى، فأسقط: فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها: فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أُلقي بنفسي في الماء فأغرِق نفسي: فعلت، وإني لا أقول هذا إلا وأريد وجهك، وأنا أرجو أن لا تخيبني، وأنا أريد وجهك(٣).

وقُتل لبعض الصالحين وَلَدان في الجهاد، فعزَّاه الناس فيهما فبكى، وقال: أنا ما أبكي لفقدهما إنما أبكي كيف كان رضاهما عن الله حيث أخذتهما السيوف.

وكان بعض العارفين يطوف بالبيت، فتجمعت القرامطة على الناس

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٨٩ـ ٩٠) من طريق سهل أخي حزم عنه به.

(٢) الوِجدان: يطلق على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة. المعجم الوسيط (٢/ ١٠١٣).

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٤٣) من طريق عبدالرحمن بن أبزى عنه أنه قال وهو يسير على شط الفرات: اللهم لو أعلم أن أرضى لك عني أن أتردى فأسقط فعلت. ولو علمت أن أرضى لك عني أن ألقي نفسي في هذا الماء فأغرق فيه فعلت.

فقتلوهم في الطواف فوصلوا إليه فلم يقطع الطواف حتى سقط من ضرب السيوف صريعاً. وأنشد:

وَالله لوْ حَلَفَ العُشَّاقُ أَنَّهُمُ مَوْتَى ... مِنَ الحُبِّ ما ماتُوا ومَا حَنَثُوا
ترى المُحِبِّينَ صَرْعَى في دِيارِهِمُ ... كَفِتْيَةِ الكَهْفِ لا يَدْرونَ كَمْ لَبِثُوا

قال بعض العارفين: إن كنت تسمع ببذل روحك في هذه الطريق، فلا تشتغل بالتُرَّهات[1].

خَاطِرْ بِرُوحِكَ في هَوَانَا واسْتَرِحْ ... إنْ شِئْتَ تَحْظَى بالمَحَلِّ الأعْظَمِ
لا يَشْغِلَنَّكَ شَاغِلٌ عَنْ وَصْلِنَا ... وانْهَضْ علَى قَدَمِ الرَّجَا وتَقَدَّمِ

أقل ثمن المحبة بذل الروح:

بِدَمِ المُحِبِّ يُبَاعُ وَصْلُهُمُ ... فَمَنِ الذِي يَبْتَاعُ بالثَّمَنِ

ولما كانت محبة الله ـ عز وجل ـ لها لوازم، وهي محبة ما يحبه الله ـ عز وجل ـ من الأشخاص والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك.

سأل النبي ﷺ الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين:

إحداهما: محبة من يحب ما يحب الله تعالى، فإن من أحب الله أحب أحباءه فيه، ووالاهم، وأبغض أعداءه وعاداهم.

كما قال النبي ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكُونَ الله ورَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لله..» الحديث[2].

وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياؤه ورسله، وأعظمهم نبيه محمد ﷺ الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحة

---

(١) التُرَّهات ـ بضم التاء وفتح الراء المشددة ـ قال ابن الأثير: هي كناية عن الأباطيل، واحدها ترهة. النهاية (١/ ١٨٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في مواضع عدة منها (١/ ٩ ـ ١٠ الإيمان)، ومسلم (١/ ٦٦ ح ٤٣ الإيمان) من حديث أنس به. والأمر الثالث هو قوله: «... وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

محبته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾(١).

وتوعد من قدَّم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾(٢).

ووصف المحبين له باللين للمؤمنين والرأفة والرحمة والمحبة لهم، والشدة على الكافرين، والبغض لهم والجهاد في سبيله. فقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٣).

والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال، وبها تبلغ إلى حبه، وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تُنال بطاعة الله وبفعل ما يحبه، فإذا امتثل العبد أوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى، ورقَّاه إلى درجة محبته، كما في الحديث الإلهي الذي خرَّجه البخاري(٤): «وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أداء ما

---

(١) الآية ٣١ من سورة المائدة.

(٢) وتكملتها: ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

(٣) الآية ٥٤ من سورة المائدة.

(٤) في صحيحه (٧/ ١٩٠ الرقاق) من حديث أبي هريرة مرفوعاً «يقول الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته».

وذكره المؤلف في كتابه جامع العلوم والحكم (ص ٤٢٦ ح ٣٨) من حديث أبي هريرة إلى قوله: «لأعيذنه»... وقال: تفرد بإخراجه البخاري من دون بقية أصحاب الكتب. وشرح الحديث شرحاً وافياً. انظر الكتاب من ص ٤٢٦ إلى ٤٤١.

افْتَرَضتُ عَلَيْهِ، ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ».

فأفضل ما تستجلب به محبة الله - عز وجل - فعل الواجبات وترك المحرمات، ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجدان حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر، كما يكره أن يُلقى في النار.

وسئل ذو النون[١]: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يكرهه عندك أمرّ من الصبر. ثم بعد ذلك الاجتهاد في نوافل الطاعات وترك دقائق المكروهات والمشتبهات.

ومن أعظم ما يحصل به محبة الله تعالى من النوافل: تلاوة القرآن، وخصوصاً مع التدبر.

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فمن أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله.

ولهذا قال النبي ﷺ لمن قال: إني أحب سورة: ﴿قل هو الله أحد﴾؛ لأنها صفة الرحمن، فقال: «**أخبروه أن الله يحبه**»[٢].

وقال أبو سلمة بن عبدالرحمن لما قَدِم النبي ﷺ المدينة خطب، فقال في خطبته: «**إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر**» واختاره على ما سواه من الأحاديث أنه أحسن الحديث، وأبلغه، أحبوا من أحب الله، وأحبوا الله من كل قلوبهم.

---

(١) هو ذو النون المصري: ثوبان بن إبراهيم الزاهد شيخ الديار المصرية، كان واعظاً عالماً، مات سنة ٢٤٥هـ، انظر «السير» للذهبي ١١/ ٥٣٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥ التوحيد). ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥٧ ح ٨١٣ صلاة المسافرين). كلاهما من حديث عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»، وهذا لفظ البخاري.

وكان بعضهم يكثر من تلاوة القرآن، ثم فتر عن ذلك، فرأى في المنام قائلاً يقول له:

إنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي فَلِمَ جَفَوْتَ كِتَابِي
أَمَا تَدَبَّرتَ مَا فيه مِنْ لَطِيفِ عِتَابِي

فاستيقظ وعاد إلى تلاوته.

ومن الأعمال التي توصل إلى محبة الله تعالى ـ وهي أعظم علامات المحبين ـ كثرة ذكر الله ـ عز وجل ـ بالقلب واللسان.

قال بعضهم: ما أدمن أحد ذكر الله إلا وأفاد منه محبة الله تعالى.

وقال ذو النون: من أدمن ذكر الله قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

وقال بعض التابعين: علامة حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت ذكره.

وقال فتح الموصلي(١): المحب لله لا يجد مع حب الله للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة.

فالمحبون إن نطقوا نطقوا بالذكر، وإن سكتوا اشتغلوا بالفكر.

فَإنْ نَطَقتُ فَلَمْ ألفُظْ بِغَيْرِكُمُ وإنْ سكتُّ فأنتُمُ عَقْدُ إضمَارِي

ومن علامات المحبين لله ـ وهو مما يحصل به المحبة أيضاً ـ: حب الخلوة بمناجاة الله تعالى، وخصوصاً في ظلمة الليل:

الليْلُ لِيْ ولأَحْبَابِيْ أُسَامِرُهُمْ قَدِ اصْطَفَيْتُهُمْ كَيْ يَسْمَعُوا ويَعُوا

قال الفضيل: يقول الله ـ عز وجل ـ: كذب من ادعى محبتي فإذا جن الليل نام عني، أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه، هاأناذا مطلع على أحبابي، إذا جنهم الليل جعلت أبصارهم في قلوبهم، ومثلت نفسي بين أعينهم، فخاطبوني على

---

(١) هو فتح بن محمد بن وشاح الأزدي، زاهد زمانه، أحد الأولياء، له أحوال ومقامات وقدم راسخ في التقوى، مات سنة ١٧٠هـ، قاله الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٣٤٩.

المشاهدة، وكلموني على حضوري، غداً أقر أعين أحبابي في جناني.

تَنَـامُ عَيْنَـاكَ وتَشْكُـو الهَـوَى لَـوْ كُنْتَ صبًّا لَـمْ تكُـنْ نـائِمـا

قلوب المحبين جمرة تحت فحمة الليل كلما هب عليها نسيم السحر التهبت وأنشد:

يُـذَكِّـرُنِـي مَـرُّ النَّسِيم عُهُـودَكُـمْ فـأزْدادُ شَـوْقـاً كُلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ

أرَانـي إذَا مـا أظْلَـمَ الليْـلُ أشْـرَقَتْ بِقَلْبِـي مـنْ نَـارِ الغَـرَامِ مصَـابيحُ

وكلما جنّ الغَاسقُ حنّ العاشق:

لَـوْ أنَّـكَ أبْصَـرْتَ أهـلَ الهَـوَى إذَا غَـابَـتِ الأنْجُـمُ الطُّلَّـعُ

فهَـذَا يَنُـوحُ علـى ذَنْبِـهِ يُصلِّـي وذَا يَـرْكَـعُ

من لم يكن له مثل تقواهم لم يدر ما الذي أبكاهم، ومن لم يشاهد جمال يوسف المحبوب لم يدر ما الذي ألمَّ بقلب يعقوب.

وسُئِلَ السرِّي[١] [السقطي] عن حاله، فأنشد:

مَـنْ لَـمْ يَبِتْ والحُـبُّ حَشْـوَ فُـؤادِهِ لَـمْ يَـدْرِ كَيْـفَ تُفَتَّـتُ الأكْبَـاد

* * *

أين رجال الليل؟ أين ابن أدهم[٢] والفضيل؟ ذهب الأبطال وبقي كلُّ بطَّال، يا من رضي من الزهد بالزي، ومن الفقر بالاسم، ومن التصوف بالصوف، ومن التسبيح بالسبح.

أين فضل الفضيل؟ أين جد الجنيد[٣]؟ أين سر السري؟ أين سر

(١) هو السَّريُّ بن المغَلِّس السَّقطي شيخ الإسلام الإمام القدوة، مات سنة ٢٥٣هـ، انظر «السير» ١٢/ ١٨٥ ـ ١٨٧.

(٢) ابن أدهم هو إبراهيم بن أدهم بن منصور سيدالزهاد أبو إسحاق الإمام العارف، مات سنة ١٦٢هـ، «السير» ٧/ ٣٨٧.

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي شيخ الصوفية، مات سنة ٢٠٩هـ، انظر «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٦٦.

بشر[(١)]؟

أين همة ابن أدهم؟ ويحك إن لم تقدر على معرفة معروف فاندب على رابعة[(٢)].

هَاتِيْكَ رُبُوعُهُم وفيهَا كَانُوا ... بَانُوا عنْهَا فَلَيْتَهُمْ مـا بَانُوا
نَادَيْتُ وفي حُشَاشَتي[(٣)] نِيرانُ ... يا دَارُ! مَتَى تحوَّلَ السُّكانُ؟

يا من كان له قلب فانقلب، يا من كان له وقت مع الله فذهب، قيام الأسحار يستوحش لك، صيام النهار يسأل عنك، ليالي الوصال تُعاتِبُك على انقطاعك:

تَشاغَلْتُمُ عَنَّا بصُحْبَةِ غَيْرِنَا ... وأظْهَرْتُمُ الهجْرَانَ مَا هَكَذَا كُنَّا
وأقْسَمْتُمُ أنْ لا تَحُولوا عن الهَوَى ... فَقَدْ ـ وَحَياةِ الحُبِّ ـ حُلْتُمْ ومَا حُلْنَا
لَيَالِيَ كُنَّا نَجْتَبي مِنْ ثِمَارِكُمْ ... فَقَلْبي إلى تلكَ الليالِيْ لَقَدْ حَنَّا

إخواني! مجالس الذكر شراب المحبين، وترياق المذنبين، قد علم كل أناس مشربهم. مجالس الذكر مآتم الأحزان، فهذا يبكي لذنوبه، وهذا يندب لعيوبه، وهذا يتأسف على فوات مطلوبه، وهذا يتلهف لإعراض محبوبه، وهذا يبوح بوجده، وهذا ينوح على فقده.

مـا أذْكُرُ عَيْشَنَا الذِي قَدْ سَلَفَا ... إلا وَجَفَّ القَلْبُ وكَمْ قَدْ وَجَفَا
واهاً لِزَمانِنَا الذِي كَانَ صَفَا ... بَلْ وَا أسَفا لِفَقْدِهِ وا أسَفا
يَا لَيْتَنَا بِزَمْزَم والحِجْرِ ... يا حَيْرَتَنَا قُبَيْلَ يَوْم النَّفْرِ
هَلْ يَرْجِعُ صَفْوُ ما مَضَى مِنْ عُمْرِي ... أدْرِي مَا كَانَ لَيْتَنِي لَا أدْرِي

---

(١) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن أبو نصر المروزي، شيخ الإسلام الزاهد الرباني، ولد سنة ١٥٢هـ ومات سنة ٢٢٧هـ، انظر «السير» ١٠/ ٤٦٩ ـ ٤٧٧.

(٢) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية الزاهدة العابدة الخاشعة. حمل الناس عنها حكماً كثيرة. وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها. ولها سيرة في جزء لابن الجوزي. عاشت ٨٠ سنة، وتوفيت ١٨٠هـ. قاله الذهبي في السير (٨/ ٢٤١ ـ ٢٤٣).

(٣) إن الحشاشة هي: بقية الروح في المريض.

كأني أرى الخلع قد خلعت على المقبولين، كأني أرى الملائكة تُصَافح التائبين، فتعالوا نجتمع نبكي على المطرودين:

مَا زِلْتَ دَهْراً للرِّضَا مُتَعَرِّضاً ... ولَطَالَما قَدْ كُنْتَ عَنَّا مُعْرِضا
جَانَبْتَنَا دَهْراً فَلَمَّا لمْ تَجدْ عِوَضاً ... سِوانَا صِرْتَ تَبكِي ما مَضَى
واحسْرَتاهُ عَلَيْكَ مِنْ مُتَقَلِّبٍ ... حَقَّ الوَبَالُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ القَضا
لَوْ كُنْتَ لازَمْتَ الوُقُوفَ بِبَابِنا ... للَبِسْتَ مِنْ إحْسَانِنَا خُلَعَ الرِّضَا
ولَقَدْ تَرَكْتَ حُقُوقَنَا وهَجَرْتَنَا ... فَلِذَاكَ ضَاقَ عَلَيْكَ مُتَّسَعُ الفَضا

* * *

تم بحمد الله وعونه. اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم [النبيين] محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرون.

الرسالة الثانية

نور الاقتباس
في
مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس

للإمام الحافظ المحدث الفقيه أبي الفرج عبدالرحمن
ابن أحمد المعروف بابن رجب الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي
(٧٩٥هـ)

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه:

محمد العمري أبو عبدالله

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد.

فإن هذا السفر النفيس الذي سيقرؤه القراء الكرام ـ إن شاءالله ـ عبارة عن وصايا نافعة، وإرشادات قيمة، وجهها هادي الأمة أفضل الأنبياء والمرسلين سيد الأولين والآخرين النبي المصطفى والرسول الكريم محمد بن عبدالله ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ لحِبِّه وابن عمه حِبر الأمة وبحرها الصحابي الجليل عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هدية مباركة تناولها قلم العالم الجليل الإمام الحافظ الواعظ البليغ العلامة عبدالرحمن بن أحمد المعروف بابن رجب البغدادي الحنبلي ـ رحمه الله رحمة واسعة وتغمده بفضله وعظيم مغفرته ـ شرحاً وعرضاً وتذكيراً ووعظاً، وهو خير فارس هذا الميدان، وقد أنعم الله عليه بمهارة عظيمة في هذا المجال وغيره من فنون العلم والمعرفة، تناول حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس المشهور. متعنا الله به ووفقنا لما يحبه ويرضاه.

قال الإمام المؤلف ـ رحمه الله ـ:

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يسِّر يا كريم

الحمد لله رب العالمين حَمداً كثيراً طيِّباً مُبَاركاً فيه كما يُحبُّ ربنا ويرضى، كما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، وصلى الله على محمد النبيِّ الأميِّ، وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

خرَّج الإمام أحمدُ من حديث حَنَش الصَّنعاني(١) عن ابن عباس قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا غُلامُ - أو يا غُلَيِّمُ - ألا أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بهِنَّ؟» فقلتُ: بَلَى. فقالَ: «احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ أمامَكَ، تَعَرَّفْ إلى الله في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وإذَا سَأَلْتَ فَاسألِ الله، وإذا اسْتَعَنْتَ فاستعِنْ بالله، قَدْ جَفَّ القَلَمُ بما هُوَ كائِنٌ، فلَوْ أنَّ الخَلْقَ كُلَّهمْ جميعاً أرادُوا أنْ يَنْفَعوكَ بِشَيءٍ لمْ يَقْضِهِ الله لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْه، وإنْ أرادُوا أنْ يَضرُّوكَ بشيءٍ لمْ يكْتُبْهُ الله عليْكَ، لمْ يَقْدِروا عَلَيْهِ. واعْلَمْ أنَّ في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خَيْراً كَثيراً، وأنَّ النَّصرَ معَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ معَ الكَرْبِ، وأنَّ معَ العُسْرِ يُسراً»(٢).

هكذا ساقه من طريق حَنَش مع إسنادين منقطعين، وفي السياق أنَّه لا يحفظ حديث بعضهم من بعض.

وخرَّجه أيضاً من طريق حنَش وحده مختصراً، ولفظه:

«يا غُلامُ، إنِّي مُحدِّثُكَ حَديثاً: احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تِجاهَكَ(٣)، إذَا سَأَلْتَ فَاسألِ الله، وإذا اسْتَعَنْتَ فاستعِنْ بالله، فَقَدْ رُفِعَتِ الأقْلامُ وجَفَّتِ الكُتُبُ، فلَوْ جَاءَتِ الأمَّةُ يَنفَعُوكَ بِشَيءٍ لمْ يكْتبه الله لَكَ لَمَا اسْتَطَاعَتْ،

(١) حنش الصنعاني هو حنش بن عبدالله أبو رشد بن الصنعاني. ثقة. مات سنة ١٠٠هـ. انظر: «التقريب» ص ١٨٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١/ ٣٠٧ من طريق قيس بن الحجاج عن حنش به.

(٣) التُّجاه: الوجه الذي تقصده. ويقال: قعدت تجاهك: تلقاء وجهك، وأصله وجاه. انظر «النهاية» ٥/ ١٥٩ (وجه)، و«المعجم الوسيط» ٢/ ١٠١٥ (وجه).

ولوْ أَرَادَتْ أَنْ تَضُرُّوكَ بشيءٍ لمْ يكْتُبْهُ الله لَكَ لمَا اسْتَطَاعتْ»[١].

وخرَّجه الترمذي بنحو هذا السياق المختصر، ولفظه: «إنِّي أُعلِّمُكَ كَلماتٍ: احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تِجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فاسْأَلِ الله، وإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله، واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لوْ اجْتَمَعَتْ على أن يَنْفَعُوكَ بشيءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلاَّ بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وإنْ اجْتَمَعوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ لم يَضُرُّوكَ إلاَّ بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عليكَ، رُفِعَتِ الأقْلَامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ». وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»[٢].

وقال الحافظ أبو عبدالله ابن منده: لهذا الحديث طرق عن ابن عباس، وهذا أصحها. قال: وهذا إسناد مشهور، ورواته ثقات.

قلت: قد روي هذا الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة عنه، فمنهم: علي ابنه، وعطاء، وعكرمة، ومن رواية عمر مولى [غفرة عنه، وعبدالملك] بن عمير، وابن أبي مليكة عن ابن عباس. وقيل: إنهما لم يسمعا منه، وفي أسانيدها جميعها مقال، وفي ألفاظها بعض الزيادة والنقص.

وروي عن النبي ﷺ أنه وصَّى بذلك ابن عباس: من حديث علي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن سعد، وغيرهم من الصحابة، وفي أسانيدها أيضاً مقال.

وذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها ليِّنة، وبعضها أصح من بعض[٣].

---

(١) انظر «المسند» ١/٣٠٣. حيث رواه أحمد من طريق قيس بن الحجاج عن حنش به.

(٢) انظر «سنن الترمذي (٤/٧٦ح ٢٦٣٥ صفة القيامة). رواه من طريق أحمد المذكور، والحديث مشهور رواه أيضاً ابن السني (ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ح ٤٢٧) وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٤٣٠ ح ٢٥٥٦) والحاكم في مستدركه (٣/ ٥٤٢ معرفة الصحابة).

(٣) انظر «الضعفاء الكبير» ٣/ ٣٩٨ رقم (١٣٤٧)، رواه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس بمثله، وليس عنده في هذا المقام قوله: وبعضها أصلح من بعض.

قلت: ذكر المؤلف في كتابه: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم (ص٢٢٢ ـ ٢٣٩)، وقال: وقد أفردت لشرحه جزءاً كبيراً، وخرج الحديث هناك ـ أيضا ـ بطرق عديدة، وشواهد كثيرة كما ذكره في النص المذكور أعلاه.

قلت: وأجود أسانيده من رواية حَنَش عن ابن عباس التي ذكرناها، وهو إسناد حسن، لا بأس به.

وقد استوفينا ذكر طرق الحديث مع الكلام عليها في كتاب «شرح الترمذي»(*).

ومقصودنا هاهنا الكلام على معنى الحديث وشرح ألفاظه، فإنه تضمن وصايا عظيمة وقواعد كليّة من أهم أمور الدين وأجلها، حتى قال الإمام أبو الفرج[1] في كتابه «صيد الخاطر»: «تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش»، ثم قال: «وأسفاً من الجهل بهذا الحديث، وقلة الفهم لمعناه».

* * *

(١) هو عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي القرشي التيمي الإمام شيخ الإسلام صاحب التصانيف التي تزيد على ٣٤٠. توفي ٥٩٧هـ. انظر «سير أعلام النبلاء» ٢١/ ٣٦٥، ٣٨٤.

(*) وكذا في كتابه جامع العلوم والحكم، كما أسلفته في الصفحة الماضية.

فقوله ﷺ: «احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ»

يعني احْفَظ حدود الله وحقوقه، وأوامره ونواهيه، [وحِفْظُ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه] بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز، ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه، فدخل في ذلك فعل الواجبات جميعها، وترك المحرمات كلها، كما في حديث أبي ثعلبة المرفوع:

«إنَّ الله فَرَض فَرَائِضَ فلا تُضَيِّعُوهَا، وحَرَّمَ حُرُماتٍ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلاَ تَعْتَدُوها»(١).

وذلك كله يدخل في حفظ حدود الله كما ذكره الله في قوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾(٣). وفُسِّر الحفيظ ههنا بالحافظ لأوامر الله، وفُسِّر بالحافظ لذنوبه حتى يرجع منها، وكلاهما يدخل في الآية.

ومن حفظ وصية الله لعباده وامتثلها فهو داخل أيضاً، والكل يرجع إلى معنى واحد.

وقد ورد في بعض ألفاظ حديث يوم المزيد في الجنة: **«إنَّ الله تعَالَى يَقُولُ لأهْلِ الجَنَّة، إذَا اسْتَدْعاهُمْ إلى زِيَارَتِهِ وكَشَفَ لَهُمُ الحُجُب: مَرْحباً بِعِبَادي الذينَ حَفِظُوا وَصِيَّتي، ورَعَوْا عَهْدِي، وخَافُونِي بالغَيْبِ، وكَانُوا مِنِّي عَلَى كُلِّ حالٍ مُشْفِقينَ»**(٤). فأمره ﷺ لابن عباس بحفظ الله يدخل فيه هذا كله.

---

(١) رواه الدارقطني في «سننه» ٤/ ١٨٤ (الرضاع)، والحاكم ٤/ ١١٥ (الأطعمة). من طريق مكحول عن أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ وفيه انقطاع بين مكحول وأبي ثعلبة. ذكره المؤلف في جامع العلوم (الحديث ٣٠ ص ٣٣٠ ـ ٣٤٣) وقال: له علتان إحداهما: أن مكحولاً لم يصح له السماع من أبي ثعلبة. والثانية أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة، وقد حسن الشيخ رحمه الله هذا الحديث، وكذلك حسنه قبله أبو بكر ابن السمعاني في أماليه.

(٢) الآية ١١٢ من سورة التوبة.

(٣) الآيتان ٣٢، ٣٣ من سورة ق.

(٤) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب». وقال: رواه ابن أبي الدنيا، وأبو نعيم هكذا معضلاً =

ومن أعظم ما يجب حفظه من المأمورات: الصلوات الخمس. قال تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾[(٢)].

وقال النبي ﷺ: «منْ حَافَظَ عَلَيها... كانَ لَهُ عِنْدَ الله عهدٌ أنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ»[(٣)] الحديث.

وفي حديث آخر: «منْ حافَظَ عَليهِنَّ كُنَّ لهُ نُوراً وبرُهاناً ونَجاةً يَوْمَ القِيامَةِ»[(٤)] الحديث.

وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة، وقال النبي ﷺ: «لا يُحَافِظُ عَلَى الوُضُوءِ إلاَّ مُؤْمِنٌ»[(٥)].

= ورفعه منكر، والله أعلم.

(١) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٣٤ من سورة المعارج.

(٣) رواه الدارمي في مسنده (٢/ ٢١١ ح ٢٧٢٤) وأبو داود (٢/ ٦٢ ح ١٤٢٠ الصلاة). والنسائي (١/ ٢٣٠ الصلاة) وابن ماجة (١/ ٤٤٩ ح ١٤٠١ الإقامة)، وابن حبان في صحيحه (٦/ ١٧٥ ح ٢٤١٧) كلهم من حديث عبادة. وصححه شعيب الأرناؤط في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦٩) والدارمي (٢/ ٢١١ ح ٢٧٢٤) وابن حبان في صحيحه (٤/ ٣٢٩ ح ١٤٦٧ الصلاة) كلهم من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ ذكر الصلاة يوماً، فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها.. الحديث». قال محقق سنن الدرامي السيد عبدالله هاشم: رواه الطبراني وأحمد ورجاله ثقات. وقال محقق صحيح ابن حبان شعيب الأرناؤط: إسناده صحيح.

(٥) رواه أحمد (٥/ ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٣) والدارمي في مسنده (١/ ١٣٣ ح ٦٦١ - ٦٦٢ الطهارة) وابن ماجة في سننه (١/ ١٠١ ح ٢٧٧ الطهارة)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٣١١ ح ١٠٣٧ الطهارة)، والحاكم في مستدركه (١/ ١٣٠ الطهارة) كلهم من حديث ثوبان به.

قال البوصيري في الزوائد: رجال إسناده ثقات أثبات. إلا أن فيه انقطاعاً بين سالم وثوبان، ولكن أخرجه الدارمي وابن حبان في صحيحه من طريق ثوبان متصلاً.

وقال محقق سنن الدارمي: قال المنذري: إسناد ابن ماجة صحيح. وقال العراقي في أماليه: حديث=

فإن العبد تنتقض طهارته ولا يعلم بذلك إلا الله، فالمحافظة على الوضوء للصلاة دليل على ثبوت الإيمان في القلب.

ومما أمر الله تعالى بحفظه الأيمان لمّا ذكر كفارة اليمين قال: ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾(١). فإن الأيمان كثيراً من يقع من الناس وموجباتها مختلفة. فتارة يجب بها كفارة يمين، وتارة يجب بها كفارة مُغلّظة، وتارة يلزم بها المحلوف عليه من طلاق ونحوه. فمن حفظ أيمانَهُ دلّ على دخول الإيمان في قلبه.

وكان السلف كثيراً يحافظون على الأيمان، فمنهم من كان لا يحلف بالله ألبتَّة، ومنهم من كان يتورع حتى يكفر عما شكّ في الحنث فيه.

ووصى الإمام أحمد عند موته أن يخرجَ عنه كفارة يمين، وقال: أظن أني حنثت في يمين حلفتها.

وقد روي عن أيوب ـ عليه السلامَ ـ كان إذا مر باثنين يحلفان بالله ذهب فكفَّر عنهما يمينيهما؛ لئلا يأثمان وهما لا يشعران. ولهذا لما حلف على ضرب امرأته مائة جلدة، أفتاه الله بالرخصة لحلفه لأيمانه وأيمان غيره.

وقد اختلف العلماء هل تتعدى الرخصة لخلفِه أم لا؟

وقال يزيد ابن أبي حبيب: بلغني أن من حملة العرش من يسيل من عينيه أمثال الأنهار من البُكاء، فإذا رفع رأسه قال: سبحانك ما تُخشى حق خشيتك. فيقول الله تعالى: لكن الذين يحلفون باسمي كاذبين لا يعلمون ذلك.

وقد ورد التشديد العظيم في الحلف الكاذب، ولا يصدر كثرة الحلف بالله والحلف به كاذباً إلا من الجهل بالله، وقلة هيبته في الصدور.

ومما يلزم المؤمن حفظه رأسه وبطنه، كما في حديث ابن مسعود المرفوع:

= حسن رواته ثقات. وصححه الألباني بطرقه وشواهده. انظر: الإرواء، الحديث رقم ٤١٢.

(١) الآية ٨٩ من سورة المائدة.

«الاسْتِحْيَاءُ مِنَ الله حَقَّ الحَيَاء: أَنْ يَحْفَظَ الرَّأسَ ومَا وَعَى، ويَحْفَظَ البَطْنَ ومَا حَوَى» خَرَّجه الإمام أحمد، والترمذي[1].

وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه [حفظ] السمع والبصر واللسان من المحرمات. وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على محرم. وقد جمع [الله] ذلك كله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[2].

ويدخل في حفظ البطن وما حوى: حفظه من إدخال الحرام إليه من المأكولات والمشروبات.

ومما يجب حفظه من المنهيات: حفظ اللسان والفرج.

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ ما بيْنَ لَحْيَيْهِ ومَا بيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ». خرَّجه الحاكم[3].

وخرَّجه البخاري من حديث سهل بن سعد عن النبي ﷺ ولفظه: «مَنْ يَضْمَنْ لي مَا بيْنَ لَحْيَيْهِ ورِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لهُ الجَنَّةَ»[4].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «منْ حَفِظَ مَا بيْنَ فُقمَيْهِ وفَرْجِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»[5].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٧)، والترمذي في سننه (٤/ ٢٤٥٨ صفة القيامة) من طريق مرة الهمداني عن ابن مسعود. وتمام الحديث: «وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء».

(٢) الآية ٣٦ من سورة الإسراء.

(٣) في مستدركه (٤/ ٣٥٧ الحدود) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي اهـ. قلت: وفي إسناده أبو واقد صالح بن محمد، وهو ضعيف، كما قال ابن حجر في التقريب (١/ ٣٦٢). ولكن يشهد له الحديث الآتي عند البخاري.

(٤) في صحيحه (٧/ ١٨٤ الرقاق) من طريق أبي حازم عنه به.

(٥) (٤/ ٣٩٨) وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (٦٢٠٢).
وأما فقميه فمعناه لحييه. قال ابن الأثير (٣/ ٤٦٥) وضبط الفقم بالضم والفتح.

وقد أمر الله تعالى بحفظ الفروج خاصة، ومدح الحافظين لها. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[١]. [و]قال تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝﴾[٣].

وقد روي عن أبي إدريس الخولاني[٤]: إن أول ما وصى الله آدم عند إهباطه إلى الأرض بحفظ فرجه، وأن لا يضعه إلا في حلال.

* * *

---

(١) الآية ٣٠ من سورة النور.

(٢) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.

(٣) الآيتان ٥، ٦ من سورة المؤمنون.

(٤) هو عائذ الله بن عبدالله. قاضي دمشق وعالمها وواعظها. مات سنة ٨٠هـ. انظر: السير (٤/ ٢٧٢-٢٧٧).

قوله ﷺ: «يَحْفَظْكَ»

يعني أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حَفِظه، فإن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[1]، وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[2]، وقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[3].

وحفظ الله تعالى لعبده [يتضمن نوعين: أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه، وولده، وأهله] وماله.

وفي حديث ابن عمر قال: لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يُمسي، وحين يصبح: «**اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ العَافِيَةَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ العَفْوَ والعَافيَةَ في دِيني ودُنْيايَ وأهْلِي ومَالِي، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتي وآمِنْ رَوعَتي، واحْفَظْني مِنْ بيْنَ يَدَيَّ ومِنْ خَلْفِي، وعَنْ يَميني وعَنْ شِمَالي، ومِنْ فَوْقي وأعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**».

خرَّجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة[4].

وهذا الدعاء منتزع من قوله ـ عز وجل ـ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾[5].

قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر

---

(١) الآية ٤٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٥٢ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٧ من سورة محمد.

(٤) في مسنده (٢/ ٢٥)، وأبو داود في سننه (٤/ ٣١٩ ح ٥٠٧٤ الأدب)، والنسائي في سننه (٨/ ٢٨٢ الاستعاذة) وابن ماجة في سننه (٢/ ١٢٧٣ ح ٣٨٧١ الدعاء) كلهم من طريق جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، عن ابن عمر به.
ورواه أيضاً ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٥ ح ٤٠) والحاكم في مستدركه (١/ ٥١٧ ـ ٥١٨ الدعاء) بالطريق المذكور. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥) الآية ١١ من سورة الرعد.

خلّوا عنه[١].

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدَّر، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإن الأجل جُنّةٌ حصينة[٢].

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوامّ، فما من شيء يأتيه إلا قال: وراءك. إلا شيئاً أذن الله فيه فيصيبه.

ومن حفظ الله للعبد: أن يحفظه في صحة بدنه وقوته وعقله وماله. قال بعض السلف: العالم لا يخرف[٣]. وقال بعضهم: من جمع القرآن مُتِّع بعقله. وتأوَّل بعضهم على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ وهو أرذل العمر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٤]

وكان أبو الطيب الطبري[٥] قد جاوز المائة سنة وهو ممتَّع بعقله وقوته، فوثب يوماً من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة، فعوتب على ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر.

وعكس هذا أن الجُنيد رأى شيخاً يسأل الناس، فقال: إن هذا ضيَّع الله في صغره، فضيَّعه الله في كبره.

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده، وولد ولده، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[٦] إنهما حفظا بصلاح أبيهما.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري، وإبراهيم بن المنذر، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم عن ابن عباس به كما ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٩٠).

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسيره، وأبو الشيخ في العظمة عنه بنحوه مطولا. كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩١) وقال في ص (٩٢) وأخرجه أيضاً أبو داود في القدر، وابن أبي الدنيا، وابن عساكر في تاريخه.

(٣) خَرِف خَرَفا: فسد عقله من الكبر. المعجم الوسيط (١/ ٢٢٨).

(٤) الآيتان ٥، ٦ من سورة التين.

(٥) هو طاهر بن عبدالله بن الطاهر بن عمر أبو الطيب الطبري. انظر ترجمته في السير (١٧/ ٦٦٨).

(٦) الآية ٨٢ من سورة الكهف.

وقال محمد بن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده، وولد ولده، وقريته التي هو فيها، والدويرات التي حولها، فما يزالون في حفظ من الله وستر(*).

وقال ابن المسيب لابنه: يا بني! لأزيدن في صلاتي من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك. وتلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[1].

وقال عمر بن عبدالعزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبهِ وعقب عقبه.

وقال يحيى بنِ إسماعيل بن سلمة بن كهيل: كان لي أخت أسن مني فاختلطت وذهب عقلُها وتوحَّشت، وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فمكثَتْ بذلك بضع عشرة سنة، فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا باب بيتي يدقُّ نصف الليل، فقلت: من هذا؟! قالت: كجه[2]. فقلت: أختي؟ قالت: أختك. ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت من أكثر من عشر سنين. فقالت: أُتيت الليلة في منامي، فقيل لي: إن الله قد حفظ أباك إسماعيل لسلمة جدِّك، وحفظك لأبيك إسماعيل، فإن شئت دعوتُ الله فذهب ما بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر قد شفعا فيك إلى الله ـ عز وجل ـ بحب أبيك، وجدك إيّاهما.

فقلت: فإذا كان لابد من اختيار أحدهما فالصبر على ما أنا والجنة، وإن الله ـ عز وجل ـ لواسع بخلقه لا يتعاظمه شيء، إن شاء أن يجمعهما لي فعل. قالت: فقيل لي: فإن الله تعالى قد جمعهما لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ قومي فانزلي، فأذهب الله ما كان بها.

ومتى كان العبد مشتغلاً بطاعة الله ـ عز وجل ـ فإن الله تعالى يحفظه في تلك الحال كما في «مسند الإمام أحمد» عن حميد بن هلال، عن رجل قال: أتيت

---

(١) الآية ٨٢ من سورة الكهف.

(٢) (الكُجَّةُ): لعبة للصبيان، يأخذ الصبي خرقة فيدوّرها كأنها كرة، ثم يتقامرون بها. انظر: القاموس (ص ٢٥٩)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٧٨).

(*) رواه ابن المبارك في الزهد، وابن أبي شيبة (لعله في مصنفه) عن محمد بن المذكور موقوفاً، كما ذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٦). وساقه عن ابن عباس موقوفاً أيضا.

النبي ﷺ فإذا هو يريني بيتاً، فقال: «إنَّ امْرأةً كانَتْ فيهِ فخَرَجَتْ في سَرِيَّةٍ من المُسْلِمينَ وتَرَكَتْ اثْنَتَيْ عشْرَةَ عنزاً وصِيصيتَها[1]، كانَتْ تَنْسُجُ بهَا، قالَ: فَفَقَدَتْ عَنْزاً لهَا وصِيصتِهَا. فقالتْ: يا رَبِّ، إنَّكَ قَدْ ضَمِنْتَ لِمَنْ خَرَجَ في سبيلِكَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيْهِ، وإنِّي قَدْ فَقَدْتُ عَنْزاً مِنْ غَنَمِي وصِيصيتي، وإنِّي أَنْشُدُكَ عَنْزِي وصِيصيتي». قالَ: فَجعَلَ رسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ شِدَّةَ مُنَاشَدَتِهَا ربَّهَا تَبارَكَ وتَعالى. قالَ رسولُ الله ﷺ: «فَأَصْبَحَتْ عَنْزُهَا ومِثْلُهَا وصِيصَتُها ومِثْلُهَا، وهَاتِيكَ فإنها إنْ شِئْتَ»، قال: فقلت: بَلْ أَصْدُقُكَ[2].

وكان شيبان الراعي يرعى غنماً في البرية، فإذا جاءت الجمعة خط عليها خطًا، وذهب إلى الجمعة، ثم يرجع وهي كما تركها.

وكان بعض السلف في يده الميزان يزن بها دراهم، فسمع الأذان فنهض ونفضها على الأرض، وذهب إلى الصلاة، فلما عاد جمعها، فلم يذهب منها شيء.

ومن أنواع حفظ الله لمن حفِظَه في دنياه: أن يحفظه من شر كل من يريده بأذى من الجن والإنس. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾[3].

قالت عائشة: يكفيه غمَّ الدنيا وهمها.

وقال الربيع بن خثيم[4]: يجعل له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس.

وكتبت عائشة إلى معاوية: «إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس

---

(١) الصِّيصة: بالكسر. شوكة الحائك يسوّي بها السَّوى واللحمة، وشوكة الديك. انظر: القاموس المحيط (ص ٨٠٣). ويقال: السِّنَّارة التي يغزل بها وينسج. انظر «المعجم الوسيط» ١/ ٥٣١.

(٢) رواه أحمد ٥/ ٦٧ من طريق سليمان بن المغيرة عن حميد به. قال الهيثمي في «المجمع» ٥/ ٢٨٠ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) الآية ٢ من سورة الطلاق.

(٤) الربيع بن خُثيم ـ بضم المعجمة وفتح المثلثة ـ ابن عائذ أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم. قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك. مات سنة ٦١ وقيل ٦٣هـ. انظر: «تقريب التهذيب» ص ٢٠٦.

لم يغنوا عنك من الله شيئاً».

وكتب بعضُ الخلفاء إلى الحكم بن عمرو الغفاري كتاباً يأمره فيه بأمر يخالف كتاب الله، فكتب إليه الحكم: إني نظرت في كتاب الله فوجدته قبل كتاب أمير المؤمنين، وإن السموات والأرض لو كانتا رتقاً على امرىء، فاتَّقى الله ـ عز وجل ـ جعل الله له مخرجاً، والسلام.

وأنشد بعضهم:

بِتَقْــوى الإلــهِ نَجَــا مَــنْ نَجَــا وفَــازَ وصَــارَ إلــى مَــا رَجَــا
ومَـــنْ يَتَّـــقِ الله يَجْعَـــلْ لَـــهُ كمَــا قــالَ مِــنْ أمْــرِهِ مَخْــرجــا

كتب بعض السلف إلى أخيه: «أما بعد، فإنه من اتَّقى الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه، والله الغني عنه».

ومن عجيب حفظ الله تعالى لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى، وساعية في مصالحه، كما جرى لسفينة مولى النبي ﷺ حيث كُسِر به المركب، وخرج إلى جزيرة، فرأى السَّبع، فقال له: يا أبا الحارث! أنا سفينة مولى النبي ﷺ. فجعل يمشي حوله ويدله على الطريق حتى أوقفه عليها، ثم جعل يهمهم[١] كأنه يودعه وانصرف عنه[٢].

وكان أبو إبراهيم السائح قد مَرِض في برية بقرب دير، فقال: لو كنت عند باب الدير لنزل الرهبان فعالجوني. فجاء السَّبعُ فاحتمله على ظهره حتى وضعه على باب الدير، فرآه الرهبان فأسلموا، وكانوا أربعمائة راهب[٣].

وكان إبراهيم بن أدهم نائماً في بستان، وعنده حية في فمها: طاقة نرجس،

---

(١) هَمْهم الرجل: تكلم كلاماً خفيًّا يسمع ولا يفهم محصوله. ويقال: همهم الأسد، وللرعد سمع له دوي، «المعجم» ٢/ ٩٩٩. والهمهمة: الكلام الخفي. القاموس (١٥١٢).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٦٩) من طريق محمد بن المنكدر عن سفينة مولى رسول الله ﷺ بنحوه.

(٣) ذكره الذهبي في السير (١١/ ٢٢٨) من طريق عبدالله بن أحمد.

فما زالت تذبُّ عنه حتى استيقظ.

فمنْ حَفِظَ الله حفِظَه من الحيوانات المؤذية بالطبع، وجعل تلك الحيوانات حافظة له. ومن ضيَّع الله ضيَّعه فشاع بين خلقه، حتى يدخل عليه الضرر بشيء ممَّن كان يرجو أن ينفعه، ويصير أخصّ أهله به وأرفقهم به يؤذيه.

كما قال بعضهم: إنِّي لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلق خادمي وحماري. يعني أن خادِمَه يسوء خلقه عليه ولا يطيعه، وحماره يستعصي عليه فلا يواتيه لركوبه. فالخير كله مجموع في طاعة الله والإقبال عليه، والشر كله مجموع في معصيته والإعراض عنه.

قال بعض العارفين: من فارق سُدَّة[1] سيده لم يجد لِقَدَمَيْه قراراً أبداً.

والله مَا جِئْتُكُمْ زَائِراً   إلاَّ وجَدْتُ الأَرْضَ تَطْوَى لِي
ولاَ ثَنَيْتُ العَزْمَ عَنْ بَابِكُمْ   إلاَّ تَعَثَّرْتُ بأذْيَالِي

النوع الثاني من الحفظ وهو أشرفهما وأفضلهما: حفظ الله لعبده في دينه، فيحفظ عليه دينه وإيمانه في حياته من الشبهات المُرْدِية[2] والبدع المضلة، والشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإسلام.

قال الحكم بن أبان[3]، عن أبي مكي: إذا حضر الرجل الموتُ يقال للمَلَك: شُمَّ رأسه! قال: أجد في رأسه القرآن. قال: شمَّ قلبه! قال: أجد في قلبه الصيام، قال: شمَّ قدميه! قال: أجد في قدميه القيام. قال: حفظ نفسه فحفظه الله ـ عز وجل ـ. خرَّجه ابن أبي الدنيا.

وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ علَّمه

---

(١) السُّدَّة: كالظُّلَّة على الباب؛ لتقي الباب من المطر. وقيل هي الباب نفسه. وقيل هي الساحة بين يديه. انظر: النهاية (٢/ ٣٥٣).

(٢) المردية: المُوقعة في مهلكة. انظر: النهاية (٢/ ٢١٦).

(٣) الحكم بن أبان أبو عيسى العدني. سيد أهل اليمن. مات سنة ١٥٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٤٢٣).

أن يقول عند منامه: «اللهُمَّ إنْ قَبَضْتَ نفسِي فارْحَمْها، وإنْ أرْسَلْتَها فاحْفَظْهَا بما تَحْفَظُ به عِبَادَكَ الصَّالِحينَ»(١).

وفي حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه علَّمه [أن] يقول: «اللهُمَّ احْفَظْنِي بالإسْلام قائِماً، واحْفَظْنِي بالإسْلام قاعِداً، واحْفَظْنِي بالإسْلامِ راقِداً، فلاَ تُطعْ فِيَّ عَدُوًّا ولا حَاسِداً». خرَّجه ابن حبَّان في «صحيحه»(٢).

وكان النبي ﷺ إذا ودَّع من يريد السفر يقول له: «أسْتَودِعُ الله دينكَ وأمَانَتكَ وخَواتِيمَ عَمَلِكَ»(٣).

---

(١) لم أجده من حديث البراء في الصحيحين، بل رواه البخاري (٨/ ١٦٩ توحيد) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤ ـ ٢٠٨٥ح ٢٧١٤ الذكر والدعاء) من حديث أبي هريرة به إلا قوله: «فارحمها» فعندهما: «فاغفرها».
وأما حديث البراء فهو ما رواه البخاري (٧/ ١٤٦ كتاب الدعوات). ومسلم (٢/ ٢٠٨١ح ٢٧١٠ الذكر والدعاء) كلاهما من طريق سعد بن عبيدة عن البراء مرفوعاً: «إذا أتيت مضجعك... وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك... فإن مت مت على الفطرة» وهذا لفظ البخاري.

(٢) (٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥ ح ٩٣٤ الرقائق ـ باب الأدعية) من طريق هاشم بن عبدالله بن الزبير أن عمر أصابته مصيبة فأتى رسول الله ﷺ ... الحديث. وقال ابن حبان: توفي عمر بن الخطاب وهاشم بن عبدالله بن الزبير ابن تسع سنين. وبهذا الطريق رواه الديلمي ـ أيضاً ـ في مسند الفردوس (١/ ٢/ ١٩٥) وله شاهد رواه الحاكم (١/ ٥٢٥) من حديث ابن مسعود. وقال: صحيح على شرط البخاري. وتعقبه الذهبي وقال: أبو الصهباء لم يخرج له البخاري، وقال الألباني: والحديث حسن بمجموع الطريقين. انظر الأحاديث الصحيحة للألباني (رقم ١٥٤٠).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٧) وأبو داود (٣/ ٣٤ ح ٢٦٠٠ الجهاد) والترمذي (٥/ ١٦٣ ح ٣٥٠٦ الدعوات) وابن ماجة (٢/ ٩٤٣ ح ٢٨٢٦ الجهاد) كلهم من حديث عبدالله بن عمر به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه.

وفي رواية، وكان يقول: «إنَّ الله إذَا اسْتُوْدِعَ شيئاً حَفِظَهُ». خرَّجه النسائي وغيره[١].

وخرَّج الطبراني حديثاً مرفوعاً: «إنَّ العَبْدَ إذَا صلَّى الصَّلاةَ علَى وجْهِهَا صَعِدَتْ إلى الله ولَهَا بُرْهانٌ كبُرْهانِ الشَّمْسِ وتقُولُ لِصَاحِبها: حَفِظَكَ الله كَمَا حَفِظْتَني. وإذَا ضَيَّعَهَا لُفَّتْ كمَا يُلَفُّ الثَّوبُ الخَلَقُ ثُمَّ يُضْرَبُ بهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا، وتَقُولُ لهُ: ضَيَّعَكَ الله كمَا ضَيَّعْتَنِي»[٢].

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول في خطبته: «اللهم اعصمنا بحفظك وثبتنا على أمرك».

ودعا رجل لبعض السلف بأن يحفظه الله، فقال له: يا أخي! لا تسأل عن حفظه، ولكن قلْ: يحفظ الإيمان.

يعني أن المُهمَّ: هو الدعاء بحفظ الدين، فإن الحفظ الدنيوي قد يشترك فيه البر والفاجر، فالله تعالى يحفظ على المؤمن دينه، ويحول بينه وبين ما يفسده عليه بأسباب قد لا يشعر العبد ببعضها، وقد يكون يكرهه.

وهذا كما حفظ يوسف ـ عليه السلام ـ قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[٣]. فمن أخلص لله خلصه من السوء والفحشاء، وعصمه منهما من حيث لا يشعر، وحال بينه وبين أسباب المعاصي: المهلكة.

كما رأى معروف الكرخي[٤] شباباً يتهيئون للخروج إلى القتال في فتنة،

---

(١) انظر عمل اليوم والليلة له (ص رقم ٥٠٩) ورواه أيضاً أحمد في مسنده (٢/ ٨٧) من حديث ابن عمر.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أنس بنحوه. وفيه عباد بن كثير وقد أجمعوا على ضعفه. انظر مجمع الزوائد (١/ ٣٠٧).

(٣) الآية ٢٤ من سورة يوسف.

(٤) هو معروف بن فيروز أبو محفوظ البغدادي، علم الزهاد من الصائبة، أخباره مشوقة، انظر: =

فقال: اللهم احفظهم. فقيل له: تدعو لهؤلاء؟ فقال: إن حفظهم، لم يخرجوا إلى القتال(١).

وسمع عمر ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يقول: اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه، فحل بيني وبين معاصيك. فأعجب ذلك عمر، ودعا له بخير.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾(٢) قال: يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار(٣).

حجَّ بعض المتقدمين فبات بمكة مع قوم، فهمَّ بمعصية، فسمع هاتفاً يهتف يقول: ويلك ألم تحج؟ فعصمه الله مما همَّ به.

وخرج بعضهم مع رفقة إلى معصية، فلما همَّ بمواقعتها هتف به هاتف: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾(٤) فتركها.

ودخل رجل غيضة ذات شجر فقال: لو خلوت ههنا بمعصية من كان يراني؟ فسمع صوتاً ملأ ما بين حافتي الغيضة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾(٥).

وهمَّ رجل بمعصية فخرج إليها، فمرَّ في طريقه بقاص على النَّاس، فوقف على حلقته فسمعه يقول: أيها الهامُّ بالمعصية! أما علمت أن خالق الهمة مطلع

= حلية الأولياء (٨/ ٣٦٠) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٩).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٦٦) وقال: مر معروف على قوم من أصحاب زهير، ثم ساق نحوه، وقال: ويحك إن حفظهم رجعوا ولم يحفظوا.

(٢) الآية ٢٤ من سورة الأنفال.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي غالب الخلجي قال: سألت ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن قول الله: ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾ ... إلخ بنحوه مطولاً. كما ذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٢٠) وعزاه أيضاً إلى أبي الشيخ في العظمة.

(٤) الآية ٣٨ من سورة المدثر.

(٥) الآية ١٤ من سورة الملك.

الغيضة: الموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتف. المعجم الوسيط (٢/ ٦٦٨).

على همتك؟ فوقع مغشيًا عليه فما أفاق إلا عن توبة.

وكان بعض الملوك الصالحين قد تعلَّق قلبه بمملوك له جميل، فخشي على نفسه، فقام ليلة واستغاث الله، فمرض المملوك من ليلته، ومات بعد ثلاث.

ومنهم من عُصِم بموعظة جرت على لسان من أراد منه الموافقة على المعصية.

«كَمَا جَرى لأَحَدِ الثَّلاثَةِ الذِينَ دَخَلُوا الغَارَ وانطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ الصَّخْرَة، فإِنَّهُ لَمَّا جَلَسَ مِنْ تِلْكَ المَرْأةِ مجْلِسَ الرَّجُلِ مِنْ امرَأتِهِ، قالَتْ لهُ: يا عَبْدَ الله! اتَّقِ الله، ولا تَفُضَّ الخَاتَمَ إلاَّ بِحَقِّه فقَامَ عنْها»[١].

و«كذلِكَ الكِفْلُ منْ بَني إسْرائيلَ، كانَ لا يتَورَّعُ عنْ مَعْصيةٍ، فأعجَبَتْهُ امرأةٌ فأعْطَاهَا سِتينَ دِيناراً، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ منْ امرَأتِهِ ارْتَعَدَت، فقالَ: أكْرَهْتُكِ؟ قالتْ: لا، ولكنْ هَذَا عَمَلٌ ما عَمِلْتُهُ قَطُّ وإنَّما حَمَلَني عَلَيْهِ الحَاجَةُ. فقال: تَخَافينَ الله ولاَ أخَافُهُ! ثُمَّ قامَ عَنْهَا ووَهَبَ لهَا الدَّنانير، وقالَ: والله لا يَعْصِي الله الكِفْلُ أبَداً. وماَت في لَيْلَتِهِ فأصْبَحَ مَكْتوباً عَلَى بابِهِ: قدْ غَفَرَ الله للكِفْلِ».

خرَّج الإمام أحمد، والترمذي حديثه هذا من حديث ابن عمر مرفوعاً[٢].

وراود رجل امرأة عن نفسها، وأمرها بغلق الأبواب ففعلت، وقالت له: قد بقي باب واحد. قال: وأي باب هو؟ قالت: الباب الذي بيننا وبين الله عز وجل. فلم يَعْرض لها.

وراود رجل أعرابية، قال لها: ما يرانا إلا الكواكب. قالت: فأين مُكوكبُها؟!

---

(١) هو جزء من حديث معروف بحديث الغار الذي رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٨ الأنبياء) من حديث ابن عمر به في حديث طويل.

(٢) في مسنده (٢/ ٢٣) والترمذي في سننه (رقم ٢٤٩٨ صفة القيامة) ورواه أيضاً الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ التوبة والإنابة). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

وهذا كله من ألطاف الله وحيلولته بين العبد وبين معصيته.

قال الحسن ـ وذكر أهل المعاصي ـ: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم.

وقال بشر: ما أصر على معصية الله كريمٌ، ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيمٌ.

ومن أنواع حفظ الله لعبده في دينه: أن العبد قد يسعى في سبب من أسباب الدنيا ـ إما الولايات أو التجارات أو غير ذلك ـ فيحول الله بينه وبين ما أراده لما يعلم له من الخِيرَة في ذلك وهو لا يشعر مع كراهته لذلك.

قال ابن مسعود: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى يُيسَّر له، فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإني إن يسَّرته له أدخلته النار فيصرفه الله عنه، فيظلُّ يتطير، يقول: سبقني فلان، دهاني فلان، وما هو إلا فضل الله عز وجل.

وأعجب من هذا أن العبد قد يطلب باباً من أبواب الطاعات، ولا يكون له فيه خيرة، فيحول الله بينه وبينه صيانة له وهو لا يشعر.

وخرَّج الطبراني ـ وغيره ـ من حديث أنس مرفوعاً: «يَقُولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: إنَّ مِن عِبادي مَنْ لا يُصْلِحُ إيمَانَهُ إلاَّ الفَقْر، وإنْ بَسَطْتُ عليْهِ أفْسَدَهُ ذلِكَ، وإنَّ مِنْ عِبادي مَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَهُ إلاَّ الغِنى، ولوْ أفْقَرْتُهُ لأفْسَدَهُ ذلِكَ، وإنَّ مِنْ عبادِي لا يُصلِحُ إيمانَهُ إلاَّ الصِّحَةُ ولوْ أسقَمْتُهُ لأفسَدَهُ ذلِك، وإنَّ منْ عِبادِي منْ لا يُصْلِحُ إيمانَهُ إلا السَّقم ولوْ صَحَحْتُهُ لأفْسَدَهُ ذلكَ، وإنَّ منْ عِبادي منْ يَطْلُبُ باباً من العِبادَةِ فأكُفُّهُ عَنْهُ كيْلا يَدْخُلَهُ العُجبُ، إنِّي أُدبِّرُ عِبادِي بِعِلْمِي بمَا فِي قُلُوبِهم إنِّي عَليمٌ خَبيرٌ»[1].

(١) لم أجده عنده في المعجم الكبير لعله رواه في مؤلف آخر والله أعلم، ولكن رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٨ـ٣١٩) من حديث أنس به.

كان بعض المتقدمين يكثر سؤال الشهادة فهتف به هاتف: إنك إن غزوت أُسِرْت، وإن أُسِرْت تنصرت. فكفّ عن سؤاله.

وفي الجملة فمن حفظ حدود الله وراعى حقوقه، تولى الله حفظه في أمور دينه ودنياه، وفي دنياه وآخرته.

وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه وليُّ المؤمنين وأنه يتولى الصالحين، وذلك يتضمن أنه يتولى مصالحهم في الدنيا والآخرة، ولا يكلهم إلى غيره.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾(2).

وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(3).

وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾(4).

فمن قام بحقوق الله عليه فإن الله يتكفل له بالقيام بجميع مصالحه في الدنيا والآخرة، فمن أراد أن يتولى الله حفظه ورعايته في أموره كلها فليراع حقوق الله عليه، ومن أراد ألاَّ يصيبه شيء مما يكره فلا يأت شيئاً مما يكرهه الله منه.

كان بعض السلف يدور على المجالس، ويقول: من أحب أن تدوم له العافية فليتق الله.

وقال العمري الزاهد(5) لمن طلب منه الوصية: كما تحب أن يكونَ الله لك، فهكذا كُنْ لله ـ عز وجل ـ(6).

---

(1) الآية ٢٥٧ من سورة البقرة.

(2) الآية ١١ من سورة محمد.

(3) الآية ٣ من سورة الطلاق.

(4) الآية ٣٦ من سورة الزمر.

(5) هو عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله أبو عبدالرحمن الإمام القدوة الزاهد العابد العدوي العمري المدني. مات سنة ١٨٤هـ. انظر حلية الأولياء (٨/ ٢٨٣)، والسير (٨/ ٣٧٣ـ٣٧٨).

(6) والأثر رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٨٦) بإسناده إلى أحمد بن أبي الحواري: قال رجل =

وقال صالح بن عبدالكريم: يقول الله ـ عز وجل ـ: وعزتي وجلالي لا أطلع على قلب عبد أعلم أن الغالب عليه حب التمسك بطاعتي، إلا وليت سياسته وتقويمه.

وفي بعض الكتب المتقدمة يقول الله ـ عز وجل ـ: ابن آدم! لا تعلمني ما يضحكك؟! ابن آدم! اتقني ونم حيث شئت.

والمعنى: أنك إذا قمت بما عليك لله من حقوق التقوى فلا تهتم بعد ذلك بمصالحك، فإن الله هو أعلم بها منك، وهو يوصلها إليك على أتم الوجوه من غير اهتمام منك بها.

وفي حديث جابر عن النبي ﷺ: «مَنْ كانَ يُحِبُّ أنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عنْدَ الله فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ الله عِنْدَهُ، فإنَّ الله يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْهُ، حَيْثُ أنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ»[(١)].

فهذا يدل على أنه على قدر اهتمام العبد بحقوق الله وبأداء حقوقه، ومراعاة حدوده، واعتنائه بذلك وحفظه له، يكون اعتناؤه به وحفظه له، فمن كان غاية همِّه رضا الله عنه وطلب قربه ومعرفته ومحبته وخدمته، فإن الله يكون له على حسب ذلك كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[(٢)]. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[(٣)]. بل هو سبحانه أكرم الأكرمين. فهو يجازي بالحسنة عشراً ويزيد، ومن تقرَّب منه شبراً تقرَّب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً تقرَّب منه باعاً، ومن أتاه

= للعمري: عظني. وفيه: كما تحب أن يكون الله غداً فكن أنت اليوم.

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٩٠ ـ ٣٩١ح ١٨٦٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ الدعاء) كلاهما من طريق أيوب بن خالد بن صفوان عن جابر به، والحديث له قصة. وصححه الحاكم وقال الذهبي متعقباً: عمر بن عبدالله مولى غُفرة، وهو ضعيف، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٧٧) وعزاه إلى أبي يعلى والبزار وقال: وفيه عمر بن عبدالله وقد وثقه غير واحد، وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح، ويشهد له حديثان رواهما الترمذي في سننه: (في الدعوات برقم ٣٥٠٤ـ٣٥٠٥) من حديث أبي هريرة وأنس. وقال عنهما: حديث حسن غريب.

(٢) الآية ١٥٢ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٤٠ من سورة البقرة.

يمشي أتاه هرولة .

فما يؤتى الإنسان إلا من قبل نفسه، ولا يصيبه المكروه إلا من تفريطه في حق ربه ـ عز وجل ـ كما قال علي ـ رضي الله عنه ـ لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه .

وقال بعضهم : من صفَّى صُفِّي له، ومن خلَّطَ خُلِّط عليه .

وقال مسروق : من راقب الله في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه .

وبسط هذا المعنى يطول جدًّا، وفيما أشرنا إليه كفاية، ولله الحمد .

* * *

وقوله ﷺ: «احْفظِ [الله] تَجِدْهُ أمَامَك» وفي رواية أخرى: «تُجاهَك»

معناه أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في جميع الأحوال يَحُوطُهُ وينصره، ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده، فإنه قائم على كل نفس بما كسبت، وهو تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال قتادة: من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.

كتب بعض السلف إلى أخ له: «أما بعد، فإن كان الله معك فمِمَّن تخاف؟! وإن كان عليك فمن ترجوه؟! والسلام».

وهذه المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1]. وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[2].

فإن المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد، والحفظ والإعانة، كما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[4]. وكان ﷺ قد قال لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في تلك الحال: «ما ظَنُّكَ باثْنَين: الله ثالِثُهُمَا»[5].

فهذا غير المعنى المذكور في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[6].

---

(١) الآية ٤ من سورة الحديد.

(٢) الآية ١٠٨ من سورة النساء.

(٣) الآية ٤٦ من سورة طه.

(٤) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠ فضائل الأصحاب ٥/ ٢٠٤ تفسير سورة التوبة) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٤ ح ٢٣٨١ فضائل الصحابة) كلاهما من حديث أنس به.

(٦) الآية ٧ من سورة المجادلة.

فإن ذلك عام لكل جماعة. ومن هذا المعنى الخاص الحديث الإلهي، وقوله فيه: «ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذَا أحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا، ورِجْلَهُ التي يِمْشِي بِهَا»[١].

وإلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة على قرب الرب سبحانه ممن أطاعه واتقاه، وحفظ حدوده وراعاه.

دخل بُنان الحمال[٢] البَرِيَّة على طريق تبوك، فاستوحش، فهتف به هاتف: لِمَ تَسْتَوحِشُ؟ أليس حبيبك معك؟[٣].

فمن حفظ الله وراعى حقوقه وجده أمامه وتجاهه على كل حال، فاستأنس به واستغنى به عن خلقه.

وفي الحديث: «أفْضَل الإيمانِ أنْ يَعْلَمَ العَبْدُ أنَّ الله مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»[٤]. خرَّجه الطبراني وغيره. وبسط هذا القول يطول جدًّا.

كان بعض العلماء الربانيين كثير السفر على التجريد وحده، فخرج الناس

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩٠ الرقاق) من حديث أبي هريرة به.
انظر ما قاله المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في «جامع العلوم والحكم» ص ٤٢٦ ـ ٤٤٢ ح ٣٠ في شرح الحديث، وقد أفرد الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ شرح هذا الحديث بكتاب سمَّاه: «قطر الولي في شرح حديث الولي» فارجع إليه فإنه نفيس ومفيد.

(٢) هو بنان بن محمد بن حمدان أبو الحسن الواسطي شيخ الإسلام الإمام المحدث الزاهد، مات سنة ٣١٦هـ. انظر «الحلية» ١٠/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، و«السير» ١٤/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠.

(٣) ذكره أبو نعيم ١٠/ ٣٢٤ وقال: حكي عن أبي علي الروذباري قال: سمعت بناناً يقول: دخلت بادية تبوك... إلخ.

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٢٤ من حديث عبادة بن الصامت به، وقال الهيثمي في «المجمع» ١/ ٦٥: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» من حديث عبادة وقال: تفرد به عثمان بن كثير، ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح. ضعفه الألباني. انظر: «ضعيف الجامع» رقم (١٠٠٢).

مرة معه يودعونه فردهم، وأنشد:

إذَا نَحْنُ أدلَجْنَا وأنْتَ أمَامَنَا كَفَى لمطايانَا بِذِكْراكَ هادِيَا

وكان الشبلي[1] ينشد هذا البيت وربما قطع مجلسه عليه.

* * *

(١) هو دلف بن جحدر أبو بكر الشبلي. شيخ الطائفة البغدادي، كان فقيهاً عالماً بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر له ألفاظ وحكم. انظر أخباره في «حلية الأولياء» ١٠/ ٣٦٦ـ٣٧٥ و«السير» ١٥/ ٣٦٧ـ٣٦٩.

قوله: «تَعَرَّفْ إلى الله في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ»

المعنى: أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه وصحته، فقد تعرف بذلك إلى الله وكان بينه وبينه معرفة، فعرفه ربه في الشدة وعرف له عمله في الرخاء، فنجّاه من الشدائد بتلك المعرفة.

وهذه أيضاً معرفة خاصة تقتضي القرب من الله ـ عز وجل ـ ومحبته لعبده، وإجابته لدعائه، وليس المراد بها المعرفة العامة فإن الله لا يخفى عليه حال أحد من خلقه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[1]. وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[2].

وهذا التعرف الخاص هو المشار إليه في الحديث الإلهي: «ولا يَزالُ عَبْدِي يَتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ...» إلى أن قال: «ولئِنْ سَألَنِي لأعْطِيَنَّهُ، ولئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ»[3].

اجتمع الفضيل[4] بشعوانة العابدة فسألها الدعاء، فقالت: يا فضيل، وما بينك وبينه؟ ما إن دعوته أجابك، فشهق[5] الفضيل شهقة خرَّ مغشيًا عليه[6].

وقال أبو جعفر السائح: أتى الحسن[7] إلى حبيب أبي محمد[8] هارباً من

---

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم.

(٢) الآية ١٦ من سورة ق.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) الفضيل هو الفضيل بن عياض بن مسعود أبو علي القدوة الإمام التميمي. انظر «السير» ٨/ ٤٢١.

(٥) شهق: ردَّد البكاء في صدره. «المعجم الوسيط» ١/ ٤٩٨.

(٦) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ١١٣ ترجمة عياض، بإسناده من طريق دهرم بن الحارث عنه بزيادة: أعزنا بعز الطاعة، ولا تذلنا بذل المعصية.

(٧) الحسن هو الحسن البصري الإمام المشهور.

(٨) حبيب أبو محمد هو حبيب المعلم أبو محمد البصري، صدوق، مات ١٣٠هـ، «التقريب» ص ١٥٢.

الحجاج[١] فقال: يا أبا محمد! احفظني من الشرط، هم على إثري. فقال: استحييت لك يا أبا سعيد، أليس بينك وبين ربك من الثقة ما تدعوه فيسترك من هؤلاء؟ ادخل البيت فدخل الشرط على إثره فلم يروه. فذكروا ذلك للحجاج فقال: بل كان في بيته إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه.

ومتى حصل هذا التعرف الخاص للعبد حصل للعبد معرفة خاصة بربه توجب له الأنس به والحياء له. وهذه معرفة خاصة غير معرفة المؤمنين العامة. ومدار العارفين كلهم على حصول هذه المعرفة وهذا التعرف، وإشاراتهم تومىء إلى هذا.

سمع أبو سليمان[٢] رجلاً يقول: سهرت البارحة في ذكر النساء، فقال: ويحك! أما تستحي منه، يراك ساهراً في ذكر غيره، ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف؟

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي.

وليس معرفته الإقرار به، ولكن المعرفة الذي إذا عرفته استحييت منه. وهذه المعرفة الخاصة والتعرف الخاص توجب طمأنينة العبد بربه وثقته به في إنجائه من كل شدة وكرب، وتوجب استجابة الرب دعاء عبده.

لما اختفى الحسن البصري من الحجاج، قيل له: لو خرجت من البصرة فإنا نخاف أن يدل عليك. فبكى، ثم قال: أخرج من مصري وأهلي وإخواني؟ إن معرفتي بربي وبنعمه عليَّ يدلني على أنه سينجيني ويخلصني منه إن شاءالله. فما ضرَّه الحجاج بشيء ولقد كان يكرمه بعد ذلك إكراماً شديداً، ويحسن ذكره.

وقال رجل لمعروف[٣]: ما الذي هيَّجك على الانقطاع والعبادة؟ وذكر الموت والبرزخ والجنة والنار، فقال معروف: أي شيء هذا؟! إن ملكاً هذا كله

---

(١) حجاج هو الأمير المشهور حجاج بن يوسف الثقفي.

(٢) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية أبو سليمان الداراني الزاهد، انظر «السير» ١٠/ ١٨٢.

(٣) هو المعروف الكرخي الزاهد تقدم ذكره.

بيده، إن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا.

ومما يُبين هذا ويوضحه الحديث الذي خرَّجه الترمذي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يَستجيبَ الله لهُ عِنْدَ الشَدَائِدِ، فَلْيُكثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخاءِ»(١).

وخرَّج ابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم، وابن جرير - وغيره - من حديث يزيد الرَّقاشي عن أنس - يرفع الحديث -: «أنَّ يونُسَ - عليه السلام - لمَّا دَعَا وهو في بَطْنِ الحُوتِ، قالتِ المَلائِكَةُ: يا ربّ: هَذَا صَوْتٌ مَعْروفٌ من بِلادٍ غَريبة! فقالَ الله: أمَا تَعْرِفونَ ذلكَ؟ قالوا: ومَنْ هُوَ؟ قال: عَبْدي يونس. [قالوا: عبدك يونس] الذي لم يزل يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتقَبَّلٌ ودَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ؟! قال: نعم. قالوا: يا رَبّ! أفلاَ تَرْحَم مَا كانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ فَتُنْجِيهِ مِنَ البلاَءِ؟ قال: بلَى. فأمَر الله الحُوتَ فَطَرَحَهُ بالعَرَاءِ»(٢).

قال الضحاك بن قيس(٣): اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس - عليه السلام - كان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾(٤). وإن فرعون كان طاغياً ناسياً لذكر الله فلما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾(٥).

وقال رِشْدين بن سعد(٦): قال رجل لأبي الدرداء: أوصني، فقال: اذكر

(١) انظر سننه (٥/ ١٣٠ ح ٣٤٤٢ الدعوات) وله شاهد رواه الحاكم (١/ ٥٤٤ الدعاء) من حديث أبي هريرة. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة، وابن أبي حاتم في تفسيره كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره، كلهم من حديث أنس بنحوه.

(٣) الضحاك بن قيس بن خالد القرشي الصحابي، انظر «السير» ٣/ ٢٤١.

(٤) الآية ١٤٣، ١٤٤ من سورة الصافات.

(٥) الآية ٩١ من سورة يونس.

(٦) رشدين بن سعد بن مفلح أبو الحجاج المصري ضعيف، كان صالحاً في دينه، مات ١٨٨هـ. =

الله في السراء يذكرك في الضراء.

قال سلمان الفارسي: إذا كان الرجل دعَّاءً في السراء، فنزلت به ضراء، فدعا الله ـ عز وجل ـ قالت الملائكة: صوت معروف فشفّعوا له، وإذا كان ليس بدعَّاءٍ في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله ـ عز وجل ـ قالت الملائكة: صوت ليس بمعروف فلا يشفعون له.

وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار وأطبقت عليهم الصخرة يشهد لهذا أيضاً، فإنهم فُرِّجَ عنهم بدعائهم لله بما كان سبق منهم من الأعمال الخالصة في حال الرخاء: من بر الوالدين، وترك الفجور، وأداء الأمانة الخفية(١).

فإذا عُلِم أن التعرف إلى الله في الرخاء يُوجب معرفة الله لعبده في الشدة فلا شدة يلقاها المؤمن في الدنيا أعظم من شدة الموت، وهي أهون مما بعدها إن لم يكن مصير العبد إلى خير، وإن كان مصيره إلى خير فهي آخر شدة يلقاها.

فالواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالأعمال الصالحة والمبادرة إلى ذلك، فإنه لا يدري المرء متى تنزل هذه الشدة من ليل أو نهار. وذكر الأعمال الصالحة عند الموت مما يُحسِّن ظنَّ المؤمن بربه، ويهوِّن عليه شدة الموت ويقوِّي رجاءه.

قال بعضهم: كانوا يستحبون أن يكون للمرء خبيئة من عمل صالح، ليكون أهون عليه عند نزول الموت أو كما قال.

وكانوا يستحبون أن يموت الرجل عقب طاعة عملها من حج أو جهاد أو صيام رمضان.

وقال النخعي(٢): كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته

= انظر «التقريب» ص (٢٠٩).

(١) تقدم تخريجه ص (١٣٩) رقم (١).

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، مات ٩٦هـ. «التقريب» ص (٩٥).

لكي يحسن ظنه بربه .

قال أبو عبدالرحمن السُّلمي[(١)] في مرضه : كيف لا أرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان .

ولما احتُضر أبو بكر بن عيَّاش وبكوا عليه قال: لا تبكوا، فإني ختمت القرآن في هذه الزاوية ثلاث عشرة ألف ختمة .

وروي عنه أنه قال لابنه : أترى أن الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة؟

وقال بعض السلف لابنه عند موته ورآه يبكي قال: لا تبك فما أتى أبوك فاحشة قط .

وختم آدم بن أبي إياس القرآن وهو مسجى للموت ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا، كنت أرجوك، لا إله إلا الله. ثم قضى رحمه الله .

وكان عبدالصمد الزاهد يقول عند موته : سيدي! لهذه الساعة خبأتك، ولهذا اليوم اقتنيتك، وحق حسن ظني بك .

وقال ابن عقيل[(٢)] عند موته وقد بكى النسوة : قد وقَّعت عنه خمسون سنة، فدعوني أتهنأ بلقائه .

لما هجم القرامطة على الحُجَّاج وقتلوهم في الطواف، وكان علي بن باكويه الصوفي يطوف فلم يقطع الطواف والسيوف تأخذه حتى وقع . فأنشد :

تَرَى المُحبِّين صَرْعى فِي دِيَارِهُمُ ... كفِتْيَةِ الكَهْفِ لا يَدْرُونَ كَم لَبِثُوا
تـالله لَـوْ حَلَـفَ الأحْبَـابُ أنَّهُـمُ ... مَوْتى مِنَ البَيْنِ يَوْمَ البَيْنِ ما حَنَثُوا

---

(١) هو عبدالله بن حبيب الكوفي المقرىء، ثقة، ثبت، مات بعد ٧٠هـ، «التقريب» (٩٩).

(٢) ابن عقيل هو على بن عقيل بن محمد بن عقيل الإمام العلامة شيخ الحنابلة، صاحب التصانيف المتقن، مات سنة ٤٥٨هـ. انظر «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٤٤٣ .

فمن أطاع الله واتقاه وحفظ حدوده في حياته، تولاه الله عند وفاته، وتوفاه على الإيمان وثبته بالقول الثابت في القبر عند سؤال الملكين، ودفع عنه عذاب القبر، وآنس وحشته في تلك الوحدة والظلمة.

قال بعض السلف: إذا كان الله معك عند دخولك القبر فلا بأس عليك ولا وحشة. ورؤي بعض العلماء الصالحين في النوم بعد موته، فسئل عن حاله، فقال: يؤنسني ربي - عز وجل -.

فمن كان الله أنيسه في خلواته في الدنيا، فإنه يرجى أن يكون أنيسه في ظلمات اللحود إذا فارق الدنيا وتخلى عنها، وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

فيَا رَبِّ كُنْ لِي مُؤْنِساً يَوْمَ وَحْشَتِي ... فإنِّي بمَا أنْزَلْتَهُ لَمُصَدِّقُ
ومَا ضَرَّنِي أنِّي إلى الله صَائِرٌ ومَنْ ... هُوَ مِنْ أهْلِي أبَرُّ وأرْفَقُ

وكذلك أهوال القيامة وأفزاعها وشدائدها، إذا تولى الله عبده المطيع له في الدنيا، أنجاه من ذلك كله.

قال قتادة[1] في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾[2]. قال: من الكرب عند الموت، ومن أفزاع يوم القيامة[3].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: ننجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة[4].

وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾[5].

---

(١) هو قتادة بن دعامة السدوسي الإمام المحدث المشهور.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٣) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، وأبو نعيم في «الحلية» عن قتادة به. انظر «الدر المنثور» ٦/ ٣٥٣.

(٤) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن ابن عباس به، انظر الدر المنثور (٦/ ٣٥٣).

(٥) الآية ١٣ من سورة الأحقاف.

قال: يبشر بذلك عند موته وفي قبره ويوم يبعث، فإنه لفي الجنة، وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه.

وقال ثابت البُناني[1] في هذه الآية: بلغنا أن المؤمن حين يبعثه الله من قبره يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن. فيُؤمِّنُ الله خوفه، ويقرُّ الله عينه، فما من عظيمة تغشى الناس يوم القيامة إلا وهي للمؤمن قرة عين، لما هداه الله ولما كان عمل في الدنيا. خرَّج ذلك كله ابن أبي حاتم وغيره.

وأما من لم يتعرف إلى الله في الرخاء، فليس له من يعرفه في الشدة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وشواهدُ هذا مشاهدة حالهم في الدنيا، وحالهم في الآخرة أشد، وما لهم من ولي ولا نصير.

* * *

(١) هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري، ثقة عابد، مات سنة ١٢٠هـ «التقريب» (١٣٢).

وقوله ﷺ: «إذَا سَأَلْتَ فاسْأَلِ الله»

أمر بإفراد الله ـ عز وجل ـ بالسؤال ونهى عن سؤال غيره من الخلق، وقد أمر الله تعالى بسؤاله. فقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾(١).

وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً: «سَلوا الله مِن فَضْلِهِ، فإنَّ الله يُحِبُّ أنْ يُسْأَلَ»(٢).

و«فيه» عن أبي هريرة مرفوعاً: «مَنْ لاَ يَسْأَلِ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ»(٣).

و«فيه» أيضاً: «إنَّ الله يُحِبُّ المُلِحِّينَ في الدُّعَاءِ»(٤).

وفي حديث آخر: «لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إذَا انْقَطَعَ»(٥).

---

(١) الآية ٣٢ من سورة النساء.

(٢) سننه (٥/ ٢٢٥ ح ٣٦٤٢ الدعوات) من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود بزيادة: «وأفضل العبادة انتظار الفرج». ضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٤٩٢).

(٣) رواه الترمذي ٥/ ١٢٦ (٣٤٣٣) «الدعوات» من طريق أبي صالح عن أبي هريرة: من لم يسأل... الحديث، ورواه أيضاً البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٥٨)، وأحمد ٢/ ٤٤٢ و٤٤٣، وابن ماجة (٢/ ١٢٥٨ ح ٣٨٢٧ الدعاء)، والحاكم (١/ ٤٩١ الدعاء)، والبغوي في «شرح السنة» ٥/ ١٨٨ كلهم من حديث أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة. وأبو صالح الخوزي مختلف فيه، ضعفه ابن معين، وقواه أبو زرعة، وهو حديث حسن، كما في «صحيح ابن ماجة» رقم (٣٠٨٥).

(٤) ذكره الألباني في الإرواء (٣/ ١٤٣ح ٦٧٧) وعزاه إلى العقيلي في الضعفاء، وأبي عبدالله الفلاكي في فوائده بإسناده من حديث عائشة. وقال: هذا سند واه جدًا. بل موضوع.

(٥) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٢٤٢ ح ٣٦٨٢ الدعوات) وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٤٨ ح ٨٦٦ الأدعية) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢٨٩) كلهم من حديث أنس به. وقال الترمذي: حديث غريب. ورواه الترمذي عن ثابت البناني مرسلاً عن النبي ﷺ. وقال الترمذي: وهذا أصح من حديث قطن عن جعفر بن سليمان.

وقال محقق صحيح ابن حبان: حديث أنس رواه البزار في مسنده، والطبراني في الدعاء، وابن عدي في الكامل. وذكره الهيثمي في الزوائد (١٠/ ١٥٣) وقال: رواه البزار ورجاله رجال =

وفي المعنى أحاديث كثيرة، وفي النهي عن سؤال الخلق أحاديث كثيرة صحيحة.

وفي حديث ابن مسعود مرفوعاً: «**لا يَزَالُ العَبْدُ يَسْأَلُ وهُوَ غنيٌّ حَتَّى يَخْلُقَ وَجْهُهُ فمَا يَكُونُ لَهُ عِنْدَ الله وَجْهٌ**»(١).

وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً منهم: أبو بكر الصديق، وأبو ذر، وثوبان، وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله [إياه](٢).

واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلاً وشرعاً، [وذلك من وجوه متعددة: منها: أن السؤال فيه بذل ماء الوجه وذلة للسائل]، وذلك لا يصلح إلا لله وحده، فلا يصلح الذل إلا له بالعبادة والمسألة، وذلك من علامات المحبة

= الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة.

(١) لم أجده من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وإنما وجدته من حديث مسعود بن عمرو رواه الطبراني في «الكبير» ٢٠/ ٣٣٣ح ٧٩٠ من طريق سعيد بن يزيد عنه إلا قوله: يخلق فهو يَخْلِقُ ـ بالحاء المهملة ـ. وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه البزار والطبراني في «الكبير»، وفيه محمد بن أبي ليلى، وفيه كلام. أهـ. قال الحافظ في «الإصابة» في ترجمة مسعود بن عمرو (٦/ ٩١): روى عن النبي ﷺ في كراهة السؤال، روى عنه سعيد بن يزيد تفرد بحديثه محمد بن جامع العطار، وهو متروك، كذا أورده ابن عبدالبر، وأقرّه ابن الأثير. قال ابن حجر: ودعواه تفرد محمد بن جامع به ليس بصحيح، فقد أخرجه البغوي وابن السكن والطبري وابن منده وأبو نعيم وغيرهم، من طرق ليس فيها محمد بن جامع، لكن كلها تدورعلى محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن عبدالكريم، عن سعيد بن يزيد، عن مسعود بن عمرو مرفوعاً: «لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه» اهـ من الإصابة.

(٢) رواه مسلم رقم (٢/ ٧٢١ ح ١٠٤٣ الزكاة) ضمن حديث طويل رواه عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسو ل الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله [ﷺ]؟ كنا حديثي عهد ببيعة... وفيه: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا... ولا تسألوا الناس شيئاً» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحد أن يناوله إياه.

الصادقة.

سُئل يوسف بن الحسين: ما بال المحبين يتلذذون بذلِّهم في المحبة؟ فأنشد:

ذُلُّ الفَتَى في الحُبِّ مَكْرُمَةٌ وخُضُوعُهُ لِحَبيبِهِ شَرفُ

وهذا الذل وهذه المحبة لا تصلح إلا لله وحده، وهذا هو حقيقة العبادة التي يختص بها الإله الحق.

وكان الإمام أحمد يقول في دعائه: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصنه عن المسألة لغيرك.

وقال أبو الخير الأقطع: كنت بمكة سنة فأصابتني فاقة وضر، فكنت كلما أردت أن أخرج إلى المسألة هتف به هاتف يقول: الوجه الذي يسجد لي [به] تبذله لغيري؟

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

مَا اعْتَاضَ باذِلُ وَجْهِهِ بِسُؤالِهِ بَدَلاً وإن نَالَ الغِنَى بِسُؤالِ
وإذَا السُّؤَال مَعَ النَّوَالِ وزَنْتَهُ رَجَحَ السُّؤالُ وخَفَّ كُلُّ نَوالِ
فإذَا ابْتُلِيْتَ بِبَذْلِ وَجهِكَ سَائِلاً فابْذُلْهُ للمُتَكَرِّمِ المِفْضَالِ

ولهذا المعنى كان عقوبة من أكثر المسألة بغير حاجة أن يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مِزْعة[1] لحم، كما ثبت ذلك في الصحيحين[2]؛ لأنه أذهب عز وجهه وصيانته وماءه في الدنيا، فأذهب الله من وجهه في الآخرة جماله وبهاءه الحسي فيصير عظماً بغير لحم، ويذهب جماله وبهاؤه المعنوي فلا يبقى له عند الله وجاهة.

---

(١) المِزْعَة: القطعة من القطن واللحم ونحوها. (ج: مزع). انظر «المعجم الوسيط» ٢/ ٨٦٧.

(٢) أي صحيح البخاري (٢/ ١٣٠ الزكاة)، وصحيح مسلم (٢/ ٧٢٠ ح ١٠٤٠ الزكاة) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم. . .» الحديث.

ومنها: أن في سؤال الله عبودية عظيمة؛ لأنها إظهار للافتقار إليه، واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج، وفي سؤال المخلوق ظلم؛ لأن المخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه، ودفع الضر عنها فكيف يقدر على ذلك لغيره؟ وسؤاله إقامة له مقام من يقدر، وليس هو بقادر.

ويشهد لهذا المعنى الحديث الذي في «صحيح مسلم» عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: **«يَا عِبَادي! لَوْ أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُمْ وإنْسَكُم وجِنَّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ واحِدٍ فَسَألُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إنسانٍ مَسْألته، ما نَقَصَ ذلِكَ مِمَّا عِنْدي إلاَّ كَمَا ينقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ»**(١).

وفي «الترمذي» وغيره زيادة في هذا الحديث وهي: **«ذَلِكَ بأنِّي جَوَادٌ واجِدٌ ماجِدٌ أفْعَلُ ما أُريدُ، عَطَائي كَلَامٌ، وعَذَابِي كَلامٌ، إذَا أَرَدْتُ شَيْئاً فإنَّمَا أقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»**(٢).

فكيف يُسأل الفقير العاجز، ويُترَكُ الغنيُّ القادر؟ إن هذا لأعجب العجب!.

قال بعض السلف: إني لأستحي من الله أن أسأله الدنيا، وهو يملكها فكيف أسألها من لا يملكها يعني المخلوق.

وحصل لبعض السلف ضيق في معيشته حتى هم أن يطلب من إخوانه، فرأى في منامه قائلاً يقول له:

أيحسن بالحرِّ المريد. إذا وجد عند الله ما يريد. أن يميل بقلبه إلى العبيد.

فاستيقظ وهو من أغنى الناس قلباً.

وقال بعض السلف: قرأت في بعض الكتب المنزلة: «يقول الله ـ عز

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٩٥ ح ٢٥٧٧ في البر والصلة)، وهذا لفظ البخاري أيضاً من طريق أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر به في حديث طويل.

(٢) هذه الزيادة أخرجها الترمذي رقم (٢٤٩٥) أيضاً، وأحمد ٥/ ١٧٧، ٢٩٧، وابن ماجة رقم (٤٢٥٧ الزهد) من طريق شهر عن عبدالرحمن بن غنم، عن أبي ذر.

وجل ـ: أيُؤمَّلُ غيري للشدائد! والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم. ويرجى غيري ويطرق بابه بالبُكرات! وبيدي مفاتيح الخزائن، وبابي مفتوح لمن دعاني. من ذا الذي أمَّلني لنائبة فقطعت به! ومن الذي رجاني لعظيم فقطعت رجاءه! ومن ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له؟ أنا في غاية الآمال، فكيف تنقطع الآمال دوني؟! أبخيل أنا؟ فيُبخِّلني عبدي! أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي؟! فما يمنع المؤملين أن يُؤمِّلوني! لو جمعت أهل السموات وأهل الأرض ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميع وبلَّغت كل واحد منهم أمله لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة، فكيف ينقص ملك أنا قيِّمه؟ فيا بؤساً للقانطين من رحمتي! ويا بؤساً لمن عصاني وتوثَّب على محارمي!».

ومنها: أن الله يحب أن يُسألَ، ويغضب على من لا يسأله، فإنه يريد من عباده أن يرغبوا إليه، ويسألوه ويدعوه ويفتقروا إليه، ويحب الملحِّين في الدعاء.

والمخلوق غالباً يكره أن يُسألَ لفقره وعجزه، قال ابن السماك[1]: لا تسأل من يفر منك مِن أن تسأله، واسأل من أمرك أن تسأله.

قال أبو العتاهية:

لا تَسْأَلَنَّ أخَاكَ يَوْماً حَاجَةً ... وسَلِ الذِي أبْوابهُ لا تُحْجَبُ
الله يَغْضَبُ إن تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وبُنَيَّ آدَمَ حينَ يُسأَلُ يَغْضَبُ
فاجْعَل سُؤالَكَ للإلهِ فَإنَّمَا ... فِي فَضْلِ نِعْمَةِ رَبِّنَا نَتَقَلَّبُ

وكان يحيى بن معاذ يقول: يا من يغضب على من لا يسأله، لا تمنع من قد سألك.

وأنشد بعض الأعراب:

---

(١) هو عثمان بن أحمد بن عبدالله أبو عمرو الزاهد الواعظ المحدث المكثر مسند العراق. قال الخطيب: ثقة ثبت، توفي سنة ٣٤٤هـ. انظر «تاريخ بغداد» ١١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣، «الأنساب» للسمعاني ٧/ ١٢٧، «المنتظم» ٦/ ٣٧٨.

أَيَا مَالِكُ لا تَسْأَل النَّاسَ والتَمِسْ يَكْفيكَ فَضْلُ الله فالله أوْسَعُ
ولَوْ يُسأَلُ النَّاسُ التُّرابَ لأوْشَكُوا إذَا قيلَ هَاتُوا أن يَمَلُّوا ويَمْنَعُوا

ومنها: أن الله تعالى يستدعي من عباده سؤاله، وينادي كل ليلة: هَل مِنْ سَائِلٍ فَأُعطيه سُؤَالَهُ؟ هَلْ مِنْ داعٍ فأَسْتَجيبُ لَهُ؟[١] وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٢]، فأي وقت دعاه العبد وجده سميعاً قريباً مجيباً ليس بينه وبينه حجاب ولا بوّاب، وأما المخلوق فإنه يمتنع بالحجاب والأبواب ويعسر الوصول إليه في أغلب الأوقات.

قال طاوس[٣] لعطاء[٤]: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أَمَركَ أن تسأله ووعدك أن يجيبك[٥].

وقال وهب بن منبه[٦] لبعض العلماء: ألم أُخبر أنك تأتي الملوك وأبناء الملوك تحمل إليهم علمك؟! ويحك تأتي من يغلق عليك بابه، ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه! وتدعُ من يفتح لك بابه بنصف الليل، وبنصف النهار ويظهر

---

(١) هذا جزء من حديث رواه البخاري (٢/ ٤٧ التهجد)، ومسلم (١/ ٥٢١ ح ٧٥٨ صلاة المسافرين) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

(٢) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٣) هو طاوس بن كيسان أبو عبدالرحمن المتفقه اليقظان، والمتعبد المحسان. «حلية الأولياء» ٤/ ٣، «السير» ٥/ ٣٨.

(٤) عطاء: هو عطاء ابن أبي مسلم المحدث الواعظ، نزيل دمشق والقدس، ودفن ببيت المقدس ١٣٥هـ، «السير» ٦/ ١٤.

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٤/ ١١ بإسناده عن ابن جريج، عن عطاء: جاءني طاوس.. إلخ.

(٦) هو أبو عبدالله وهب بن منبه الحكيم الصنعاني، مات ١١٤هـ «حلية الأولياء» (٤/ ٢٣) والسير (٤/ ٥٤٤ـ ٥٥٧).

لك غناه؟ ويقول: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾[(١)]

ورأى ميمون بن مهران[(٢)] الناس مجتمعين على باب بعض الأمراء فقال: من كانت له حاجة إلى سلطان ـ فحجبه ـ فإن بيوت الرحمن مُفتَّحة، فليأت مسجداً فليصل ركعتين ثم ليسأل حاجته.

وكان بكر المزني[(٣)] يقول: من مثلك يا ابن آدم؟! متى شئت تطهرت ثم ناجيت ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان[(٤)].

وسأل رجل بعض الصالحين أن يشفع له في حاجة إلى بعض المخلوقين، فقال [له]: أنا لا أترك باباً مفتوحاً، وأذهب إلى باب مغلق.

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

وأَفْنِيَـــةُ المُلُـــوكِ مُحَجَّبَـــاتٌ ... وبَـــابُ الله مَبْـــذُولُ الفِنَـــاءِ

وقال آخر:

قُـلْ للـذِيـنَ تَحَصَّنـوا عَـنْ سَائِـلٍ ... بِمَنَـازِلٍ مِــنْ دُونِهَــا حُجَّــابُ
إنْ حَـالَ دُونَ لِقَـائِكُـم بَـوَّابكُـمْ ... فَـالله لَيْـسَ لِبَـابِـه بَـوَّابُ

ولبعض العلماء:

لا تَجْلِسَــنَّ بِبَــابِ مَــنْ ... يَــأبَــى عَلَيْــكَ دُخُــولَ دَارِهْ

---

(١) الآية ٦٠ من سورة غافر.
والأثر رواه أبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٤٣ من طريق أبي سنان القسملي، عن وهب قال: ويحك يا عطاء، ألم أخبر بأنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك... ويحك يا عطاء، أتأتي من يغلق عنك بابه.. إلخ.

(٢) أبو أيوب، إمام أهل الجزيرة، حميد السيرة، سديد السريرة، الواعظ الناصح، «حلية الأولياء» ٤/ ٨٢.

(٣) هو بكر بن عبدالله بن عمرو أبو عبدالله المزني البصري، الإمام الواعظ الناصح، القدوة الثقة الثبت الحجة، مات سنة ١٠٦هـ، «الحلية» ٢/ ٢٢٤، «السير» ٤/ ٥٣٢.

(٤) رواه أبو نعيم ٢/ ٢٢٩ بإسناده عن إبراهيم اليشكري عن بكر به بزيادة: وإنما طيب المؤمنين هذا الماء المالح.

وتَقُـــولُ حَــاجَتِـــي إلَيْـــهِ يَعُـــوقُهَـــا إنْ لَـــمْ أُدَارِهْ
واتْـــرُكْـــهُ واقْصِـــدْ رَبَّهَـــا تُقْضَـــى ورَبُّ الـــدَّارِ كَـــارِهْ

وخرَّج ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله, إنَّ بني فُلانٍ أغَارُوا عليَّ فذهبوا بابني وإبلي. فقال له النبي ﷺ: «**إنَّ آلَ مُحمَّد كذَا وكَذَا أَهْلَ بيْتٍ مَا لَهُم مُدٌّ مِنْ طَعَامٍ أو صَاعٍ، فَسَلِ الله عزَّ وجلَّ**»، فرجع إلى امرأته، فقالت: مَا قالَ لك؟ فأخبرها، فقالت: نعم ما رُدَّ عليك، فما لبث أن ردَّ الله عليه ابنه وإبله أوفر ما كانت، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فصعد النبي ﷺ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وأمر الناس بمسألة الله ـ عز وجل ـ والرغبة إليه، وقرأ عليهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].

وسأل رجل ثابتاً البناني[2] أن يشفع له إلى قاض في قضاء حاجة له، فقام ثابت معه، فكان كلما مر بمسجد في طريقه دخل فصلى فيه ودعا، فما وصل إلى مجلس القاضي إلا وقد قام منه، فعاتبه طالب الحاجة في ذلك، فقال: ما كنت إلا في حاجتك. فقضى الله حاجته[3]، ولم يحتج إلى القاضي.

وكان إسحاق بن عباد البصري نائماً فرأى في منامه قائلاً يقول له: أغث الملهوف. فاستيقظ فسأل: هل في جيرانه محتاج؟ قالوا: ما ندري؟ ثم نام فأتاه ثانياً وثالثاً، فقال له: أتنام ولم تَغِثِ الملهوف؟ فقام وأخذ معه ثلاثمائة درهم، وركب بغله فخرج به من البصرة حتى وقف به على باب مسجد، يصلي فيه على الجنائز، فدخل المسجد فإذا رجل يصلي فلما أحسَّ به انصرف فدنا منه، فقال له: يا عبدالله! في هذا الوقت؟ في هذا الموضع؟ ما حاجتك؟ قال: أنا رجل كان

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» رقم (١٠) ص (٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ١٠٧، وهو حديث ضعيف.
والآيتان ٢، ٣ من سورة الطلاق.

(٢) هو ثابت بن أسلم أبو محمد البناني المتعبد الناهل الإمام، «الحلية» ٢/ ٣١٨.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٣٢٢ من طريق حرمي عن ثابت بمقارب القصة بألفاظ مختلفة.

رأس مالي مائة درهم فذهبت من يدي ولزمني دين مائتي درهم، فأخرج له الدراهم، وقال: هذه ثلاثمائة [درهم] خذها فأخذها، ثم قال له: أتعرفني؟ قال: لا. قال: [أنا] إسحاق بن عباد، فإن نابتك نائبة فأتني فإن منزلي في موضع كذا. فقال له: رحمك الله إن نابتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك في هذا الوقت، حتى جاء بك إلينا.

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: أصبحنا ذات يوم، فقالت أمي لأبي: والله ما في بيتك شيء يأكله ذو كبد. فقام فتوضأ ولبس ثيابه ثم صلى في بيته، قال: فالتفتت إليَّ أمي، فقالت: إن أباك ليس يزيد على ما ترى، فاخرج أنت. فخرجت، فخطر ببالي صديق لنا تمَّار فجئت إلى سوقه، فلما رآني صاح بي وذهب بي إلى منزله وأطعمني، ثم أخرج لي صرة فيها ثلاثون ديناراً من غير أن أذكر له شيئاً من حالنا إلا ابتداءً منه. وقال: اقرأ على أبيك السلام، وقل له: إنا جعلنا له شركاً في كل شيء من متجرنا، وهذا نصيبه منه.

وعن شقيق البلخي(١) قال: كنت في بيتي قاعداً، فقال لي أهلي: ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع، ولا يحل لك أن تحمل عليهم ما لا طاقة لهم، قال: فتوضأت، وكان لي صديق لا يزال يقسم عليَّ بالله إن يكن لي حاجة أعلمه بها، ولا أكتمها عنه فخطر ذكره ببالي، فلما خرجت من المنزل مررت بالمسجد فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال: من عرضت له حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله ـ عز وجل ـ فدخلت المسجد وصليت ركعتين، فلما كنت في التشهد أفرغ عليَّ النوم، فرأيت في منامي أنه قيل: يا شقيق! أتدل العباد على الله ثم تنساه! فاستيقظت وعلمت أن ذلك تنبيه نبهني به ربي، فلم أخرج من المسجد حتى صليت العشاء الآخرة ثم انصرفت إلى المنزل فوجدت الذي أردت أن أقصده قد حركه الله، وأجرى لأهلي على يديه ما أغناهم.

---

(١) هو شقيق بن إبراهيم أبو علي الأزدي البلخي الإمام الزاهد شيخ خراسان، صحب إبراهيم بن أدهم ١٩٤هـ. انظر «حلية الأولياء» ٨/ ٥٨، «السير» ٩/ ٣١٣.

وعن إبراهيم بن أدهم أنه خرج إلى الغزو مع أصحابه، وأنهم تناهدوا[(١)] فوضع كل واحد منهم ديناراً، ففكر فيمن يقصد من إخوانه ويستقرض منه ثم استفاق وبكى، وقال: واسوأتاه أطلب من العبيد، وأترك مولاهم، فيقول لي: كان أحق أن تطلب منه: أنا أو عبدي؟ ثم توضأ وصلى ركعتين وخرَّ ساجداً، وقال: يا رب! قد علمت ما كان مني وذلك بخطئي وجهلي فإن عاقبتني عليه فأنا أهل لذلك، وإن عفوت عني فأنت أهل لذلك، وقد عرفت حاجتي فاقضها برحمتك. ثم رفع رأسه فإذا هو بنحو أربعمائة دينار فتناول منها ديناراً واحداً وذهب.

وعن أصبغ بن زيد[(٢)] قال: مكثت أنا ومن عندي ثلاثاً لم نطعم شيئاً، فخرجت إليَّ ابنتي الصغيرة فقالت: يا أبت! الجوع! فأتيت الميضأة فتوضأت وصليت ركعتين وألهمت دعاءً دعوت به. وفي آخره: اللهم افتح عليَّ منك رزقاً لا تجعل لأحد عليَّ فيه منة، ولا لك [علي] في الآخرة فيه تبعة، برحمتك يا أرحم الراحمين. ثم انصرفت إلى البيت، فإذا ابنتي الكبيرة قد قامت إليَّ، وقالت: يا أبت! جاء عمي الساعة بهذه الصرة [من] الدراهم وبحمَّال عليه دقيق، وحمَّال عليه من كل شيء في السوق، وقال: اقرؤا أخي السلام، وقولوا له: إذا احتجت إلى شيء فادع بهذا الدعاء تأتك حاجتك. قال أصبغ: لا والله ما كان لي أخ قط ولا أعرف من كان هذا القائل؟! ولكن الله على كل شيء قدير.

وعن الحكم بن موسى[(٣)] قال: أصبحت [يوماً] فقالت لي المرأة: ليس عندنا دقيق ولا خبز فخرجت ولا أقدر على شيء، فقلت في الشارع: اللهم إنك تعلم أني أعلم أنك تعلم أنه لا دقيق لي ولا خبز. وقال: ولا دراهم فأتنا بذلك.

---

(١) تناهدوا: أخرجوا. والمناهدة: المساهمة. انظر القاموس (٤١٣).

(٢) هو أصبغ بن زيد بن علي الجهني أبو عبدالله الوراق الواسطي، ثقة، مات مستتراً أيام المحنة سنة ٢٢٥هـ، انظر «تقريب التهذيب» ص (١١٣).

(٣) الحكم بن موسى أبو صالح البغدادي الزاهد الإمام المحدث القدوة الحجة، مات ٢٣٢هـ، انظر «السير» ١١/ ٥ ـ ٧.

فلقيني رجل، فقال: خبزاً تريد أو دقيقاً؟ فقلت له: أحدهما ثم مشيت نهاري أجمع لا أقدر على شيء فرجعت فقدَّم إليَّ أهلي خبزاً ولحماً واسعاً، فقلت: من أين هذا لكم؟ قالوا: من الذي وجهت به. فسكت.

وعن الأوزاعي[1] قال: رأيت رجلاً في الطواف ـ وهو متعلق بأستار الكعبة ـ وهو يقول: يا رب إني فقير كما ترى، وصبيتي قد عروا كما ترى، وناقتي قد عجزت كما ترى، فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يُرى؟ فإذا هو بصوت من خلفه، يا عاصم! يا عاصم! إلحق عمك! فقد هلك بالطائف وقد خلف ألف نعجة، وثلاثمائة ناقة، وأربعمائة دينار، وأربعة أعبد، وثلاثة أسياف يمانية، فامض فخذها فليس له وارث غيرك. قال: فقلت له: يا عاصم! إن الذي دعوت لقد كان قريباً منك. قال: يا هذا أما سمعت قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[2].

والآثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة جدًّا يطول الكتاب بذكرها، وهي موجودة في مثل «كتاب الفَرَج بعد الشدة» و«كتاب مجابي الدعوة» لابن أبي الدنيا، وفي «كتاب المستصرخين بالله عند نزول البلاء» للقاضي أبي الوليد بن الصفار، و«كتاب المستغيثين بالله عند نزول البلاء» للحافظ أبي القاسم بن بشكوال الأندلسيين، وفي غيرها من كتب الزهد والرقائق والتواريخ وغيرها.

وروى الشيخ أبو الفَرَج[3] في «تاريخه الكبير» بإسناده عن الحسن بن

---

(١) هو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، كان يسكن بمحلة الأوزاع بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات سنة ١٥١هـ، «الحلية» ٦/ ١٣٥ ـ ١٤٩، «السير» ٧/ ١٠٧ ـ ١٣٤.

(٢) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٣) أبو الفرج هو علي بن الحسين بن محمد أبو الفرج القرشي الأصبهاني الأموي الكاتب العلامة الأخباري صاحب كتاب «الأغاني» ومؤلفات قيمة، كان بحراً في نقل الأدب، مات سنة ٣٥٦هـ، انظر «السير» ١٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٣.

سفيان الفسوي الحافظ[١] أنه كان مقيماً بمصر مع جماعة من أصحابه يكتبون الحديث فاحتاجوا فباعوا ما معهم حتى لم يبق لهم ما يباع، وبقوا ثلاثة أيام جياعاً لا يجدون شيئاً يأكلونه، وأصبحوا في اليوم الرابع، وقد عزموا على المسألة؛ لشدة الضرورة فاقترعوا على من يسأل لهم، فخرجت القرعة على الحسن بن سفيان قال: فتحيرت ودهشت ولم تسامحني نفسي بالمسألة، فعدلت إلى زاوية المسجد أصلي ركعتين طويلتين وأدعو الله ـ عز وجل ـ لكشف الضر وسياقة الفرج، فلم أفرغ من الصلاة حتى دخل المسجد رجل معه خادم في يده منديل، فقال: من منكم الحسن بن سفيان؟ فرفعت رأسي من السجود. وقلت: أنا. فقال: إن الأمير: ابن طولون يقرئكم السلام والتحية، ويعتذر إليكم في الغفلة عن تفقد أحوالكم والتقصير الواقع في رعاية حقوقكم، وقد بعث إليكم بما يكفي نفقة الوقت، وهو زائر لكم غداً ويعتذر إليكم بلفظه، ووضع بين يدي كل واحد منَّا صُرَّة فيها مائة دينار، قال: فتعجبنا وسألناه عن السبب، فقال: إنه كان اليوم نائماً فرأى فارساً في الهواء يقول له: قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع في المسجد الفلاني. فقال له: من أنت؟ قال: أنا رضوان صاحب الجنة. قال الحسن: فشكرنا الله ـ عز وجل ـ وأصلحنا أحوالنا وسافرنا تلك الليلة من مصر خشية أن يزورنا الأمير، فيطلع الناس على أسرارنا فيكون ذلك سبب ارتفاع اسم، وانبساط جاه، ويتصل ذلك بنوع من الرياء والسمعة.

وروى أيضاً بإسناد له عن محمد بن هارون الروياني أنه اجتمع هو ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن علوية الورَّاق، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة فذكر معنى هذه الحكاية وأن المصلي والداعي كان هو ابن خزيمة، وبإسناد آخر أن الأربعة كانوا محمد بن جرير، ومحمد بن نصر، ومحمد بن خزيمة، ومحمد بن هارون.

* * *

(١) الإمام الحافظ الثبت صاحب «المسند»، مات سنة ٣٠٣هـ، انظر «السير» ١٤/ ١٥٧.

قوله ﷺ: «وإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللهِ»

لما أمر ﷺ بحفظ الله والتعرف إليه في الرخاء، وذلك هو العبادة [حقيقة، ثم أرشد إلى سؤال الله وحده ودعائه، و«الدعاء هو العبادة»] كما في حديث النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١). خرَّجه أهل السنن الأربعة(٢). أرشد بعد ذلك إلى الاستعانة بالله وحده، وهذا منتزع من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾(٣) وهي كلمة عظيمة جامعة يقال: إن سر الكتب الإلهية كلها ترجع إليها وتدور عليها.

وفي استعانة الله وحده فائدتان:

أحدهما: إن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات.

والثانية: أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ـ عز وجل ـ، فمن أعانه [الله] فهو المعان، ومن خذله [الله] فهو المخذول.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «احْرِصْ علَى ما يَنفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللهِ ولاَ تَعْجَزْ»(٤).

---

(١) الآية ٦٠ من سورة غافر.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٧٧ ح ١٤٧٩ الصلاة)، والترمذي (٥/ ١٢٦ ح ٣٤٣٢ الدعوات)، وابن ماجة (٢/ ١٢٥٨ ح ٣٨٢٨ الدعاء)، من طريق اليسيع بن معدان عن النعمان به، ولم أجده عند النسائي في المجتبى. بل هو في الكبرى في كتاب التفسير كما عزاه إليه المزي في التحفة (٩/ ٣٠ح١١٦٤٣). قلت: وهو في تفسير النسائي (٢/ ٢٥٣ح٤٨٤ تفسير سورة غافر) رواه بإسناده عن يسيع به. وصححه المحقق، ورواه أيضاً البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٤)، وأحمد في «المسند» ٤/ ٣٦٧ و٣٧١ و٣٧٦، والحاكم ١/ ٤٩١. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٣) الآية ٥ من سورة الفاتحة.

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٢ ح ٢٦٦٤ القدر) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ولفظه: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، لكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ «لو» تفتح عمل الشيطان».

وكان النبي ﷺ يقول في خطبته ويُعلِّم أصحابه أن يقولوا: «**الحَمدُ لله نَسْتَعِينهُ ونَسْتَهدِيه**»(١).

وفي دعاء القنوت الذي كان يدعو به عمر وغيره: «**اللهم إنا نستعينك**»(٢).

وأمر معاذ بن جبل أن لا يدع في دُبُر كل صلاة أن يقول: «**اللهُمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(٣).

وكان من دعائه ﷺ: «**[يا] ربِّ أعِنِّي ولاَ تُعِنْ عَليَّ**»(٤).

وفي الأثر المروي: ويقال إن موسى ـ عليه السلام ـ قاله لما ضرب البحر فانفلق: «**اللهمَّ لكَ الحَمْدُ وإليْكَ المُشْتكَى، وأنْتَ المُسْتَعَانُ، وبِكَ المُسْتَغَاثُ، وعَلَيْكَ التُّكْلانُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَة إلاَّ بِكَ**»(٥).

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٢٣٩ ح ٢١١٨ النكاح)، والترمذي (٢/ ٢٨٥ ح ١١١١ النكاح)، والنسائي (٣/ ١٠٥ في الجمعة)، وابن ماجة (١/ ٤٠٩ ح ١٨٩٢ في النكاح)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٩٩)، كلهم من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وحسنه الترمذي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٢/ ٦١، والبيهقي ٢/ ٢١٠ من طريق الجنيد بن عمر قال: سمعت عمر يقنت في الفجر... اللهم إنا نستعينك... الحديث. صححه الألباني. انظر الإرواء (٢/ ١٧٠ ـ ١٧٢ ح ٤٢٨).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٤٦، ٢٤٧) وأبو داود (٢/ ٨٦ ح ١٥٢٢ في الصلاة)، والنسائي (٣/ ٥٣ في السهو)، وعنه ابن السني رقم (١١٧)، والحاكم ١/ ٣٧٣ من طريق الصنابحي عن معاذ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٢٧)، وأبو داود في سننه (٢/ ٨٤ ح ١٥١٠ الصلاة)، وابن ماجة في سننه (٢/ ١٢٥٩ ح ٣٨٣٠ الدعاء)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥١٩ ـ ٥٢٠ الدعاء) كلهم من حديث ابن عباس به في حديث طويل. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط كما قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ١٨٦: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» وفيه من لم أعرفهم. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٢/ ٦١٨: رواه الطبراني في «الصغير» بإسناد جيد. ونص الحديث عنده كالتالي:

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أعلمك الكلمات التي تكلم بها موسى ﷺ حين جاوز البحر ببني إسرائيل؟ فقلنا بلى يا رسول الله، قال: قولوا: اللهم لك =

فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وفي ترك المحظورات، وفي الصبر على المقدورات، كما قال يعقوب ـ عليه السلام ـ لبنيه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾(١).

ولهذا قالت عائشة: هذه الكلمة لما قال أهل الإفك ما قالوا فبرَّأها الله مما قالوا(٢).

وقال موسى لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾(٣).

وقال الله لنبيه [محمد] ﷺ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١١٢﴾(٤).

ولما بشَّر ﷺ عثمان بالجنة على بلوى تصيبه، قال: الله المستعان(٥)، ولما دخلوا على عثمان وضربوه جعل يقول ـ والدماء تسيل عليه ـ: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعين بك عليهم، وأستعينك على جميع أموري، وأسألك الصبر على ما ابتليتني.

وروي عن أبي طلحة(٦) أن النبي ﷺ قال ـ في بعض غزواته ـ حين لقي

= الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» قال عبدالله: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

(١) الآية ١٨ من سورة يوسف.

(٢) حديث الإفك أخرجه البخاري (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٨ في الشهادات) وفي مواضع أخرى من صحيحه. ومسلم (٤/ ٢١٢٨ ـ ٢١٣٦ ح ٢٧٧٠ التوبة)، كلاهما من طريق عروة، وابن المسيب وغيرهما عن عائشة بطول القصة.

(٣) الآية ١٢٨ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ١١٢ من سورة الأنبياء.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٦٧ ح ٢٤٠٣ فضائل الصحابة)، باب من فضائل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ من حديث أبي موسى ـ عبدالله بن قيس ـ الأشعري.

(٦) أبو طلحة: هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام. . . الأنصاري الخزرجي، مشهور بكنيته، كان من فضلاء الصحابة، مات سنة ٥٠هـ وقيل غيره. ومناقبه كثيرة، انظر «الإصابة» ٣/ ٢٨ ـ ٢٩.

العدو: «يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّين، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين» قال أبو طلحة: فلقد رأيت الرجال تصرعُ. خرَّجَه أبو الشيخ(١) الأصبهاني(٢).

فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في مصالح دينه ودنياه، كما قال الزبير في وصيته لابنه عبدالله بقضاء دينه: إن عجزت فاستعن بمولاي. فقال [له] يا أبت من مولاك؟ قال: الله، قال: فما وقعت في كُربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير! اقض عنه دينه فيقضيه(٣).

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في أول خطبة خطبها على المنبر: ألا إن العرب جمل آنف قد أخذت بخطامه، وإني حامله على المحجة ومستعين بالله عليه.

وكذلك يحتاج العبد إلى الاستعانة بالله على أهوال ما بين يديه من الموت وما بعده.

لما احتضر خالد بن الوليد قال رجل ممن حوله: والله إنه ليسوؤه يعني: الموت. فقال خالد: أجل فأستعين الله عز وجل.

ويكى عامر بن عبدالله بن الزبير عند موته وقال: إنما أبكي على حر النهار

---

(١) أبو الشيخ: هو عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد محدث أصبهان، الإمام الحافظ الصادق صاحب التصانيف، كان من العلماء العاملين، صاحب سنة واتباع لولا ما يملأ تصانيفه بالواهيات، مات ٣٦٩هـ، قاله الذهبي في «السير» (١٦/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠).

(٢) ورواه ابن السني أيضاً في «عمل اليوم والليلة» (ص ١٠٢ ح ٣٣٦) من حديث أنس بزيادة: تضربها الملائكة من بين يديها ومن خلفها. ورواه أبو القاسم البغوي، والماوردي في معرفة الصحابة، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الدلائل عن أنس بن مالك عن أبي طلحة به. كما ذكره السيوطي في الدر (١/ ٣٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٥٢ فرض الخمس) من طريق عروة عن عبدالله بن الزبير قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه... يا بني! بع مالنا فاقض ديني... إن عجزت عنه في شيء... الحديث.

وبرد القيام ـ يعني صيام النهار وقيام الليل ـ وقال: وإني أستعين الله على مصرعي هذا بين يديه.

ومن كلام بعض المتقدمين: يا رب عجبت لمن يعرفك [كيف] يرجو غيرك! عجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك!

وكتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز ـ رحمهما الله ـ: لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه.

وقال بعضهم: فاستغن بالله واستعنه فإنه خير مستعان.

* * *

وقوله ﷺ: «جَفَّ القَلَمُ بِمَا هوَ كَائنٌ»
وفي الرواية الأخرى: «رُفِعَت الأقلامُ وجَفَّت الكُتُبُ»
وفي الرواية الأخرى: «وجَفَّت الصُّحُفُ»

كله كناية عن نفوذ المقادير وكتابتها جميعها في كتاب جامع من أمد بعيد، فإن الكتاب إذا كتب وفرغ من كتابته وبَعُدَ عهده فقد رفعت الأقلام عنه وجفت الأقلام التي كتب به من مدادها وجفت الصحيفة المكتوب فيها بالمداد المكتوب به فيها.

وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دل الكتاب والسنة الصحيحة على مثل هذا المعنى. قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[1].

قال الضحاك[2] عن ابن عباس: إن الله خلق القلم فأمره ليجري بإذنه، وعِظَم [قدر] القلم كقدر ما بين السماء والأرض، فقال القلم: بم يا رب أجري؟ قال: بما أنا خالق وكائن في خلقي، من قطر أو نبات أو نفس أو أثر ـ يعني به العمل ـ أو رزق أو أجل. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فأثبته الله في الكتاب المكنون عنده تحت العرش[3].

وروى أبو ظبيان[4] عن ابن عباس: أن أول شيء خلقه الله القلم، فقال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: القدر، فجرى بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ثم

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الحديد.

(٢) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد الخراساني، روى عن ابن عمرو وابن عباس وغيرهما. وعنه جويبر ومقاتل وخلق، إمام في التفسير، صدوق كثير الإرسال، مات سنة ١٠٦هـ وقيل غيره، انظر «تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤، و«التقريب ص (٢٨٠).

(٣) بحثت عن هذا الأثر في مظانه فلم أجده.

(٤) أبو ظبيان هو حصين بن جندب الجنبي، روى عن عمر وعلي وابن عباس، وثقه ابن معين والعجلي وغيرهما، انظر «التهذيب» ٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

قرأ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾[(1)] [(2)].

وروى أبو الضحى[(3)] عن ابن عباس نحوه أيضاً[(4)].

وروي حديث أبي الضحى مرفوعاً ولا يثبت رفعه.

وروى ابن بطَّة ـ بإسناد ضعيف ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «**أوَّلُ شَيءٍ خَلَقَهُ الله القَلَمُ ثُمَّ خَلَقَ النُون، وهيَ الدَّوَاة ثُمَّ قالَ: اكْتُبْ، قالَ: ما أكْتُبُ؟ قالَ: اكتُبْ ما هُوَ كائِنٌ إلى يَوم القِيامَةِ. فذلِكَ قَوْلُهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾، ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة**»[(5)].

وخرَّج الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ الله القَلَمَ ثُمَّ قالَ: اكتُب فَجَرى فِي تِلْكَ السَّاعة بِمَا هُوَ كَائِنٌ إلى يومِ القِيامَةِ**»[(6)].

وفي «صحيح مسلم» عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله كَتَبَ مَقَاديرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أنْ يَخلُقَ السَّمواتِ والأرضَ**

---

(١) الآية ١ من سورة القلم.

(٢) رواه ابن جرير في «جامع البيان» ٢٩/ ١٤، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٩٨ كلاهما من طريق الأعمش عن أبي ظبيان به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أبو الضحى هو مسلم بن صبيح الكوفي، ثقة فاضل مشهور بكنيته، مات ١٠٠هـ، انظر «التقريب» ص (٥٣٠).

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٢٩/ ١٥ من طريق عطاء، عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: إن أول شيء خلق ربي القلم، فقال له: اكتب. فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

(٥) رواه الحكيم الترمذي في نوادره من حديث أبي هريرة به وزاد: ثم خلق الله العقل. وقال: وعزتي لأكملنك... الحديث.

وابن بطة هو عبيدالله بن محمد بن حمدان أبو عبدالله العكبري شيخ العراق، انظر «السير» ١٦/ ٥٢٩.

(٦) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣١٧)، وأبو داود (٤/ ٢٢٦ ح ٤٧٠٠ السنة)، والترمذي (٣/ ٣١٠، ٣١١ح ٢٢٤٤ القدر) من طريق عطاء عنه. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»(١).

وخرَّج الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو وقال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «أَتَدْرُونَ ما هَذَانِ الكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لا، يَا رَسُولَ الله، إلاَّ أَنْ تُخْبِرنَا، فقال للذي في يَدِهِ اليُمنى: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العالمين: فيهِ أسماءُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وأسماءُ آبائِهِم وقَبَائِلِهِم، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِم فلاَ يُزَادُ فيهِم ولا يَنقُص مِنهُم أبداً». ثم قال للذي في شماله: «هذَا كِتابٌ مِن رَبِّ العالمين، فيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ، وأسماءُ آبائِهِمْ وقَبَائِلِهم، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهم فَلا يُزادُ فيهِم وَلا يَنْقُصُ مِنْهُم أَبَداً».

فقال أصحابه: ففيم العَمَلُ يا رسولَ الله؟ إنْ كانَ أَمْرٌ قدْ فُرِغَ مِنهُ؟ فقال: «سَدِّدُوا وقَارِبُوا، فإنَّ صاحِب الجَنَّةَ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، وإنَّ صاحِب النَّار يُخْتَم لَهُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ». ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثم قال: «فَرَغَ رَبُّكَ مِنَ العِبادِ، فَريقٌ في الجَنَّةِ، وفريقٌ في السَّعير»(٢).

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ: «فَرَغَ الله إلى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ وَرِزْقِهِ وأَثَرِهِ ومَضْجَعِهِ وشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»(٣).

وخرَّج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ الله كُلَّ نَفْسٍ وكَتَبَ حَيَاتَهَا ورِزْقَهَا ومَصَائِبَهَا»(٤).

---

(١) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٤ ح ٢٦٥٣ القدر) من طريق أبي عبدالرحمن الحبلي عنه.

(٢) رواه أحمد ٢/ ١٦٧ والترمذي (٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ح ٢٢٢٧) والنسائي (الكبرى، في التفسير) كما ذكره المزي في التحفة (٦/ ٢٦٤٤) من طريق شفي عن عبدالله بن عمرو، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٣) انظر «المسند» ٥/ ١٩٧ من طريق أبي حلبس عن أم الدرداء عنه به. وأيضاً أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٠٤)، وإسناده صحيح. قاله الألباني في «تخريج السنة» (١/ ١٣٣ ح ٣٠٤).

(٤) انظر «المسند» ١/ ٤٤٠ و«سنن الترمذي» (٣/ ٣٠٦ ح ٢٢٣٠ القدر)، وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس وأنس ـ رضي الله عنهم ـ.

وخرَّج مسلم من حديث جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله! فيم العمل اليوم، أفيما جفَّت به الأقلام، وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال: «لا. بَلْ فيمَا جَفَّت بِهِ الأقْلام، وجَرَت بِهِ المَقَادير». قال: فَفِيمَ العَمَلُ؟ قال: «اعْمَلُوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ»(١).

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة جدًّا، وكذلك الآثار الموقوفة.

وقال بعضهم:

سَلِّمِ الأمرَ كُلَّهُ جَفَّ بالكَائِنِ القَلَمْ ... إنَّ للنَّاسِ خالِقاً لاَ مَرَدَّ لِمَا حَكَمْ

* * *

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٤٠ ـ ٢٠٤١ ح ٢٦٤٨ القدر) من طريق أبي الزبير عنه به.

فقوله ﷺ بعد هذا: «فَلَو أنَّ الخَلْقَ جَميعاً أرَادُوا أنْ يَنْفَعُوكَ بِشيءٍ لمْ يَقْضِهِ الله لكَ لَمْ يَقْدِروا عَلَيْه، وإنْ أرادُوا أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ الله عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِروا عَلَيْهِ»

يريد بذلك أن ما يصيب العبد مما يضره وينفعه في دنياه فكله مقدر عليه، ولا يمكن أن يصيبه ما لم يكتب له ولم يقدر عليه، ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعاً.

وقد دلَّ القرآن أيضاً على مثل هذا في قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾(١).

وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾(٢).

وقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(٣).

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ لكُلِّ شَيءٍ حَقِيقةً ومَا بلَغَ عَبدٌ حَقِيقَةَ الإيمانِ حتَّى يَعْلَمَ أنَّ ما أصابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، ومَا أخْطَأهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»**(٤).

---

(١) الآية ٥١ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٢ من سورة الحديد.

(٣) الآية ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٤) رواه أحمد في «المسند» ٦/ ٤٤١ من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء به، ورواه بالطريق المذكور أيضاً ابن أبي عاصم في السنة وهو حديث صحيح. انظر «تخريج السنة» رقم (٢٤٦).

وخرَّج أبو داود، وابن ماجة، من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ معناه أيضاً(١).

واعلم أن مدارِ جميع هذه الوصية من النبي ﷺ لابن عباس على هذا الأصل، وما بعده وما قبله متفرع عليه وراجع إليه، فإنه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر، أو نفع أو ضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم جميعاً على خلاف المقدور، غير مفيد شيئاً ألبتة، علم حينئذ أن الله تعالى وحده هو الضار النافع، والمعطي المانع، فأوجب ذلك [للعبد] توحيد ربه - عز وجل - وإفراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال، وإفراده أيضاً بالعبادة والطاعة؛ لأن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله سبحانه وتعالى من يعبد ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئاً، وأيضاً فكثير ممن لا يحقق الإيمان وقلبه يقدّم طاعة مخلوق على طاعة الله رجاء نفعه أو دفعاً لضره. فإذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع والضر، وبالعطاء والمنع، أوجب ذلك إفراده بالطاعة والعبادة، ويقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعاً، كما يوجب ذلك أيضاً إفراده سبحانه بالاستعانة به، والطلب منه.

وقد اشتملت هذه الوصية العظيمة الجامعة على هذه الأمور المهمة كلها.

فإن حفظ العبد لله - عز وجل - هو حفظ حدوده ومراعاة حقوقه وهو حقيقة عبادته، وهو أول ما صُدِّرت به هذه الوصية. ورُتِّب على ذلك حفظ الله لعبده، وهو نهاية ما يطلبه العبد من ربه ويريده منه. ثم عقب ذلك بذكر التعرف إلى الله في الرخاء، وأنه مقتض لمعرفة الله لعبده في الشدة، وهذا هو من تمام حفظ الله لعبده وداخل فيه، إلا أن حالة الشدة لما كان العباد مضطرين فيها إلى من يعرفهم، ويفرج عنهم خُصَّت بالذكر لهذا المعنى. وفي هذه الحالة يُخلص المشركون

(١) انظر «سنن أبي داود» (٤/ ٢٢٥ ح ٤٦٩٩ السنة)، وابن ماجة (١/ ٢٩ - ٣٠ ح ٧٧ في المقدمة)، ورواه أيضاً أحمد في «المسند» ٥/ ١٨٥ و١٨٩، وابن أبي عاصم رقم (٢٤٥)، وإسناده صحيح ورجاله ثقات. قاله الألباني. انظر تخريج السنة (١/ ١٠٩)..

الدعاء إلى الله وحده، ويُفردونه بالسؤال والطلب لعلمهم أنه لا يكشف الضر سواه سبحانه، ثم يعودون عند كشف الضر عنهم إلى الشرك كما ذكر ذلك سبحانه عنهم [في مواضع من كتابه] وذمهم عليه. فأمر رسول الله ﷺ بمخالفتهم في ذلك بالتعرف إلى الله في حال الرخاء بإخلاص الدين له وحده وبطاعته والتقرب إليه، ليوجب ذلك معرفته لهم في الشدة وكشفها عنهم.

ثم عقب ذلك بذكر إفراد الله بالسؤال. وإفراده بالاستعانة وذلك يشتمل حال الشدة، وحال الرخاء. ثم ذكر بعد هذا كله الأصل الجامع الذي تنبني عليه هذه المطالب كلها، وهو: تفرد الله سبحانه وتعالى بالضر والنفع، والعطاء المنع، وأنه لا يصيب العبد من ذلك كله إلا ما سبق تقديره وقضاه له، وأن الخلق كلهم عاجزون عن إيصال نفع، أو ضر غير مقدر في الكتاب السابق.

وتحقيق هذا يقتضي انقطاع العبد عن التعلق بالخلق، وعن سؤالهم واستعانتهم ورجائهم بجلب نفع أو دفع ضر، وخوفهم من إيصال ضر، أو منع نفع، وذلك يستلزم إفراد الله سبحانه بالطاعة والعبادة أيضاً، وأن يقدِّم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعاً، وأن يُتقى سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعاً.

وقد جاء في حديث أبي سعيد مرفوعاً: **«إنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقينِ أنْ تُرْضِي النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وأنْ تَحْمَدَهُم عَلَى رِزْقِ الله، وأنْ تَذُمَّهُمْ علَى ما لَمْ يُؤْتِك الله، إنَّ رِزْقَ الله لا يَجِدُهُ حِرْصُ حَريص، ولا يَرُدُّهُ كَرَاهَةُ كَارِهٍ»**[1].

وروي عن ابن مسعود من قوله نحوه.

وما أحسن قول بعضهم:

فَلَيْتَكَ تَحْلُو والحَيَاةُ مَرِيرَةٌ ... ولَيْتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضَابُ
ولَيْتَ الذِي بَيْنِي وبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وبَيْنِي وبَيْنَ العَالَمِينَ خَرَابُ

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٤١) من طريق عطية عن أبي سعيد الخدري به. وقال الألباني: هو موضوع. انظر السلسلة الضعيفة (رقم ١٤٨٢).

إذَا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ وكُلُّ الذِي فَوْقَ التُّرابِ تُرابُ

* * *

فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدم على طاعة شيء من التراث على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يُرضي التراب بسخط الملك الوهاب إن هذا لشيء عجاب!

وقد دلَّ القرآن على هذا الأصل وهو تفرد الله سبحانه بالعطاء والمنع في مواضع كثيرة جدًّا.

كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾(٣).

وقوله تعالى حاكياً عن نبيه نوح ـ عليه السلام ـ أنه قال لقومه: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾(٤).

وقوله تعالى حاكياً عن نبيه هود ـ عليه السلام ـ: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾(٥).

---

(١) الآية ٢ من سورة فاطر.

(٢) الآية ١٠٧ من سورة يونس.

(٣) الآية ٣٨ من سورة الزمر.

(٤) الآية ٧١ من سورة يونس.

(٥) الآيات ٥٤ ـ ٥٦ من سورة هود.

وقال بعضهم :

مَـا قَـدَّر الله لاَ بُـدَّ يُـدْرِكُنِـي ... مَنْ ذَا الذِي يَدْفَعُ المَقْدُورَ بالحَذَرِ
الله أوْلَـى بِنَـا مِنَّـا بـأنْفُسِنَـا ... إنْ نَحْـنُ إلاَّ مَمَـالِيـكٌ لِمُقْتَـدِرِ

وشكا رجل إلى الفضيل الفاقة ، فقال له الفضيل : أمدبراً غيرَ الله تريد؟! .

وقال بعضهم :

«دَبِّرْ فَلَيْـسَ بِمُغْـنٍ عَنْـكَ تَـدْبيـرُ ... ولَيْـسَ يَعْـدُوكَ بـالتَّـدْبيـرِ تَقْـديـرُ
إنَّ الأُمُـورَ لَهَـا رَبٌّ يُـدَبِّـرُهَـا ... فَمَـا قَضَـى الـرَّبُّ سَـاقَتْـهُ المَقَـاديـرُ

* * *

وقوله ﷺ: «واعْلَمْ أنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً»

وفي رواية عمر ـ مولى غفرة وغيره ـ عن ابن عباس زيادة قبل هذا الكلام، وهي: «فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً».

ومراده باليقين هاهنا تحقيق الإيمان بما سبق ذكره من التقدير السابق كما ورد ذلك صريحاً في رواية [ابنه] علي بن عبدالله بن عباس [عن] أبيه ـ لكن بإسناد ضعيف ـ وفي روايته زيادةوهي: قلت: يا رسول الله كيف أصنع باليقين؟ قال: «أنْ تَعْلَمَ أنَّ ما أَصَابكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَكَ، وأنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبكَ».

فإذا أنت أحكمت باب اليقين فحصول اليقين للقلب بالقضاء السابق، والتقدير الماضي يوجب رضا النفس بالقضاء والقدر وطمأنينتها به، وقد دلَّ القرآن على هذا المعني بعينه في قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[1]، قال الضحاك في هذه الآية: عزَّاهم لكيلا تأسوا على ما فاتكم، لا تأسوا على شيء من أمر الدنيا فإنا لم نقدره لكم، ولا تفرحوا بما آتاكم لا تفرحوا بشيء من أمر الدنيا أعطيناكموه، فإنه لم يكن يزوي[2] عنكم. خرَّجه ابن أبي الدنيا.

وقال سعيد بن جبير في هذه الآية: لكيلا تأسوا على ما فاتكم من العافية والخصب إذا علمتم أنه كان مكتوباً عليكم قبل أن يخلقكم. خرَّجه ابن أبي حاتم.

ومن هذا المعنى قول بعض السلف: الإيمان بالقدر يُذْهِب الهمَّ والحُزْنَ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله في الحديث الصحيح عنه: «احْرِص علَى مَا يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ بالله ولاَ تَعْجَزْ، فَإنْ أَصابكَ شَيءٌ فلا تَقُل: لَوْ أنِّي فَعَلْتُ كَذَا وكَذَا

(١) الآية ٢٣ من سورة الحديد.
(٢) يزوي: يطوي. من القاموس (ص ١٦٦٧).

ولَكِن قُل: قَدَّرَ الله ومَا شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطان»[١].

فأشار في هذا الحديث إلى أن تذكير النفس بالقدر السابق عند المصائب يُذهبُ وساوس الشيطان الموجبة للهم والحزن والندم على تعاطي الأسباب الدافعة لوقوعها.

وقال أنس: خَدَمْتُ النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته: «لمَ فَعلت كذا وكذا؟» ولا شيء لم أفعله: «ألا فعلت كذا؟»[٢].

قال: وكان إذا لامني بعض أهله، يقول: «دَعُوهُ فَلَوْ قُدِّر شَيءٌ كَانَ». خرَّجه الإمام أحمد[٣] بهذه الزيادة.

وخرَّج ابن أبي الدنيا ـ بإسناد فيه نظر ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان أكثر كلام النبي ﷺ في بيته إذا خلا: «مَا قُضِي مِنْ أمرٍ يَكُنْ».

وخرَّج أيضاً حديثاً مرسلاً أن النبي ﷺ قال لابن مسعود: «لا تُكْثِر هَمَّكَ مَا يُقْدَرْ يَكُنْ، ومَا تُرْزَقْ يأتِكَ»[٤].

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «(لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله) دَوَاءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وتِسْعينَ دَاءً، أيْسرُها: الهَمُّ». خرَّجه الطبراني والحاكم[٥].

فإن تحقيق هذه الكلمة يقتضي تفويض الأمور إلى الله، وأنه لا يكون إلا ما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري رقم (٧/ ٨٢ ـ ٨٣ الأدب)، ومسلم (٤/ ١٨٠٤ح٢٣٠٩ في الفضائل)، من طريق ثابت عن أنس، وهذا لفظ مسلم.

(٣) وأما الرواية الأخيرة التي فيها الزيادة فأخرجها أحمد في «المسند» ٣/ ٢٣١ من طريق عمران عن أنس.

(٤) رواه ـ أيضاً ـ بلفظه ابن حبان في صحيحه من حديث مالك بن عبادة، والبيهقي في القدر من حديث ابن مسعود. كما ذكره على المتقي الهندي في الكنز (١/ ١٠٩ ح ٥٠٥). ورواه البيهقي في «الشعب» رقم (١١٨٩)، وهو حديث ضعيف. كما ذكره بعض المحققين. اهـ.

(٥) رواه الحاكم ١/ ٥٤٢ «الدعاء» من طريق بشر بن رافع عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة بمثله، وصححه وتعقب عليه الذهبي وقال: وبشر واه.

شاء والإيمان بذلك يذهب الهم والغم.

وقد وصى النبي ﷺ رجلاً فقال: «لا تَتَّهِمِ الله في شيءٍ قَضاهُ لَكَ»[(١)].

فإذا نظر المؤمن بالقضاء والقدر في حكم الله ورحمته، وأنه غير متهم في قضائه دعاه ذلك إلى الرضا بالقضاء، وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾[(٢)]. وقال علقمة في هذه الآية: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلِّم بها ويرضى[(٣)].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «لا يَقْضِي الله للمُؤْمِنِ قَضَاءً إلاَّ كَانَ خَيْراً لَهُ، إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءَ شَكَرَ كانَ خَيْراً لَهُ، وإنْ أصابَتْهُ ضَراءَ صَبرَ كانَ خَيْراً لهُ، ولَيْسَ ذَلِكَ إلاَّ للمُؤْمِنِ»[(٤)].

وقد دل القرآن على مثل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾[(٥)]. فأخبر أنه لن يصيبهم إلا ما كتب لهم، فدلَّ على أنه لهم بكل حال سواء كان مما يلائم أو لا يلائم، وأخبر أنه تعالى مولاهم، ومن تولاه الله لم يخذله بل هو يتولى مصالحه، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٣١٩ من حديث عبادة أن رجلاً أتى النبي ﷺ . . . فقال: يا نبي الله، أي العمل أفضل؟ . . . الحديث. قال الهيثمي في «المجمع» ١/ ٥٩: رواه أحمد من حديث عبادة بن الصامت، وفي إسناده ابن لهيعة. اهـ وهو ضعيف.

(٢) الآية ١١ من سورة التغابن.

(٣) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، وابن المنذر في تفسيره والبيهقي في الشعب عن علقمة به كما ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٤) في تفسيره.

(٤) انظر «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٩٥ ح ٢٩٩٩ الزهد) من حديث صهيب ـ رضي الله عنه ـ ولفظه: «عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

(٥) الآيتان ٥١، ٥٢ من سورة التوبة.

نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[١]، ثم عقَّب ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[٢]، يعني إما النصر، والظفر، وإما الشهادة، وأيُّهما كان فهو حسن.

وخرَّج الترمذي من حديث أنس عن النبي ﷺ: «أنَّ الله إذَا أَحَبَّ قوماً ابتَلاهُمْ، فمَن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[٣].

قال أبو الدرداء: إن الله إذا قضى قضاءً أحب أن يُرضَى به.

وقالت أم الدرداء: إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضي لهم رضوا به، لهم في الجنة منزل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة.

وقال ابن مسعود: إنَّ الله بِقِسْطه وعِلمه جعلَ الرَّوحَ والفرحَ في اليَقين والرِّضا، وجعَلَ الهَمَّ والحُزْنَ في الشَّكِّ والسُّخْطِ. وقد روي هذا مرفوعاً من وجه ضعيف[٤].

وكان عمر بن عبدالعزيز يقول: لقد تركتني هؤلاء الدعوات وما لي في شيء من الأمور إرب إلا في مواقع قدر الله ـ عز وجل ـ وكان يدعو بها كثيراً: اللهم رَضِّني بقضائك، وبارك لي [في] قدرك، حتى لا أحب تعجيل شيء أخَّرته، ولا تأخير شيء قدَّمته.

وقال ابن عون: ارض بقضاء الله على ما كان من عسر ويسر فإن ذلك أقل لهمك، وأبلغ فيما تطلب من أمر آخرتك، واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا

---

(١) الآية ٤٠ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٥٢ من سورة التوبة.

(٣) في سننه (٤/ ٢٧ ح ٢٥٠٧ في الزهد)، ورواه ـ أيضاً ـ ابن ماجة (٢/ ١٣٣٨ ح ٤٠٣١ في الفتن)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٢٠٩) موقوفاً وإسناده ضعيف، وذلك للإنقطاع بين أبي هارون بن أبي عيسى وبين ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وتقدم المرفوع منه.

حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء، كيف تستقضي الله في أمرك؟ ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك! ولعلك ما هويت من ذلك لو وفق لك لكان هلاكك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك وذلك لقلة علمك بالغيب! وكيف تستقضيه إن كنت كذلك؟ ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا!

وهذا كلام حسن، ومعناه أن العبد إذا استخار الله ـ عز وجل ـ فينبغي له أن يرضى بما اختاره له من موافق لهواه أو مخالف له؛ لأنه لا يدري في أيهما الخيرة له والله تعالى غير متهم في قضائه لمن استخاره، ومن هاهنا كان طائفة من السلف كابن مسعود وغيره يأمرون من يخاف أن لا يصبر على ما يخالف هواه مما يختار له أن يقول في استخارته: في «عافية»[1] فإنه قد يختار له البلاء ولا يصبر عليه. وقد روي هذا مرفوعاً من وجه ضعيف.

وعن بكر المزني أن رجلاً كان يكثر الاستخارة فابتلي فجزع ولم يصبر فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم أن قل لعبدي فلان: إذا لم تكن من أهل العزائم فهلا استخرتني في عافية!

وفي حديث سعد المرفوع: «**إنَّ مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ اسْتِخَارَتَهُ رَبَّهُ عَزَّ وجَلَّ ورِضَاهُ بمَا قَضَى، وإنَّ مِنْ شَقَاوَتِهِ تَرْكَهُ الاسْتِخَارَةَ وسُخطه بمَا قَضَى**». خرَّجه الترمذي وغيره[2].

وللرضا بالقضاء أسباب منها:

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ١٩٠ من حديث ابن مسعود، وقال: رواه البزار بأسانيد والطبراني في «الثلاثة»، وأكثر أسانيد البزار حسنة. قلت: ولم أجد فيه قوله: «في عافية»، بل هو: عاقبة أمري. فلعله في غير هذا الموضع، والله أعلم.

(٢) انظر سنن الترمذي (٣/ ٣٠٩ ح ٢٢٤٢ القدر ـ باب ما جاء في الرضا بالقضاء) من طريق محمد عن أبيه سعد بن أبي وقاص بمثله. وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد، ويقال له أيضاً: حماد بن أبي حماد، وهو أبو إبراهيم المدني وليس هو بالقوي عند أهل الحديث. ورواه أيضاً أحمد (١/ ١٦٨) والحاكم (١/ ٥١٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

يقين العبد لله وثقته [به] بأنه لا يقضي للمؤمن قضاء إلا وهو خير له، فيصير كالمريض المستسلم للطبيب الحاذق الناصح فإنه يرضى بما يفعله به من مؤلم وغيره لثقته به ويقينه أنه لا يريد [له] إلا الأصلح، وهذا [هو] الذي أشار إليه ابن عون في كلامه المتقدم ذكره.

ومنها:

النظر إلى ما وعد الله من ثواب الرضا، وقد يستغرق العبد في ذلك حتى ينسى ألم المقضي به كما روي عن بعض الصالحات من السلف أنها عثرت فانكسر ظفرها، فضحكت وقالت: أنساني لذةُ ثوابه مرارةَ ألمه.

ومنها:

وهو أعلى من ذلك كله الاستغراق في محبة المبتلي ودوام ملاحظة جلاله وجماله وعظمته وكماله الذي لا نهاية له، فإن قوة ملاحظة ذلك يوجب الاستغراق فيه، حتى لا يشعر بالألم كما غاب النسوة اللاتي شاهدن يوسف عن ألم تقطيع أيديهم بمشاهدته.

قال الجنيد[1]: سألت سريًا[2]: هل يجد المُحِبُّ ألمَ البلاء؟ فقال: لا.

وهذا إشارة [منه] إلى هذا المقام.

ومنه قول جماعة من أهل البلاء: دعه يفعل بنا ما يشاء، فلو قطعنا إرباً إرباً ما ازددنا له إلا حبًا.

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

لَـوْ قَطَّعَنِـي الغَـرَامُ إربـاً إرْبـا ... مـا ازدَدْتُ علَـى المَـلاَمِ إلاَّ حبّـا
لا زِلْـتُ بِكُـم أسِيـرَ وَجْـدٍ صَبًّـا ... حتَّـى أقْضِـي علَـى هَـوَاكُـم نُحْبـا

---

(١) الجنيد: هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي القواريري الصوفي، انظر ترجمته في «السير» ١٤/ ٦٦.

(٢) السري: هو السري بن المغَلِّس أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، انظر «السير» ١٢/ ٢٨٥.

وكان إبراهيم بن أدهم خرج عن ملكه وماله وولده وحشمه، فرأى ولده في الطواف فلم يكلمه، وقال:

هَجَرتُ الخَلْقَ طُرًّا في رِضَاكَا ... وأيْتَمْتُ العِيَالَ لِكَي أرَاكَا
فَلَوْ قَطَّعْتَنِي فِي الحُبِّ إرْباً ... لمَا حَنَّ الفُؤادُ إلى سِوَاكَا

كان جماعة من المحبين كالفضيل، وفتح الموصلي(١) إذا باتوا ليلة بلا عشاء ولا سراج اشتد فرحهم، وبكوا من الفرح، وقالوا: مثلنا يترك بغير عشاء ولا سراج بأي يد كانت منَّا، وبأي وسيلة توسلنا بها، وكان فتح يجمع ولده في ليالي الشتاء، ويغطيهم بكسائه، ويقول: أجعتني وأجعت عيالي، وأعريتني وأعريت عيالي، وإنما تفعل ذلك بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح(٢)؟

دخلوا على بعض السلف ـ وهو مريض ـ فقال: أحبُّه إليَّ أحبُّه إليه.

وفي هذا يقول بعضهم:

عَذَابُهُ فيكَ عَذْبُ ... وبُعْدُهُ فيكَ قُربُ
وأنْتَ عِنْدي كَرُوحِي ... بَلْ أنْتَ مِنْهَا أحَبُّ
حَسْبي مِنَ الحُبِّ أنِّي ... لِمَا تُحِبُّ أُحِبُّ

وأنشد أبو تراب(٣):

لا تَخْدَعَنَّ فلِلْمُحِبِّ دلائِلُ ... ولَدَيْهِ مِنْ تُحَفِ الحَبيبِ وَسَائِلُ
مِنْهَا تَنَعُّمُهُ بِمُرِّ بَلائِهِ ... وسُرُورُهُ في كُلِّ ما هُوَ فَاعِلُ
فَالمَنعُ مِنهُ عَطِيَّةٌ مَقْبولَةٌ ... والفَقْرُ إكْرامٌ وبِرٌّ عَاجِلُ

ودخلوا على رجل قد قُتِلَ ولده في الجهاد يعزونه فبكا وقال: ما أبكي على قتله، إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله حين أخذته السيوف؟

---

(١) هو فتح بن سعيد أبو نصر الموصلي، مات ٢٢٠هـ، انظر ترجمته في «السير» ٧/ ٣٥٠.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٢) من طريق بشر بن الحارث عنه.

(٣) لعله: يحيى بن إبراهيم بن أبي تراب أبو تراب الكوفي الفقيه الشافعي الرافضي، مات سنة ٦١٤هـ. انظر «سير الأعلام» ٢٢/ ٦٣ ـ ٦٤.

إنْ كَانَ سُكَّانُ الغَضَا رَضُوا بِقَتلِي فَرِضَى
واللهِ لا كُنْتُ لِمَا يَهْوَى الحَبيبُ مُبْغِضَا
صِرْتُ لَهُمْ عَبْداً ومَا لِلعَبْدِ أن يَعْتَرِضَا
هُم قَلَّبُوا قَلْبِي مِنَ الشَّوْقِ علَى جَمْرِ الغَضَا
يَا لَيتَ أيَّام الحِمَى يَعُودُ مِنهَا مَا مَضَى
مَنْ لِمَرِيضٍ لا يَرى إلاَّ الطَّبِيبَ المُمْرِضَا

والمقصود أن النبي ﷺ أمرابن عباس بالعمل بالرضا إن استطاعه، ثم قال له: «فإن لم تستطع فإنَّ في الصَّبرِ على مَا تَكْرَه خيراً كثيراً».

وهذا يدل على أن الرضا بالأقدار المؤلمة ليس بحتم واجب وإنما هو فضل مندوب إليه، فمن لم يستطع الرضا فليلزم الصبر، فإن الصبر واجب لابد منه، وفيه خير كثير، فإن الله تعالى أمر بالصبر ووعد عليه جزيل الأجر. قال تعالى؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾(١).

وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾(٣).

قال الحسن: الرضا عزيز ولكن الصبر مُعَوَّلُ المؤمن.

قال سليمان الخواص: الصبر دون الرضا، فالرضا: أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضياً بأي ذلك كان، والصبر: أن يكون بعد نزول المصيبة يصبر.

وحقيقة الفرق بين الصبر والرضا: أن الصبر كفُّ النفس، وحبسها عن التسخط مع وجود الألم، والرضا يوجب انشراح الصدر وسعته، وإن وجد

(١) الآية ١٠ من سورة الزمر.
(٢) الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧ من سورة البقرة.
(٣) الآيتان ٣٤، ٣٥ من سورة الحج.

الإحسان بأصل الألم لكن الرضا يخفف الإحسان بالألم لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وقد يزيل الإحساس به بالكلية على ما سبق تقريره.

ولهذا قال طائفة كثيرة من السلف منهم عمر بن عبدالعزيز، والفضيل، وأبو سليمان، وابن المبارك، وغيرهم: إن الراضي لا يتمنى غير الحالة التي هو عليها بخلاف الصابر.

وقد روي عن طائفة من الصحابة هذا المعنى أيضاً وأنهم كانوا لا يتمنون غير ما هم عليه من الحال، منهم عمر وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ.

قال عبدالعزيز ابن أبي رُوَّاد: كان عابد يتعبد في بني إسرائيل، فرأى في منامه أن فلانة زوجتك في الجنة، فاستضاف بها ثلاث ليال لينظر عملها، فكانت تنام وهو يقوم، وتفطر وهو يصوم، فلما فارقها سألها عن أوثق عملها عندها، قالت: هو ما رأيت، إلا خصلة واحدة، إن كنت في شدة لم أتمنّ أني في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمنّ أني في صحة، وإن كنت جائعة لم أتمنّ أني شبعان، وإن كنت في شمس لم أتمنّ أني في ظل.

فقال العابد: هذه والله خصلة يعجز عنها العباد.

وكما أن الصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى، كما صح ذلك عن النبي ﷺ(١).

فالرضا إنما يكون عند نزول البلاء، كما كان [النبي] ﷺ يقول في دعائه: «وأسألُكَ الرِّضَا بعْدَ القَضَاءِ»(٢).

لأن العبد قد يعزم على الرضا بالقضاء قبل وقوعه، فإذا وقع انفسحت تلك العزيمة.

---

(١) روى البخاري (٢/ ٧٩ الجنائز)، ومسلم (٢/ ٦٣٧ ح ٩٢٦ الجنائز) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «الصبر عند الصدمة الأولى» وللحديث قصة أيضاً.

(٢) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد (٤/ ٢٦٤) والنسائي (٣/ ٥٤ ـ ٥٥ في السهو)، والحاكم (١/ ٥٢٤) من حديث عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

فمن رضي بعد وقوع القضاء، فهو الراضي حقيقة.

وفي الجملة: فالصبر واجب لابد منه، وما بعده إلا السخط، ومن سخط أقدار الله فله السخط مع ما يتعجل له من الألم وشماتة الأعداء به أعظم من جزعه. كما قال بعضهم:

لاَ تَجْزَعَنْ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ عَرَا ... وَلا تُرِ الأَعْدَاءَ مَا يُشْمِتُ
يَا قَوم بِالصَّبْرِ يُنَالُ المُنَى ... إِذَا لَقِيتم فِئَةً فَاثْبُتُوا

وقال النبي ﷺ: «مَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، ومَا أُعْطِيَ أَحَدٌ خَيْراً ولاَ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(١).

وقال عمر: وجدنا خير عيشنا الصبر(٢).

وقال علي: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الجنة، لا يعطيه الله إلا لمن كرم عليه.

وقال ميمون بن مهران: ما نال أحد شيئاً من جسيم الخير، نبي فمن دونه إلا بالصبر.

وقال إبراهيم التيمي: ما من عبد وهبه الله له صبراً على الأذى، وصبراً على البلاء، وصبراً على المصائب، إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد بعد الإيمان بالله ـ عز وجل ـ.

وهذا منتزع من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ إلى

(١) رواه البخاري (٢/ ١٢٩ الزكاة)، ومسلم (٢/ ٧٢٩ ح ١٠٥٣ الزكاة) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) ذكره البخاري ـ في صحيحه في ترجمة باب الصبر عن محارم الله (٧/ ١٨٣ الرقاق) ـ عن عمر معلقاً به. وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٠٣) وقد وصله أحمد في كتاب الزهد بسند صحيح عن مجاهد عن عمر به.

ورواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٠ ترجمة عمر) من طريق أحمد بإسناده عن مجاهد عن عمر به.

قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾(١). والمراد بالبأساء الفقر ونحوه، وبالضراء المرض ونحوه، وحين البأس حال الجهاد.

وقال عمر بن عبدالعزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاوضه مكان ما انتزع منه الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزع منه، ثم تلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾(٢).

وكان بعض الصالحين في جيبه ورقة يفتحها كل ساعة فينظر فيها، وفيها مكتوب: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾(٣)

والصبر الجميل هو أن يكتم العبد المصيبة ولا يخبر بها.

قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾(٤) قالوا: لا شكوى معه.

وكان [الأحنف] بن قيس قد ذهب عينه من أربعين سنة ولم يذكرها لأحد.

وذهبت عين عبدالعزيز بن أبي روَّاد(٥) من عشرين سنة، فتأمله ابنه يوماً فقال له: يا أبت، قد ذهبت عينك! فقال: نعم يا بني، الرضا عن الله أذهب عين أبيك من عشرين سنة.

وكان الإمام أحمد لا يشتكي ما به من المرض إلى أحد، وذُكِرَ له أن مجاهداً كان يكره الأنين في المرض، [فتركه] فلم يئن حتى مات، وكان يقول لنفسه: يا نفسي اصبري، ولا تندمي.

---

(١) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٠ من سورة الزمر.

(٣) الآية ٤٨ من سورة الطور.

(٤) الآية ٨٣ من سورة يوسف.

(٥) عبدالعزيز بن أبي رُواد: صدوق، عابد. ورمي بالإرجاء. مات ١٥٩هـ. انظر: تقريب التهذيب (٥٠٩/١ رقم ١٢٢١).

ودخل بعض العارفين على مريض يقول: آه، فقال له [ذلك] العارف: ممَّن؟

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

تَفِيضُ النُّفُوسُ بِأَوْصَابِهَا وتَكْتُمُ عُوَّادَهَا مَا بِهَا
ومَا أَنْصَفَت مُهْجَةٌ تَشْتَكِي هَوَاهَا إلى غَيْرِ أَحْبَابِهَا

قال يحيى بن معاذ: لو أحببت ربك ثم جوّعك وأعراك، لكان يجب أن تحتمله وتكتمه عن الخلق، فقد يحتمل الحبيب لحبيبه الأذى فكيف وأنت تشكوه فيما لم يصنعه بك؟

ويَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ الفِعْلُ عِنْدي وتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَا

كان الرسول ﷺ وأصحابه يشدون على بطونهم الحجارة من الجوع[1].

كان أُوَيس يلتقط الكِسَر من المزابل[2]، والكلابُ تزاحمه، فنبح عليه كلب يوماً فقال: يا كلب لا تؤذ من لا يؤذيك، كل مما يليك، وآكل مما يليني، فإن دخلت الجنة فأنا خير منك، وإن دخلت النار فأنت خير مني!!

كان إبراهيم بن أدهم يلتقط السنبل مع المساكين، فرأى منهم كراهة لمزاحمته، فقال: أنا تركت ملك بلخ، أفأزاحم المساكين على لقاط السنبل؟ فكان بعد ذلك لا يلتقط إلا مع الدواب التي ترعى فيه.

وكان الإمام أحمد يلتقط السنبل مع المساكين أيضاً.

وآجر سفيان الثوري نفسه مع جمالين في طريق مكة، فطبخ لهم طعاماً فأفسده فضربوه.

---

(١) روى الإمام البخاري في صحيحه (٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠ الرقاق) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ كان يقول: آلله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع.. الحديث. وهو طويل.

(٢) المزابل: واحدها المزبلة موضع الزبل. المعجم الوسيط (١/ ٣٨٨).

كان فتح الموصلي يوقد النار للناس بالأجرة:

مِنْ أَجْلِكَ قَدْ تَرَكْتُ خَدِّي [أَرْضاً] للشَّامِتِ والحَسُودِ حتَّى تَرْضَى
مَوْلَايَ إِلَى مَتَى بِهَذَا أَحْظَى عُمْرِي يَفْنَى وحَاجَتِي مَا تُقْضَى

غيره:

كَمْ أَحْمِلُ فِي هَوَاكَ ذُلاً وَعَنَا كَمْ أَصْبِرُ فيكَ تَحْتَ سُقْمٍ وضَنَا
لا تَطْرُودَنِي فَلَيْسَ عَنْكَ غِنَى خُذْ رُوحِي إنْ أَرَدْتَ الثَّمَنَا

غيره:

مِنْ أَجْلِ هَوَاكُمْ هَوَيْتُ العِشْقَا قَلْبِي كَلِفٌ ودَمْعَتِي مَا تَرْقَا
فِي حُبِّكُمْ يَهُونُ مَا قَدْ أَلْقَى مَا يَسْعَدُ بالنَّعِيمِ مَنْ لا يَشْقَى

كانت مصائب الدنيا عندهم نعماً، حتى قال بعضهم: ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة.

ومن الإسرائيليات: إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين.

وقال بعض السلف: إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد الله إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمد الله إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

وانتظار الفرج بالصبر عبادة فإن البلاء لا يدوم:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وتَجَلَّدِ واعْلَمْ بِأَنَّ الضُّرَّ غَيْرُ مُؤَبَّدِ
واصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الكِرَامُ فَإِنَّهَا نُوبٌ تَنُوبُ اليَوْمَ تُكْشَفُ في غَدِ

إذا غمس أعظم الناس بلاء كان في الدنيا في نعيم الجنة غمسة، قيل له: هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك بؤس قط؟ قال: لا. يا رب[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٢ ح ٢٨٠٧ المنافقين)، وأحمد (٣/ ٢٠٣ و٢٥٣)، كلاهما من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم =

يـا نَفْـسُ مَـا هِـيَ إلاَّ صَبْـرُ أيَّـام كـأنَّ مُـدَّتَهـا أضْغَـاثُ أحْـلام
يا نَفْسُ جُوزِي عَنِ الدُّنْيا مُبَادِرَةً وخَـلِّ عَنهَـا فَـإنَّ العَيْـشَ قُـدَّامُ

غيره:

ومَـا هِـيَ إلاَّ سـاعَـةٌ ثُـمَّ تَنْقَضِـي ويَـذْهَـبُ هَـذَا كُلُّـهُ ويَـزُولُ

* * *

= القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله! يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله! يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط» وهذا لفظ مسلم اهـ.

وقوله ﷺ: «[واعْلَمْ] أنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبْرِ»

هذا موافق لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[٢].

وقوله تعالى في قصة طالوت: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٤]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في الأمر بالصبر عند لقاء العدو كثيرة جدًّا[٥].

وقال عمر لأشياخ من بني عبس: بم قاتلتم الناس؟ قالوا: بالصبر، لم نلق قوماً إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا.

وقال بعض السلف: كلُّنا يكره الموت وألم الجراح، ولكن نتفاضل بالصبر.

وسئل البطال[٦] عن الشجاعة فقال: صبر ساعة.

---

(١) الآية ٤٥ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٦٦ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٢٥ من سورة آل عمران.

(٥) منها حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا» الذي رواه البخاري (٤/ ٢٣ ـ ٢٤ الجهاد)، ومسلم (١٣/ ١٣٦٢ ح ١٧٤١ الجهاد).

(٦) البطال هو عبدالله أبو محمد، من أعيان أمراء الشابين، رأس الشجعان والأبطال، قتل سنة ١١٢هـ ـ وقيل ١١٣هـ. انظر «سير الأعلام» ٥/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

وهذا كله في جهاد العدو الظاهر وهو جهاد الكفار، وكذلك في جهاد العدو الباطن، وهو وجهاد النفس والهوى، فإنَّ جهادهما من أعظم الجهاد. كما قال النبي ﷺ: «**المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللهِ**»(١).

وقال عبدالله بن عمرو لرجل سأله عن الجهاد: ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها.

ويروى بإسناد ضعيف من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال لقوم رجعوا من الغزو: «**قَدِمْتُمْ مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إلى الجِهَادِ الأَكْبَرِ**، قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: **مُجَاهَدَةُ العَبْدِ لِهَوَاهُ**»(٢).

وقال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر ـ رضي الله عنه ـ حين استخلفه: إنَّ أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك.

ويروى من حديث سعد بن سنان، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ.

ومن حديث أبي مالك الأشجعي عن النبي ﷺ مرسلاً قال: «**لَيْسَ عَدُوُّكَ الذِي إذَا قَتَلَكَ أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ، وإذَا قَتَلْتَهُ كانَ لَكَ نُوراً، أَعْدى عَدُوِّكَ نَفْسَكَ التي بَيْنَ جَنْبَيكَ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٢٠)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٨٤ ح ٤٦٢٤) كلاهما من حديث فضالة بن عبيد به في حديث صدره: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله... الحديث» اهـ. قال شعيب الأرناؤط: إسناد ابن حبان صحيح، رجاله ثقات: رجال الصحيح.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» ١٣/ ٤٩٣ من طريق عطاء بن أبي رباح عن جابر به، والبيهقي في «الزهد» ص (١٦٥) وقال: هذا إسناد فيه ضعف. اهـ. انظر «كشف الخفاء» رقم (١٣٦٢) وفيه أيضاً: قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة بلفظ: رجعنا من... وهو من كلام إبراهيم بن عيلة. وقال العجلوني: الحديث في «الإحياء»، قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر.

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن أبي مالك الأشعري بلفظ: ليس عدوك الذي إن قتلته كان لك نوراً، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن أعدى عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك، ثم أعدى عدو لك=

وأخذ هذا المعنى العباس بن الأحنف الشاعر فقال:

قلبـي إلـى مـا ضَـرَّنـي داعِـي يكثـرُ أحْـزَانِـي وأوْجَـاعِـي
لقـل مـا أبقَـى علَـى مـا أرَى يُـوشِـكُ أن يَنْعَـانِـي النَّـاعِـي
كيـفَ احتِـرازِي مـنْ عَـدوِّي إذَا كـانَ عـدوِّي بيـنَ أضْـلاعِـي

فهذا الجهاد أيضاً يحتاج إلى صبر، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلب وحصل له النصر، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب وقُهر وأسر، وصار ذليلاً أسيراً في يدي شيطانه وهواه:

إذَا المَـرْءُ لـمْ يَغْلِـبْ هَـوَاهُ أقَـامَـهُ بِمَنْـزِلَـةٍ فيهَـا العَـزِيـزُ ذَلِيـلُ

[قال غيره]:

رُبَّ مستُـورٍ سَبَتْـهُ صَبْـوَةٌ فتَعَـرَّى صَبْـرُهُ فـانْهَتَكَـا
صَـاحِـبُ الشَّهْـوَةِ عَبْـدٌ فـإذَا غَلَـبَ الشَّهْـوَةَ صَـارَ المَلِكَـا

قال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ: من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يجزع.

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرعَةِ إنَّمَا الشَّديدُ الذِي يَمْلكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»(١).

ووصف بعضهم الأحنف بن قيس فقال: كان أشدَّ الناس سلطاناً على نفسه.

قيل لبعضهم: إن فلاناً يمشي على الماء، فقال: من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أقوى ممن يمشي على الماء.

= مالك الذي ملكت يمينك. كما ذكره النبهاني في الفتح الكبير (٣/ ٦٠ ـ ٦١). قلت: لعل صواب نسبة الأشجعي هو الأشعري كما ورد عند السيوطي، وكذا ذكر ابن حجر أيضاً في التقريب. والله أعلم بالصواب.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٩ الأدب)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٤ ح ٢٦٠٩ البر والصلة) كلاهما من حديث أبي هريرة به.

واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفت منك الجدّ جدَّتْ، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك، وطلبت منك حظوظها وشهواتها.

كان أبو سليمان الداراني يقول: كنت بالعراق، أمر على تلك القصور والمراكب والملابس والمطاعم التي للملوك فلا تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك، وأمر على التمر، فتكاد نفسي تقع عليه، فذكر ذلك لبعض العارفين فقال: تلك الشهوات آيسَ نفسَه منها، فأيِسَتْ والتمرة أطمعها فيه فطمعت، كما قيل:

صَبَرْتُ على اللَّـذَاتِ حتَّى تَوَلَّت ... وألْزَمْتُ نَفسِي هَجْرَهَا فاسْتَمَرَّت
ومَا النَّفْسُ إلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُهَا الفتَى ... فـإِنْ طَمِعَـتْ تَـاقَـتْ وإلاَّ تسَلَّـت
وكَانَتْ عَلى الأيَّامِ نَفْسي عَزِيزَةً ... فَلَمَّا رَأَتْ عَزْمِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّت

فقوله ﷺ: «إنَّ النَّصْر معَ الصَّبْرِ»(١). يشمل الصبر على جهاد العبد لعدوه الظاهر، وجهاده لعدوه الباطن وهو نفسه وهواه، وكان السلف يفضلون هذا الصبر على الصبر على البلاء.

قال ميمون بن مهران: الصبر صبران: الصبر على المصيبة حسن، وأفضل من ذلك: الصبر على المعاصي.

وقال سعيد بن جبير: الصبر على نحوين: أحدهما الصبر عما حرَّم الله، والصبر لما افترض الله من عبادته، وذلك أفضل الصبر، والصبر الآخر في المصائب.

وقد ورد في هذا حديث مرفوع من حديث علي لكنه لا يثبت(٢).

* * *

(١) هو جزء من حديث طويل ضمن وصية ابن عباس المتقدم في أول الكتاب، وهو في «مسند أحمد» ١/٣٠٧.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «فضل الصبر»، وأبو الشيخ في «الثواب» في حديث طويل عن علي وهو حديث ضعيف كما في «ضعيف الجامع» رقم (٣٥٣٢). وأوله: «الصبر ثلاثة: فصبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية...».

قوله ﷺ: «إنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ»

هذا يشهد له قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾(٢).

وقول النبي ﷺ في حديث أبي رزين العقيلي: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وقُرْبِ غَيره» خرَّجه الإمام أحمد(٣).

وخرَّج ابنه عبدالله من حديث أبي رزين أيضاً من حديث طويل عن النبي ﷺ قال: «عَلِمَ الله يَوْمَ الغَيْثِ أنَّهُ لَيشْرُفُ عَلَيْكمْ أزَلَيْنِ قِنطَيْنِ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ، قَدْ عَلِمَ أنَّ غَيْرَكُمْ إلى قُرْبٍ»(٤).

والمعنى أنه سبحانه يعجب من قنوط عباده عند احتباس المطر عنهم وخوفهم وإشفاقهم ويأسهم من الرحمة، وقد قدَّر الله تغيير هذه الحال عنهم عن قرب بإنزال المطر ولكنهم لا يشعرون.

وهذا كما اشتكى ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وهو قائم يخطب يوم الجمعة احتباس المطر وجهد الناس فرفع النبي ﷺ يديه فاستسقى لهم فنشأ السحاب ومطروا إلى الجمعة الأخرى حتى قاموا إليه ﷺ وطلبوا منه أن يستصحي لهم ففعل فأقلعت السماء(٥).

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الشورى.

(٢) الآيتان ٤٨، ٤٩ من سورة الروم.

(٣) في مسنده ٤/ ١١ و١٢، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (١٨١)، وابن حبان في صحيحه (٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٩) و(٥٥٤)، وفي إسناده وكيع بن حدس، ويقال: «عدس» قال الحافظ في «التقريب» «مقبول» يعني عند المتابعة، وقد توبع هنا فهو بها حسن. كما ذكره الألباني في تخريج «السنة» لابن أبي عاصم.

(٤) انظر مسند أحمد (٤/ ١٣).

(٥) رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها: (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ الجمعة)، ومسلم (٢/ ٦١٢ ـ=

وقد قصَّ الله في كتابه قصصاً كثيرة تتضمن وقوع الفرج بعد الكرب والشدة، كما قص نجاة نوح ومن معه في الفلك من الكرب العظيم، مع إغراق سائر أهل الأرض.

وكما قصَّ نجاة إبراهيم ـ عليه السلام ـ من النار التي ألقاه المشركون فيها وأنه جعلها عليه برداً وسلاماً، وكما قصَّ قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع ولده الذي أُمر بذبحه ثم فداه الله بذبح عظيم.

وكما قصَّ قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع أمه لما ألقته في اليم حتى التقطه آل فرعون، وقصته مع فرعون لما نجّى الله موسى في البحر وأغرق عدوه.

كما قصَّ قصة أيوب ويونس ويعقوب ويوسف ـ عليهم السلام ـ وقصة قوم يونس لما آمنوا.

وكما قص [الله] قصص محمد ﷺ ونصره على أعدائه ونجاته منهم في عدة مواطن مثل قصته في الغار، وقصته يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين.

وكما قص ـ سبحانه ـ قصة عائشة في حديث الإفك[(١)] وبرأها مما رميت به. وقصة: (الثلاثة: ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾[(٢)].

وفي السنة من هذا المعنى شيء كثير أيضاً مثل قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بأعمالهم الصالحة ففرج عنهم[(٣)].

= ٦١٣ ح ٨٩٧ الاستسقاء) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ: بينما النبي يخطب يوم الجمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول الله! هلك الكراع، وهلك الشاء، فادع الله أن يسقينا، فمد يديه ودعا اهـ. وهذا لفظ البخاري.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٠٩ تفسير سورة التوبة)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٢٠ ـ ٢١٢٨ ح ٢٧٦٩ التوبة) كلاهما من حديث كعب بن مالك بطول القصة.

(٣) تقدم تخريجه.

ومثل قصة إبراهيم وسارة مع الجبار الذي طلبها من إبراهيم ورد الله كيد الفاجر[(١)].

والحكايات الواقعة في هذا المعنى في الإسلام وقبله كثيرة جدًّا لا يمكن استقصاؤها وكثير منها مذكور في الكتب المصنفة في: «الفَرَج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا وغيره، وكتاب «مجابي الدعوة» لابن أبي الدنيا، وكتاب «المستغيثين بالله والمستصرخين به»، وكتب كرامات الأولياء، وأخبار الصالحين، وفي كتب التواريخ وغيرها.

ونحن نذكر ههنا طرفاً يسيراً من أظرف ما حكي في هذا الباب؛ ليعتبر به.

ذكر بعض العلماء في مصنّف له ـ وأظنه من المغاربة ـ أنه سمع من أبي ذر الهروي الحافظ يحكي أنه كان ببغداد يقرأ على أبي حفص بن شاهين في دكان عطار، وأنه شاهد رجلاً جاء إلى العطار فدفع إليه عشرة دراهم، وأخذ منه حوائج، وجعلها في طبق ووضعه على رأسه، فزلق ووقع طبقه وتفرقت حوائجه، فبكا واشتد بكاؤه، وقال: لقد ضاع مني في قافلة كذا وكذا هميان[(٢)] فيه أربعمائة دينار، أو قال: أربعة آلاف دينار، ومعها فصوص قيمتها أكثر من ذلك فما جزعت لضياعها، ولكن ولد لي الليلة ولد فاحتجنا في البيت إلى ما تحتاج إليه النفساء، ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فلما قدر الله ما قدر جزعت، وقلت: لا أنا عندي ما أرجع به اليوم إلى أهلي، ولا ما أكسب غداً، ولم يبق لي حيلة إلا الفرار عنهم وتركهم على هذه الحال فيهلكون بعدي، فلم أملك نفسي أن جزعت هذا الجزع.

---

(١) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها: (٣/ ٣٨ البيوع)، ومسلم (٤/ ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ ح ٢٣٧١ الفضائل) كلاهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات: اثنتين في ذات الله: قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة.. الحديث».

(٢) الهِمْيانُ: كيس للنفقة يشدُّ في الوسط. المعجم الوسيط (٢/ ٩٩٦).

قال أبو ذر: ورجل من شيوخ الجند جالس على باب داره فسمع هذا كله، فسأل الجندي أبا حفص أن يدخل هو وأصحابه، والرجل المصاب معه إلى بيته ففعل، وطلب من الرجل المصاب إعادة حكايته في الهيمان فأعاد ذلك عليه، وسأله عن من كان في تلك القافلة وعن المكان الذي ضاع فيه الهميان، فأخبره، ثم سأله عن صفة الهميان وعلامته، فأخبره بذلك، فقال: لو رأيته كنت تعرفه؟ قال: نعم، قال: فأخرجه إليه فلما رآه، قال: هذا الهميان [الذي سقط مني وفيه من الأحجار ما صفته كذا وكذا، ففتح الهميان] فوجد الأحجار على ما وصف فدفعه إليه وخرج من عنده وقد صار من الأغنياء.

فلما خرج بكى الشيخ الجندي بكاء شديداً فسئل عن سبب بكائه فقال: إنه لم يكن بقي لي في الدنيا أمل ولا أمنية أتمناها إلا أن يأتي الله بصاحب هذا المال فيأخذه، فلما قضى الله بذلك بفضله ولم يبق لي أمل علمت أنه قد حان أجلي.

قال أبو ذر: فما انقضى شهر حتى توفي وصلينا عليه.

وحكى هذا المصنِّف(١) أيضاً في كتابه عن رجل حكى له بالموصل أن رجلاً كان عندهم تاجراً يسافر بتجارته إلى البلدان، فسافر مرة بجميع ماله وما يملكه إلى الكوفة، فرافقه في تلك السفرة رجل فخدمه فأحسن خدمته، وأنس به حتى وثق به، ثم استغفله في بعض المنازل وأخذ دابته وما عليها من المال والمتاع، ولم يُبْقِ له شيئاً ألبتة، واجتهد في طلبه فلم يقع له على خبر، فرجع إلى بلده راجلاً جائعاً، فدخل المدينة ليلاً وهو على تلك الحال فطرق بابه، فلما علم أهله سروا به، وقالوا: الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت، فإن أهلك قد ولدت اليوم ولداً وما وجدنا ما نشتري به ما تحتاج إليه النفساء، ولقد كانت هذه الليلة طاوية فاشتر لنا دقيقاً ودهناً نسرج به، فلما سمع ذلك زاد في غمه وكربه، وكره أن يخبرهم بما جرى له فيحزنهم، فخرج إلى حانوت رجل كان بالقرب من داره فسلم عليه، وأخذ منه دهناً وغيره مما يحتاج إليه، فبينما هو يخاطبه إذ التفت

---

(١) المراد به الذي حكى القصة الأولى المتقدمة آنفاً.

فرأى خرجه الذي هرب به خادمه مطروحاً في داخل الحانوت، فسأله عنه فقال: إن رجلاً ورد عليَّ بعد العِشاء واشترى مني عَشَاءً واستضافني فأضفته، فجعلت خَرْجه[1] في حانوتي ودابته في دار جارنا، والرجل بائت في المسجد، فنهض إلى المسجد ومعه الخرج فوجد الرجل نائماً، فرفسه فاستيقظ مذعوراً، فقال له: أين مالي يا خائن؟ قال: هو ذا على عنقك. والله ما فقد منه ذرة واستخرج الدابة من موضعه، ووسع على أهله وأخبرهم حينئذ بخبره.

وتشبه هاتين الحكايتين ما حكاه التنوخي[2] في كتابه «الفرج بعد الشدة»، والحكاية طويلة، وملخصها: إن رجلاً كان ببغداد في زمن الرشيد، وكان صيرفيًّا، فابتاع جارية بخمسمائة دينار، وشغف بها حتى تعطل عن معاشه بسبب ملازمتها، وأنفق رأس ماله حتى لم يبق معه منه شيء، وحملت جاريته فصار ينقض داره ويبيع أنقاضها حتى فرغت ولم يبق له حيلة فضربها الطَّلْقُ وهو على تلك الحال، وطلبت منه ما يصلح للنفساء، وشكت إليه أنها تموت إن لم يعجل عليها [بذلك] فبكى، وخرج على وجهه، وهم أن يغرق نفسه في دجلة، ثم خاف عقاب الله فامتنع، وخرج ماشياً على قدميه من قريته حتى بلغ خراسان، فأقام بها واكتسب بها مالاً، وكتب إلى بلده ستة وستين كتاباً ليتعرف خبر الجارية فلم يعد إليه جواب فلم يشك أنها ماتت.

ثم رجع إلى بغداد بعد مدة طويلة، ومعه مال قيمته عشرون ألف دينار، فخرج على قافلته اللصوص فأخذوا ما معه [كله] وعاد بثيابه فقيراً، ولم يزل يتوصل حتى دخل بغداد فقيراً كما خرج منها بعد أن غاب عنها قريباً من ثلاثين سنة، فقصد داره فوجدها عامرة، وبابها حسن، وعليه بواب وغلمان وبغال،

---

(١) الخرج: ما يخرج من الأرض وغيرها من غلة. وخلاف الدخل والأتاوة السنوية والضريبة، «المعجم الوسيط» ١/ ٢٢٥.

(٢) لعله أحمد بن عبدالله بن سليمان أبو العلاء التنوخي المعري اللغوي الشاعر المصنف صاحب التصانيف السائرة. وله ٥٥ مصنفاً. وقيل أكثر من ذلك. مات ٤٤٩هـ. انظر: السير (١٨/ ٢٣ ـ ٣٩).

فسأل عن الدار: لمن هي؟ فقيل: هي لابن فلان الصيرفي وسمّوا الرجل باسمه، قالوا: وهوابن داية أمير المؤمنين، وهو جهبذه وصاحب بيت ماله، وأخبره الذي سأله [أن أباه أخبره] أن أبا هذا الرجل صاحب الدار كان صيرفيًا جليلاً فافتقر، وأن أم هذا الصبي ضربها الطلق، فخرج أبوه يطلب لها شيئاً، ففقد وهلك، وأن أمه أرسلت إلى بعض الجيران تستغيث بهم فقاموا لها بحوائج الولادة، ثم أنه ولد لأمير المؤمنين ولد ذكر وذلك الولد وهو المأمون، وأنه عرض عليه جميع الدايات فلم يقبل أثداءهن، فأرشدوا إلى أم هذا الصبي فحُملت إلى دار الرشيد، فحين وضع فم المولود على ثديها قبله وأرضعته، وصارت عندهم في حال جليلة. ثم لما ولي المأمون الخلافة كانت المرأة وابنها معه، وبنى ابنها هذه الدار. وسأله عن أمه: أحية هي؟ قال: نعم، وهي تمضي إلى دار الخليفة أياماً وتكون عند ابنها أياماً، فجاء الرجل الصيرفي حتى دخل الدار مع الناس فرآها في غاية الحسن ورأى في صدرها شاباً يشبهه، وبين يديه الكتاب والأموال والموازين يقبضون ويُقبضون، فجلس الرجل في غمار الناس حتى تفرقوا ولم يبق غيره. فقال له الشاب: يا شيخ! هل من حاجة؟ قال: نعم أنا أبوك. قال: فتغير وجهه ووثب مسرعاً، ثم استدعاه إلى داره وأجلسه على كرسي وهناك ستارة. فقال له الشيخ: لعلك تريد أن تختبر صدق قولي من جهة فلانة وذكر اسم جاريته أم الصبي، فسمعت الجارية صوته فرفعت الستارة وخرجت إلى مولاها وجعلت تقبله وتبكي، وأخبرها بخبره من حين خروجه من عندها إلى أن رجع، فقام ولده حينئذ واعتذر إليه من تقصيره، وأصلح حاله، ثم أدخله على المأمون فحدثه بحديثه، فخلع عليه وصيره جهبذاً له على ما كان عليه [ابنه]، وأجرى عليه الرزق وقلد ابنه عملاً أجل [من] عمله.

وروى المعافى بن زكريا النهرواني بإسناده عن سوّار القاضي[1] أنه خرج

(١) هو سوار بن عبدالله بن قدامة الإمام العلامة القاضي بالرصافة، أبو عبدالله. من بيت العلم والقضاء، مات ٢٤٥هـ. انظر «السير» ١١/ ٥٤٣ـ٥٤٥.

يوماً من دار المهدي، فدخل داره فدعا بغدائه فجاشت نفسه، فرده ثم دعا بجارية له فلم تطب نفسه، فدخل للقائلة فلم يأخذه النوم، فنهض وركب بغلته فلقيه وكيل له معه ألفا درهم. فقال له: أمسكها معك، واتبعني. وخلَّى بغلته فذهبت به، فحضرت الصلاة وهو في بعض الشوارع فدخل فصلى في مسجد هناك، فلما قضى صلاته، إذا هو بأعمى يتلمس، فقال له: ما تريد؟ قال: أريدك. قال: وحاجتك؟ قال: شممت منك ريح الطيب فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن ألقي إليك شيئاً، قال: قل، قال: أترى هذا القصْر؟ لِقَصْرٍ هناك. قال: نعم، قال: فإنه كان لأبي فباعه، ثم خرج إلى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها، فقدمت فأتيت صاحب الدار لأسأله شيئاً يصلني به وأصير إلى سوَّار القاضي فإنه كان صديقاً لأبي، قال سوَّار: فقلت: فمن أبوك؟ قال: فلان ابن فلان، فإذا هو أصدق الناس لي، فقلت له: فإن الله قد أتاك بسوَّار منعه الطعام والشراب والنوم وجاء به بين يديك. ثم دعا سوار وكيله، فأخذ منه الدراهم فدفعها إليه. وقال [له]: إذا كان غداً فصر إليَّ. قال سوَّار: ثم دخلت على المهدي فحدثته بهذا الحديث فأعجبه، وأمر للأعمى بألفي دينار وأمر لسوَّار بمائة ألف دينار، قال سوَّار: فجاءني الأعمى، فدفعت إليه الألفي دينار، وقلت له: قد رزق الله بكرمه بك خيراً كثيراً وأعطيته من مالي ألفي دينار أيضاً.

وخرَّج ابن أبي الدنيا في كتابه: «الفَرَج بعد الشدَّة» بإسناده عن وضَّاح بن خيثمة قال: أمرني عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بإخراج من في السِّجن فأخرجتهم إلا يزيد ابن أبي مسلم فنذر هدر دمي، فإني لبإفريقية إذ قيل لي: قَدِمَ يزيد ابن أبي مسلم يعني أميراً على إفريقية فهربتُ منه، وأرسل في طلبي فأُخِذت، فأُتي بي إليه. فقال لي: والله لطالما سألت الله أن يمكنني منك. فقلت: وأنا والله طالما استعذت بالله من شرِّك، قال: والله ما أعاذك. والله لأقتلنك ثم والله لأقتلنَّك، ثم والله لأقتلنك، لو سابقني ملك الموت إلى قبض روحك لسبقته، عليَّ بالسيف والنطع. قال: فجيء بالنَّطع فأقعدت فيه، وكُتِّفت. وقام قائم على رأسي بسيف مشهور. وأقيمت الصلاة، فخرج إلى الصلاة فلما سجد أخذته

سيوف الجند فقتل. فجاءني رجل فقطع كتافي[١] بسيفه. وقال لي: انطلق.

وبإسناده عن عمرو السَّرايا وكان يُغير في بلاد الروم وحده فبينما هو نائم ذات يوم إذ ورد عليه عِلجٌ منهم فحرَّكه برجله فانتبه. فقال: يا عربي! اختر إن شئت مطاعنة، وإن شئت مسايفة، وإن شئت مصارعة، فقلت: أما المطاعنة والمسابقة فلا بقاء لهما ولكن بالمصارعة، فنزل فصرعني وجلس على صدري. وقال: أيَّ قتلة أقتلك؟ فرفعت رأسي، وقلت: أشهد أن كل معبود ما دون عرشك إلى قرار الأرضين باطل، غير وجهك الكريم، قد ترى ما أنا فيه ففرج عني قال: فأغمي عليَّ فأفقت فإذا الرومي قتيل في جنبي.

وروى أبو الحسن ابن الجهضم بإسناده عن حاتم الأصم[٢] قال: لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني ترْكِيٌّ فقلبني عن فرسي، ونزل فقعد على صدري، وأخذ بلحيتي وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني فما كان قلبي عنده ولا عند سكينه، وإنما كان عند سيدي فقلت: سيدي إن قضيت علي أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين إنما أنا لك وملكك، فبينما أنا على هذه الحال إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه فسقط عني، فقمت أنا إليه وأخذت السكين من يده فذبحته بها، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه مالم تروا من الآباء والأمهات.

وهذا باب يطول ذكره جدًّا فلنقتصر على ما ذكرناه ففيه كفاية.

* * *

---

(١) الكتاف: ما شُدّ به من حبل ونحوه. جمعه: أكتفة، وكُتُف. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٧٥).

(٢) هو حاتم بن عنوان بن يوسف أبو عبدالرحمن. الزاهد القدوة الرباني، الواعظ الناطق بالحكمة، له كلام جليل في الزهد، والمواعظ والحكم. كان يقال له: لقمان هذه الأرض. مات ٢٣٧هـ. انظر «السير» ١١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٧.

قوله ﷺ: «وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً»

هذا منتزع من قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[2]..

وروى حُميد بن حماد بن أبي الخوار[3]: ثنا عائذ بن شريح: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي ﷺ جالساً وحياله جُحْرٌ، فقال: «لَوْ جَاءَ العُسْرُ فَدَخَلَ هذَا الجُحْرَ لَجَاءَ اليُسْرُ حتَّى يَدْخُلَ عليْهِ فَيُخْرِجَهُ». فأنزل الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

خرَّجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» وخرَّجه البزار في «مسنده» ولفظه: «لَوْ جَاءَ العسر حتى يدخل هذا الجُحْرَ لجاءَ اليُسر حتى يخرجه» ثم قال: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[4]. وحميد بن حماد هذا ضعفوه.

وخرَّج ابن أبي حاتم من رواية مبارك بن فضالة عن الحسن قال: كانوا يقولون: [لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين[5].

وخرَّج ابن جرير من رواية معمر عن الحسن قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يقول]: لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[6].

---

(١) الآية ٧ من سورة الطلاق.

(٢) الآيتان ٥، ٦ من سورة الانشراح.

(٣) حميد بن حماد، لين الحديث، مات ١١٥هـ، قاله ابن حجر في «التقريب» ص (١٨١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، والبزار في مسنده من حديث أنس. كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦١٦). ورواه أيضاً الطبراني في الأوسط، وابن مردويه في تفسيره، والبيهقي في الشعب كما ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦١٦). ورواه أيضاً الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٥٥ التفسير) من طريق محمود بن غيلان عن حميد بن حماد عن عائذ به. وأعله الحاكم بعائذ بن شريح. وقال الذهبي: تفرد به حميد بن حماد عن عائذ وحميد منكر الحديث كعائذ.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن به، كما ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦١٦).

(٦) انظر «تفسير ابن جرير» (جامع البيان ٣٠/ ٢٣٦) من طريق ابن ثور عن معمر به. وأخرجه أيضاً=

وخرَّجه أيضاً من رواية عوف ويونس عن الحسن مرسلاً أيضاً[(١)].

ومن حديث قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال: «لَنْ يغْلِبَ عُسْرٌ يُسرَيْنِ»[(٢)].

وروى ابن أبي الدنيا من حديث معاوية بن قرة عمّن حدثه، عن ابن مسعود قال: لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه ثم قال: قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[(٣)].

ومن حديث عبدالرحمن[(٤)] بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، أن أبا عبيدة حُصر فكتب إليه عمر يقول: مهما ينزل بامرىء من شدة [إلا] يجعل الله له بعدها فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإنه يقول: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾[(٥)(٦)].

وكذا قال ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية: لن يغلب عسر يسرين.

كان بعض المتقدمين ليلة في البادية في غم شديد فألقي في روعه بيت من الشعر، فقال:

= الحاكم ٢/ ٥٢٨، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٠١٣)، من طريق عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن مرسلاً. انظر «المقاصد الحسنة» رقم (٨٧٧). وقد توسع في تخريجه العجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ١٤٩ رقم (٢٧٩) فمن أراد التفصيل فليراجع هناك.

(١) انظر «تفسير ابن جرير الطبري» المسمى «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٦.

(٢) رواه ابن جرير في المصدر السابق ١٥/ ٢٣٦ من طريق سعيد عن قتادة، وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦١٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» رقم (٣٠) ص (٨ ـ ٩).

(٤) كان في الأصل: (عبدالله) والصواب ما أثبته والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» رقم (٣١) ص (٩) قال السيوطي في «الدر» ٦/ ٣٦٤: أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف.

(٦) الآية ١٠ من سورة آل عمران.

أرَى المَــوْتَ لمَـــنْ أصْبَـــحَ مَغْمـــومـــاً لَـــهُ أصْلَـــحُ

فلما جنَّ عليه الليل سمع هاتفاً يهتف:

ألاَ يـــا أيُّهَـــا المَـــرْءُ الـــذي الهـــمُّ بِـــهِ بَـــرَّحْ
وقَـــدْ أنْشَـــدَ بيْتـــاً لَـــمْ يَـــزَلْ فـــي ذِكْـــرِهِ يَسْبَـــحْ
إذَا اشْتَـــدَّ بِـــكَ العُسْـــرُ فَفَكِّـــرْ فـــي أَلَـــمْ نَشْـــرَحْ
فَعُسْـــرٌ بيْـــنَ يُسْـــرَيْـــنِ إذَا أبْصَـــرْتَـــهُ فَـــافْـــرَحْ

قال: فحفظت الأبيات، وفرج الله غمي.

وقد أكثر الشعراء من القول في هذا المعنى، و[نحن] نذكر قطعة منتخبة من محاسن ما قيل في ذلك:

تَصَبَّـــرْ إنَّ عُقْبَـــى الصَّبْـــرِ خَيْـــرٌ ولاَ تَجْـــزَعْ لِنَـــائِبَـــةٍ تَنُـــوبُ
فَـــإنَّ اليُسْـــرَ بَعْـــدَ العُسْـــرِ يَـــأْتِـــي وَعِنْـــدَ الضِّيـــقَ تَنْكَشِـــفُ الكُـــرُوبُ

[ولبعضهم]:

وكَـــمْ جـــزِعَـــت نُفُـــوسٌ عَـــنْ أمُـــورٍ أتَـــى مِـــنْ دُونِهَـــا فَـــرَجٌ قَـــرِيـــبُ

ولبعضهم:

عَسَـــى فَـــرَجٌ يَكُـــونُ عَسَـــا نُعَلِّـــلُ أنْفُســـاً بِعَسَـــى
وأقْـــرَبُ مَـــا يَكُـــونُ المَـــرْءُ مِـــنْ فَـــرَجٍ إذَا يَئِسَـــا

ولغيره:

إذَا تَضَـــايَـــقَ أمْـــرٌ فَـــانْتَظِـــرْ فَـــرَجـــاً فَـــأضْيَـــقُ الأمْـــرِ أدْنَـــاهُ مِـــنَ الفَـــرَجِ

ولبعضهم:

فَـــلاَ تَجْـــزَعْ وإنْ أعْسَـــرْتَ يَـــوْمـــاً فَقَـــدْ أيْسَـــرْتَ فـــي الـــزَّمَـــنِ الطَّـــويـــلِ
ولاَ تَظْنُـــنْ بِـــرَبِّـــك ظَـــنَّ سُـــوءٍ فَـــإنَّ الله أوْلَـــى بِـــالجَمِيـــلِ
ولا تَيْـــأسْ فَـــإنَّ اليَـــأسَ كُفْـــرٌ لَعَـــلَّ الله يُغْنِـــي عَـــنْ قَليـــلِ

فَــإِنَّ العُسْــرَ يَتْبَعُــهُ يَسَــارٌ   وقِيــلَ: الله أَصْــدَقُ كُــلِّ قِيــلِ

ولبعضهم:

مِفْتَــاحُ بَــابِ الفَــرَجِ الصَّبْــرُ   وكُــلُّ عُسْــرٍ بَعْــدَهُ يُسْــرُ
والــدَّهْــرُ لاَ يَبْقَــى عَلَــى حَـالَـةٍ   والأَمْــرُ يــأْتِـي بَعْــدَهُ الأَمْــرُ

ولغيره:

إِذَا اشْتَمَلَـتْ عَلَى اليَـأْسِ القُلُـوبُ   وضَـاقَ لِمَـا بِـهِ الصَّـدْرُ الـرَّحِيـبُ
وأَوْطَــأَتِ المَكَــارِهُ واطْمَــأَنَّــتْ   وأَرْسَـتْ فـي أَمـاكِنِهَـا الخُطُـوبُ
ولَــمْ تَــرَ لانكِشَـافِ الضُّـرِّ وَجْهـاً   ولا أَغْنَــى بِحِيلَتِــهِ الأَرِيــبُ
أَتَــاكَ عَلَــى قُنُــوطٍ مِنْـكَ غَــوْثٌ   يَمُــنُّ بِــهِ اللطِيــفُ المُسْتَجِيــبُ
وكُــلُّ الحَــادِثَــاتِ وإِنْ تَنَـاهَــتْ   فَمَــوصُــولٌ بِهَـا الفَـرَجُ القَـرِيـبُ

ولبعضهم:

عَسَى مَا تَرَى أَنْ لا يَدُومَ وأَنْ تَرَى   لَـهُ فَـرَجـاً مِمَّـا أَلَـجَّ بِـهِ الـدَّهْـرُ
عَسَــى فَــرَجٌ يَــأْتِـي بِــهِ الله إِنَّــهُ   لَــهُ كُــلَّ يَــوْمٍ فـي خَلِيقَتِـهِ أَمْـرُ
إِذَا لاحَ عُسْــرٌ فَــارْجُ يُسْــراً فــإِنَّــهُ   قَضَـى الله أَنَّ العُسْـرَ يَتْبَعُـهُ اليُسْـرُ

ولنختم الكتاب بذكر نبذة يسيرة من لطائف البلايا وفوائدها وحكمها.

فمنها: تكفير الخطايا بها، والثواب على الصبر عليها، وهل يثاب على البلايا بنفسه؟ فيه اختلاف بين العلماء.

ومنها: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عز وجل.

ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها.

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له.

ومنها: انكساره لله عز وجل وذله له، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

ومنها: أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله عز وجل، والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد البلاء، وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾(١).

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٢).

وفي بعض الكتب السابقة: إن الله تعالى ليبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه.

وقال سعيد بن عبدالعزيز(٣): قال داود ـ عليه السلام ـ: سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء(٤)، وسبحان مستخرج الشكر بالرخاء.

ومرَّ أبو جعفر محمد [بن علي بمحمد] بن المنكدر وهو مغموم فسأل عن سبب غمه، فقيل له: الدَّيْن قد فدحه. فقال أبو جعفر: أفتح له في الدعاء؟ قيل: نعم. قال: لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها من دعاء ربه [كائنة ما كانت].

وكان بعضهم إذا فتح له في الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن ينقطع عما فتح له.

وقال ثابت: إذا دعا الله المؤمن بدعوة وكَّل الله جبريل بحاجته فيقول الله: لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن.

وروي مرفوعاً من وجوه ضعيفة(٥).

---

(١) الآية ٧٦ من سورة المؤمنون.

(٢) الآية ٤٣ من سورة الأنعام.

(٣) هو سعيد بن عبدالعزيز بن أبي يحيى أبو محمد التنوخي الإمام القدوة، وقد جمع الطبراني مروياته في جزء، مات ١٦٧هـ، انظر «السير» ٨/ ٣٢.

(٤) في الأصل البلاء بالدعاء.

(٥) قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ١٥٤: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه إسحاق بن عبدالله بن=

رأى بعض السلف رب العزة في نومه فقال: يا رب، كم أدعوك، ولا تجيبني؟ قال: إني أحب أن أسمع صوتك.

ومنها: أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به، وذلك مقام عظيم جدًّا، وقد تقدمت الإشارة إلى فضل ذلك وشرفه.

ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى مخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمن؟!

فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه، وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات.

وفي الإسرائيليات يقول الله عز وجل: البلاء يجمع بيني وبينك، والعافية تجمع بينك وبين نفسك.

فصـــــل

وإذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذ قريباً في الغالب.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[1]، وقال: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[2]، وأخبر عن يعقوب ـ عليه السلام ـ أنه لم ييأس من لقاء يوسف، وقال لإخوته: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾[3]،

= أبي فروة، وهو متروك.

(١) الآية ١١٠ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٢١٤ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٨٧ من سورة يوسف.

وقال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾(١).

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب أن الكرب: إذا اشتد وعظم وتناهى وجد الإياس من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق بالخالق وحده، ومن انقطع عن التعلق بالخلائق وتعلق بالخالق، استجاب الله له وكشف عنه. فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين، كما قال الإمام أحمد، واستدل عليه بقول إبراهيم لما عرض له جبريل في الهواء، وقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا(٢).

والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٣).

قال الفضيل: والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كل ما تريد.

ومنها: أن العبد إذا اشتد عليه الكرب فإنه يحتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان، لأنه يأتيه فيقنطه [ويسخطه]، فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه، فيكون ثواب مجاهدة عدوه ودفعه: دفع البلاء عنه.

ولهذا في الحديث الصحيح: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُم ما لَمْ يُعَجِّل، فيَقُول: قَد دَعَوتُ فَلَم يَسْتَجِب لي، فيَدَع الدُّعَاءَ»(٤).

ومنها: أن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولاسيما بعد كثرة دعائه

---

(١) الآية ٨٣ من سورة يوسف.

(٢) قال الألباني في «الأحاديث الضعيفة» رقم (٢١): لا أصل له. أورده بعضهم من قول إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع.

(٣) الآية ٣ من سورة الطلاق.

(٤) رواه البخاري (٧/ ١٥٣ الدعوات)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٥ ح ٢٧٣٥ الذكر والدعاء) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بدون قوله: «فيدع الدعاء». وذكره مسلم في رواية أخرى (٤/ ٢٠٩٦).

وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها: إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت.

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير [من] الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه فلذلك يسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، على قدر الكسر يكون الجبر.

قال وهب[1]: تعبد رجل زماناً ثم بدت له إلى الله حاجة فصام سبعين سبتاً يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت، لو كان فيك خيراً أعطيت حاجتك. فنزل إليه عند ذلك ملك، فقال: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك.

أهين لهم نفسي لكي يكرِمونَها ... ولن تُكرَم النفس التي لا تهينها

فمن تحقق هذا وعرفه وشاهده بقلبه، علم أن نعم الله على عبده المؤمن بالبلاء أعظم من نعمه في الرخاء، وهذا تحقيق معنى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «لا يَقْضي للمُؤمِنِ قَضَاءً إلاَّ كَانَ خَيْراً لَهُ، إن أَصابَتْهُ سَرَّاء فَشَكَر كَانَ خَيْراً لهُ، وإنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاء صَبَرَ كانَ خَيْراً لَهُ، ولَيسَ ذَلِكَ إلاَّ للمُؤْمِنِ»[2].

ومن هاهنا كان العارفون بالله لا يختارون إحدى الحالتين على الأخرى، بل أيهما قدر الله رضوا به وقاموا بعبوديته اللائقة به.

وفي «المسند» والترمذي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عَرَضَ عليَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً فَقُلْتُ: لاَ يَا رَبِّ، ولكِنْ أَشْبَعُ يوماً، وأَجُوعُ يَوْماً فإذَا جُعْتُ تَضَرَّعتُ إليكَ وذَكَرْتُكَ، وإذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وحَمِدْتُكَ»[3].

---

(١) هو وهب بن منبه بن كامل أبو عبدالله الصنعاني، انظر ترجمته في «السير» ٤/ ٥٤٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٥ ح ٢٩٩٩ الزهد) من حديث صهيب به.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٥٤)، والترمذي (٤/ ٥ ح ٢٤٥١ الزهد) من طريق يحيى بن أيوب عن =

وقال عمر: ما أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره؛ لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره؟

وقال عمر بن عبدالعزيز: أصبحت [يوماً] وما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر.

يا هذا لِمَ نستدعيك إلينا وأنت تفر منا! نسبغ عليك النعم فتشتغل بها عنا وتنسانا! فنفرغ عليك البلاء لترد إلينا! وتقف على بابنا، ونسمع تضرعك! البلاء يجمع بيننا وبينك! والعافية تجمع بينك وبين نفسك!

إن جَـرَى بَيْنَنَـا وبَيْنَـكَ عَتْـبٌ ... أو تَنَـاءَتْ مِنَّـا ومِنـكَ الـدِّيَـارُ
فَـالـوِدَادُ الـذِي عَهِـدْتَ مُقِيـمٌ ... والأيَـادِي التِـي عَهِـدْتَ غِـزَارُ
كَمْ لَنَا فِي طَيِّ البَلَايَا مِنْ مِنَحٍ ... وعَطَـايَـاكَ وفـي الـزَّوايَـا خَبَـايَـا

يا هذا! إن شكرت نعمنا عليك فتوفيقك للشرك من جملة نعمنا فاشكره! وإن صبرت على بلائنا فالصبر من جملة فضلنا فاذكره! فكل ما تتقلب فيه فهو من نعمنا فلا تكفره! ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾(١).

إذَا كَـانَ شُكْـرِي نِعْمَـةَ الله نِعْمَـةً ... عَلَـيَّ لَـهُ فِـي مِثْلِهَـا يَجِـبُ الشُّكـرُ
فَكَيْـفَ وُقُـوعُ الشُّكْـرِ إلاَّ بِفَضْلِـهِ ... وإنْ طَـالَـتِ الأيَـامُ واتَّصَل العُمْـرُ
إذَا مَـسَّ بـالسَّـرَّاءِ عَـمَّ سُـرُورُهَـا ... وإنْ مَـسَّ بـالضَّـرَّاءِ أعْقَبَهَـا الأجْـرُ
ومَـا مِنْهُمَـا إلاَّ لَـهُ فيـهِ مِنَّـةٌ ... تَضِيـقُ لهَـا الأوْهَـامُ والبَـرُّ والبَحْـرُ

والحمد لله وحده، وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً يا رب العالمين.

= عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث ويكنى أبا عبدالملك.

(١) الآية ٣٤ من سورة إبراهيم.

ووافق الفراغ منه في ليلة يَسْفِر صباحُها عن ليلة الثلاثاء، خامس شهر ربيع الأول من شهور سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة، على يد فقير عفو ربه الممجَّد عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي عامله الله بلطفه الخفي، لمحمد وآله وغفر له ولوالديه ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة وحسن الخاتمة، إنه به برٌّ رحيم جواد لا يخيّب من دعاه.

* * *

الرسالة الثالثة

كلمة الإخلاص

وتحقيق معناها

للإمام الحافظ الفقيه أبي الفرج عبدالرحمن
ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي
(٧٩٥هـ)

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه:

محمد العمري أبو عبدالله



بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله على الإنسان نعمة الإسلام، وأساسه التوحيد الخالص الذي فطر الناس عليه، وبعث بتبليغه الأنبياء والرسل، وجعله فارقاً بين الكفر والإيمان.

وهو جامع السعادة ومجتمع الطاعة في الدنيا، ومفتاح الجنة في الآخرة متمثلا في كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فهذه الكلمة الصغيرة جامعة لبشارات كثيرة فمن قالها خالصاً من قلبه، يبتغي بذلك وجه الله: حفظَ نفسه من النار بفضل من الله ونال رضاه، وفاز بجنة النعيم. جعلنا الله ممن يسعد بها ووفقنا للتمسك بالتوحيد الخالص وعقيدة الأنبياء والمرسلين، آمين.

فهذه الرسالة الجليلة التي نقدمها إلى القراء الكرام ـ في حلتها الجديدة إن شاء الله ـ مشتملة على شرح كلمة الإخلاص وتحقيق معناها للإمام الحافظ الواعظ البليغ العلامة عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن محمد أبو الفرج البغدادي الشهير بابن رجب الحنبلي ـ تغمده الله بواسع رحمته وعظيم مغفرته ـ أرشد بها الناس إلى الأساس العظيم، وشرح لهم معنى التوحيد، وبين متطلباته وشوَّقهم إلى نيل ثماره. وذكَّرهم بالتمسك به والعض عليه بالنواجذ، والاعتصام به، والعمل بموجبه. وقد قال الله عز وجل: ﴿وذكّرهم فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾.

وقال أيضاً: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾.

وهذه الحقائق العظيمة والكنوز الثمينة تحفة غالية أتحف بها المؤلف من خلال هذه الرسالة الصغيرة في أسلوب الوعظ والتنبيه، والنصيحة والإرشاد، وهو فارس هذا الميدان وقد أنعم الله عليه بذكاء خارق، وقوة نادرة في فنون كثيرة من العلم والمعرفة. وهذه الرسالة رغم حجمها الصغير اشتملت على فوائد كبيرة. مثل مؤلفاته التي تزخر بالفوائد والمعارف.

ثم إن هذا السفر النفيس شمل نصائح قيمة، وإرشادات عظيمة ووصايا عالية في باب العقيدة الإسلامية والتوحيد الخالص ـ الذي يعتبر روح الإسـلام ـ في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.



وهو حسبي، وبه أستعين

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام زين الدين ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ:

في «الصحيحين» عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ ومُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، فقالَ: «يا مُعاذُ!» قالَ: لبَّيكَ يا رَسُولَ الله، وسَعْدَيْكَ! قالَ: «يَا مُعاذُ!» قالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، وسَعْدَيْكَ! قالَ: «يا مُعَاذُ!» قالَ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ الله وسَعْدَيْكَ! قالَ:

«ما مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أن لا إلَهَ إلاَّ الله، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، إلاَّ حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ» قالَ: يا رَسُولَ الله! ألاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسِ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قالَ: «إذاً يَتَّكِلُوا» فأَخْبَرَ بِهَا مُعاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأثُّماً[(١)].

وفي «الصحيحين» عن عتْبانَ بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «إنَّ الله حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قالَ: لا إلَهَ إلاَّ الله يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ الله»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ أو أبي سعيد بالشك ـ أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فأصابتهم مَجاعَةٌ، فدعا النبي ﷺ

---

(١) انظر صحيح البخاري (١/ ٤١ العلم)، وصحيح مسلم (١/ ٥٨ح ٣٠ الإيمان) من طريق قتادة عن أنس، وهذا لفظ البخاري.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٠ الصلاة، ٢/ ٥٦ التهجد)، ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ح ٣٣ المساجد) كلاهما من طريق الزهري عن محمود بن الربيع عن عتبان به في حديث طويل له قصة.

بِنِطْعٍ(١)، فَبَسَطهُ، ثم دعا بفضلِ أزوادهم، فجعل الرجلُ يَجيءُ بكفّ ذُرَة، ويجيءُ الآخرُ بكفٍّ تمرٍ، ويجيءُ الآخرُ بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبَرَكة، ثم قال: «خُذُوا في أوْعِيَتِكُم»؛ فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤهُ، فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أشْهَدُ أن لا إلَهِ إلاَّ الله، وأنّي رَسُولُ الله، لا يَلْقَى الله بهمَا عَبْدٌ ـ غَيْرَ شَاكٍّ ـ فيهمَا فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ»(٢).

وفي «الصحيحين» عن أبي ذر(٣) ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ قالَ: لا إلهَ إلاَّ الله، ثُمَّ مات عَلَى ذَلِكَ إلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ»، قُلْتُ: وإنْ زَنى، وإنْ سَرَق؟! قال: «وإنْ زَنَى، وإنْ سَرَق»، قُلْتُ: وإنْ زَنى وإنْ سَرَق؟! قالَ: «وإنْ زَنَى وإنْ سَرَق». قالها ثلاثاً. ثمَّ قالَ في الرَّابِعَةِ: «عَلى رَغْمِ أنْف أبِي ذَرّ»؛ قال: فخَرَجَ أبو ذَرٍّ وهُوَ يَقُولُ: وإنْ رَغِمَ أنفُ أبِي ذَرٍّ(٤).

وفي «صحيح مسلم» عن عبادة بن الصامت أنه قال عند موته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ شَهِدَ أنَّ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، حَرَّم الله عَلَيْهِ النَّارَ»(٥).

---

(١) نِطعٌ: بساط من الجلد، وله معان أخرى غيره. انظر النهاية (٥/ ٧٤)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٣٠).

(٢) انظر: صحيح مسلم (١/ ٥٦ ح ٢٧ الإيمان) من طريق أبي صالح، عن أبي هريرة أو أبي سعيد (شك الأعمش).

(٣) هو مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن الغفاري. من السابقين إلى الإسلام، الزاهد المشهور، صادق اللهجة، مات بالربذة ٣١هـ. انظر: الإصابة (٧/ ٦٠ ـ ٦٢).

(٤) انظر صحيح البخاري (٧/ ٤٣ اللباس) وصحيح مسلم (١/ ٩٥ ح ٩٤ الإيمان) من طريق أبي الأسود الديلي عنه.
ورواه أيضاً البخاري (٢/ ٦٩ الجنائز، ٨/ ١٩٦ التوحيد)، ومسلم (١/ ٩٤) كلاهما من طريق المعرور بن سويد عنه بأصل الحديث دون ذكر القصة، وفيه: «أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

(٥) (١/ ٥٨ ح ٢٩ الإيمان) من طريق الصنابحي عن عبادة به بقصة أطول مما وردهنا.

وفي «الصحيحين» عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ أنْ لاَ إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأنَّ عيسى عبدُالله ورَسُولُهُ، وكَلِمَتُهُ أَلْقاهَا إلى مَرْيَم، ورُوحٌ مِنْهُ، وأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ والنَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ الله الجنَّةَ، على مَا كانَ مِنْ عَمَلٍ»(١).

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة جدًّا يطول ذكرها.

وأحاديث هذا الباب نوعان:

أحدهما: ما فيه أنَّ من يأتي بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها، وهذا ظاهر؛ فإن النار لا يخلَّد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، وقد يدخل الجنة ولا يُحْجَبُ عنها إذا طُهِّر من ذنوبه بالنار.

وحديث أبي ذر [في] معناه: أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مِرْيَةَ فيه، ليس فيه أنه لا يعذَّب عليهما مع التوحيد.

وفي «مسند البزار»(٢) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «مَنْ قالَ: لا إله إلاَّ الله نَفَعَتْهُ يَوْماً مِنْ دَهْرِهِ، يُصيبهُ قَبْلَ ذلكَ ما أصابَهُ»(٣).

والثاني: ما فيه أنه يحرم على النار، وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها، أو على نار يخلَّد فيها أهلُها، وهي ما عدا الدرك الأعلى، فإن الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين، بذنوبهم، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين،

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٣٩ الأنبياء)، ومسلم (١/ ٥٧ ح ٢٨ الإيمان)، كلاهما من طريق جنادة بن أبي أمية عن عبادة. وهذا لفظ البخاري، وعند مسلم: «... من أي أبواب الجنة الثمانية»، وكذا ورد عن البخاري في رواية أخرى عنده.

(٢) هو أحمد بن عمرو بن عبدالخالق أبو بكر الحافظ الإمام، البزار البصري، توفي في الرملة سنة ٢٩٢هـ، له مسندان، أحدهما كبير سماه «البحر الزاخر» والثاني صغير. وثقه الدارقطني وقال: يخطىء ويتكل على حفظه، وجرَّحه النسائي، انظر السير (١٣/ ٥٥٤).

(٣) لم أجده في القدر المطبوع من مسنده المسمى بـ «البحر الزخار» وإنما ذكره السيوطي في «الجامع الصغير» وعزاه إلى البزار في «مسنده»، والبيهقي في «شعبه». انظر الفتح الكبير ٣/ ٢٢٠.

وبرحمة أرحم الراحمين.

وفي «الصحيحين»: «إنَّ الله تعالى يَقولُ: وعِزَّتي وجَلالِي لأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قالَ: لا إلهَ إلا الله»[1].

وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سببٌ لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه؛ لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع؛ وهذا قول الحسن، ووهب بن منبه[2] وهو الأظهر.

وقال الحسن للفرزدق[3] وهو يدفن امرأته: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادةَ أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نِعْمَ العُدَّة. لكن لـ «لا إله إلا الله»، شروطاً، فإياك وقذفَ المحصنة!

وروي عنه أنه قال للفرزدق: هذا العمود فأين الطُّنُبُ[4].

وقيل للحسن: إن ناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليسَ لا إله إلا الله مِفتاحُ الجنَّة؟ قال: بلى، ولكنْ ليس مِفتاحٌ إلا ولهُ أسنانٌ، فإنْ جِئت بمفتاحٍ له أسنانٌ فُتحَ لكَ، وإلا لمْ

---

(١) هو جزء من حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري (٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢ التوحيد)، ومسلم (١/ ١٨٤ ح ١٩٣ الإيمان) عن أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذاك لك، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي.. الحديث». وهذا لفظ مسلم والبخاري. قوله: «جلالي»، لم يرد في مسلم.

(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني أبو عبدالله الأبناوي. ثقة، مات سنة مائة وبضع عشرة، انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٩).

(٣) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي، الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر، ولد سنة ١٩هـ ونشأ بالبصرة، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل. توفي سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠).

(٤) الطُّنُبُ: حبل طويل يُشدُّ به سرادق البيت أو الوتد. انظر القاموس ص (١٤٠).

يُفتح لك[١].

وفي هذا الحديث: «إنَّ مِفْتاحَ الجنَّةِ لا إله إلاَّ الله»، خرَّجه الإمام أحمد بإسناد منقطع[٢].

عن معاذ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذَا سألَكَ أهْلُ اليَمَنِ عَنْ مِفْتاحِ الجَنَّةِ فَقُلْ: شَهَادةُ أنْ لا إله إلاَّ الله»[٣].

ويدل على صحة هذا القول، أن النبي ﷺ رتَّب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص. كما في «الصحيحين» عن أبي أيوب[٤] أن رجلاً قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يُدخلني الجنة. فقال: «تعبدُ الله لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيئاً، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ»[٥].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله! دُلَّني على عمل إذا عملتُه دخلت الجنة. قال: «تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ بِهِ شيئاً، وتُقيمُ الصَّلاةَ المَكْتوبَةَ، وتُؤدِّي الزَّكاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ». فقال الرجل: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا شيئاً، ولا أنقص منه. فقال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِنْ أهْلِ الجنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إلى هَذَا»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٩ الجنائز) في ترجمة الباب معلقاً على وهب بن منبه بلفظه.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٢) من طريق شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال: قال لي رسول الله ﷺ: مفاتيح الجنة . . . الحديث. قلت: وإسناده منقطع كما قال المؤلف؛ لأن شهراً لم يسمع من معاذ بن جبل. قال البزار: لم يسمع من معاذ. انظر «التهذيب» ٤/ ٣٧١.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، فلعله الذي تقدم آنفاً، والله أعلم.

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي. معروف باسمه وكنيته، من السابقين، وشهد بدراً والعقبة الثانية والمشاهد كلها، توفي سنة ٥٠ في غزاة القسطنطينية. انظر: الإصابة (٢/ ٨٩).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩ الزكاة) ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣ ح ١٣ الإيمان) كلاهما من طريق موسى بن طلحة عنه. وهذا لفظ البخاري.

(٦) رواه مسلم (١/ ٤٤ ح ١٤ الإيمان) من طريق أبي زرعة عنه به، وأن عنده أعرابيًا بدل قوله: =

وفي «المسند» عن بشير ابن الخَصَاصية[1] قال: أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ لأُبَايِعَهُ فَاشْتَرَطَ عليَّ: **شَهَادَةَ أَنَّ لا إله إلاَّ الله، وأَنَّ مُحَمَّداً عبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأَنْ أُقِيمَ الصَّلاةَ، وأَنْ أوتي الزَّكاةَ، وأَنْ أَحُجَّ حِجَّة الإِسْلام، وأَنْ أصومَ رَمَضَانَ، وأَنْ أُجاهِدَ في سَبيلِ الله**. فقُلْتُ: يا رسولَ الله! أَمَّا اثْنَتَيْنِ فوالله لا أَطيقهما: الجِهَادُ والصَّدَقَةُ [فإِنَّهُمْ زَعَموا أنَّه مَنْ ولَّى الدُّبُرَ فقدْ باءَ بغضَبٍ مِنَ الله، فأَخَافُ إِنْ حَضَرْتُ تِلكَ جَشِعَتْ نَفْسي وكَرِهَت الموْتَ، والصَّدَقَةَ فوالله مالِي إلاَّ غُنيمَةٌ، وعَشْرُ ذَودٍ هُنَّ رُسُلُ أَهْلي وحُمُولَتُهُنَّ، قَالَ][2] فَقَبضَ رسولُ الله ﷺ يَدَهُ ثُمَّ حرَّكَهَا، ثُمَّ قالَ: **فَلا جِهادَ ولاَ صَدَقَةَ، فبِمَ تَدْخُلُ الجَنَّةَ إذاً؟**»، قُلْتُ: يا رَسُولَ الله أنا أُبايُعكَ، فبَايَعْتُهُ عليْهِنَّ كُلِّهِنَّ»[3].

ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج.

ونظير هذا أن النبي ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلاَّ الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله**»[4].

ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة، وفهم الصِّدِّيق أنه لا يمتنع

= رجلاً. ورواه البخاري أيضاً (٢/ ١٠٩ الزكاة).

(١) هو بشير بن معبد بن شراحيل بن سبيع السدوسي المعروف بابن الخصاصية، وحديثه في الأدب المفرد للبخاري، والسنن. انظر: الإصابة (١/ ١٦٤).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من «المسند».

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٤) من طريق أبي المثنى العبدي ـ واسمه مؤثر بن عفارة، عن بشير به، ومؤثر مجهول. ورواه الحاكم ٢/ ٨٠ الجهاد، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه (١/ ١١ ـ ١٢ الإيمان)، والإمام مسلم في صحيحه (١/ ٥٣ ح ٢٢ الإيمان) كلاهما من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ به. وهذا لفظ البخاري. وتمام الحديث هو: «... ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله».

قتالُه إلا بأداء حقوقها، لقوله ﷺ: «فَإذَا فَعَلُوا ذلكَ مَنَعُوا دِمَاءَهُمْ وأمْوالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّها [وحِسابُهُمْ علَى الله]»، وقال: الزكاة حق المال. وهذا الذي فهمه الصِّدِّيق. قد رواه عن النبي ﷺ صريحاً غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما، وأنه قال: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ مُحمداً رَسُولُ الله، ويُقيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤتُوا الزَّكاةَ»[1].

وقد دل على ذلك قولُه تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾[2] كما دل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾[3] على أن الأخوة [في الدين] لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، فإن التوبة من الشرك، لا تحصل إلا بالتوحيد.

ولما قرَّر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله، ورأوه صواباً.

فإذا عُلم أن عقوبة الدنيا لا ترفع عمن أدَّى الشهادتين مطلقاً، بل قد يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة.

وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولاً وما في معناها، كانت قبل نزول الفرائض والحدود، منهم الزهري[4] والثوري[5] وغيرهما، وهذا بعيد جدًّا، فإن كثيراً منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك، وهي في آخر حياة النبي ﷺ.

---

(١) انظر الحديث المروي عن ابن عمر في صحيح مسلم (١/ ٥٣ ح الإيمان). والحديث المروي عن أنس في «صحيح البخاري» (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣ الصلاة).

(٢) الآية ٥ من سورة التوبة.

(٣) الآية ١١ من سورة التوبة.

(٤) هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله أبو بكر القرشي الزهري الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه. مات سنة ١٢٥هـ. انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٧).

(٥) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبدالله الكوفي ثقة حافظ فقيه، عابد إمام حجة. وكان ربما دلّس. مات سنة ١٦١هـ وله ٩٤. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٣١١).

وهؤلاء منهم من يقول في هذه الأحاديث إنها منسوخة.

ومنهم من يقول: هي مُحكَمة، ولكن ضم إليها شرائط، ويلتفت هذا إلى أن الزيادة على النص: هل هي نسخ [أم لا؟]. والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور.

وقد صرّح الثوري وغيره بأنها منسوخة، [وأنه] نسخها الفرائضُ والحدودُ، وقد يكون مرادهم بالنسخ: البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يُطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً، ويكون مقصودهم أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقفُ دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم، فصارت تلك النصوص منسوخة، أي: مبيَّنة مفسَّرة، ونصوص الفرائض والحدود ناسخة أي: مفسِّرة لمعنى تلك، موضِّحة لها.

وقالت [طائفة] تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيَّدة في أحاديث أُخَرى، ففي بعضها: «مَنْ قالَ: لا إله إلاَّ الله مُخْلِصاً»(١)، وفي بعضها: «مُسْتَيقِناً»، وفي بعضها: «يُصَدِّقْ قلبه لِسَانُهُ» وفي بعضها: «يَقُولُها مِنْ قَلْبِهِ»، وفي بعضها: «قَدْ دَلَّ بِهَا لِسَانُهُ واطمَأَنَّ بها قَلْبُهُ». وهذا كله إشارة إلى عمل القلب، وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحقيقُهُ بقول: لا إله إلا الله أن لا يأله القلب غيرَ الله حبًّا ورجاءً، وخوفاً، وتوكلاً واستعانة، وخضوعاً وإنابة، وطلباً.

وتحقيقه بأن محمداً رسول الله، ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان رسوله محمد ﷺ.

وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ صريحاً أنه قال: «مَنْ قالَ: لا إلهَ إلاَّ الله مُخْلِصاً دَخَلَ الجنَّة»(١). قِيلَ: مَا إخْلاصُهَا يا رَسُولَ الله!؟ قال: أَنْ تَحْجُزَكَ عَمَّا حَرَّمَ الله عَلَيْكَ».

(١) رواه البزار من حديث أبي سعيد. كما ذكره النبهاني في الفتح (٣/ ٢٢٠).

وهذا يُروى من حديث أنس بن مالك(١)، وزيد بن أرقم، ولكن إسنادهما لا يصح.

وجاء أيضاً من مراسيل الحسن بنحوه.

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله [هو] الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ـ عز وجل ـ فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي [هي] من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله: لا إله إلا الله، ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد في صحيح إطلاق الشرك على الرياء، وعلى الحلف بغير الله، وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد عليه، وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان(٢)، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت؛ وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطِّيرة، والرُّقَى المكروهة، وإتيان الكُهَّان وتصديقهم بما يقولون، وكذلك اتِّباع هوى النفس فيما نهى الله عنه، قادحٌ في تمام التوحيد وكماله.

ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس بما هو كفر وشرك؛ كقتال المسلم، ومن أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملّة بالكلية.

---

(١) حديث أنس رواه أحمد ٣/١٧٨ في حديث الشفاعة بلفظ: يا محمد أدخل من أمتك... من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً.

(٢) كما في حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ الذي رواه أحمد في «المسند» ٥/ ٣٨٤، وأبو داود رقم (٤٩٨٠) في الأدب بلفظ: «لا تقولوا ما شاءالله وشاء فلان. قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان».

ولهذا قال السلف: كُفر دون كفر، وشرك دون شرك.

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتَّبع، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(١). وقال الحسن: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه، وقال قتادة: هو الذي كلما هَوِيَ شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاهُ، لا يحجُزه عن ذلك ورعٌ ولا تقوى.

ورُوِيَ من حديث أبي أمامة(٢) مرفوعاً ـ بإسناد ضعيف ـ: «ما تَحْتَ ظِلِّ السَّماءِ إلهٌ يُعْبَدُ أعظمُ عِنْدَ الله مِنْ هَوَىً مُتَّبَعٍ»(٣).

وفي حديث آخر: «لا تَزَالُ لا إله إلاَّ الله تَدْفَعُ عَنْ أَصْحابِهَا حتَّى يُؤْثِروا دُنْيَاهُمْ على دِينِهِمْ، فَإذا فَعَلُوا ذَلِكَ رُدَّتْ عَلَيْهِمْ، وقِيلَ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ»(٤).

ويشهد لذلك الحديثُ الصحيح عن النبي ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبْدُ القَطيفَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَميصَةِ، تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ»(٥).

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الجاثية.

(٢) هو صدي بن عجلان الباهلي، صحابي مشهور بكنيته، كان مع علي بصفين، توفي ٨٦هـ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، الإصابة (٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨ح ٣) والطبراني في الكبير (٨/ ١٠٣ ح ٧٥٠٢) وذكره الهيثمي في المجمع ١/ ١٩٣) قال: وفيه الحسن بن دينار وهو متروك. وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٣٩)، والديلمي في الفردوس (٤/ ١٠٦ ح ٦٣٣٥) كلهم من طريق راشد بن سعد عنه به إلا الديلمي فذكره عن أبي أمامة.

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفيه جماعة ضعاف، والحسن بن دينار والخصيب كذابان عند علماء النقل. وقال الألباني: موضوع، إسناده مسلسل بالمتروكين.

(٤) قال السيوطي في «الجامع الكبير»: رواه ابن النجار في «تاريخه» عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٢٣ الجهاد) من حديث أبي هريرة. وليس عنده: «تعس عبد القطيفة. وعجزه عنده: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، =

فدل هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطاعه، وكان غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله، وعادى لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه.

ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى سمَّى طاعة الشيطان في معصية عبادةً للشيطان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[1]. وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم أنه قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾[2]. فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته له، ولم يخلُص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن، وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[3]. فهم الذين حققوا قولَ: «لا إله إلاَّ الله»، وأخلصوا في قولها، وصدقوا قولهم بفعلهم، فلم يلتفتوا إلى غير الله محبةً ورجاءً، وخشية وطاعة وتوكلاً، وهم الذين صدقوا في قول: «لا إله إلا الله» وهم عباد الله حقًّا.

فأما من قال «لا إله إلا الله» بلسانه، ثم أطاع الشيطانَ وهواه في معصية الله [ومخالفته فقد كذَّب فعله قوله، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله] في

= إن كان في الحراسة كان في الحراسة... الحديث».

ورواه ابن ماجة أيضاً (٢/ ١٣٨٦ ح ٤١٣٥، ٤١٣٦) من حديث أبي هريرة بلفظين، في لفظه الأول ذكر عبد القطيفة.

وأما شرح الكلمات الغريبة فهو كالتالي:

- تَعِس: إذا عثر وانكب لوجهه. وقد تفتح العين، وهو دعاء عليه بالهلاك. النهاية (١/ ١٩٠).
- القطيفة: هي كساء له خَمْل: أي الذي يعمل لها ويهتم بتحصيلها. النهاية (٤/ ٨٤).
- الخميصة: هي ثوب خزّ أو صوف معلم، النهاية (٢/ ٨١).
- انتكس: انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة، النهاية (٥/ ١١٥)..
- انتقش: إذا دخلت فيه شوكة لأخرجها من موضعها، وبه سمي المِنْقاش الذي يُنْقَشُ به، النهاية (٥/ ١٠٦).

(١) الآية ٦٠ من سورة يس.

(٢) الآية ٤٤ من سورة مريم.

(٣) الآية ٤٢ من سورة الحجر.

طاعة الشيطان والهوى، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾[١]. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٢].

فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى، فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[٣]. تعس عبد الدرهم! تعس عبد الدينار! والله ما ينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده، ولم يلتفت معه إلى شيء من الأغيار، من علم أن إلهه ومعبوده فرد، فليُفْرده بالعبودية، ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً.

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه، على رأس جبل، فقال في كلامه: لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد، فانزعج واضطرب، حتى رأى أصحابه أن الصخور قد تدكدكت[٤]، وبقي على ذلك ساعات، فلما أفاق فكأنه نُشر من قبر.

قول: «لا إله إلا الله» تقتضي أن لا يحب سواه، فإن الإله هو الذي يطاع، محبة وخوفاً ورجاء، ومن تمام محبته محبةُ ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله، أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده ولا صدقه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[٥].

قال الليث[٦] عن مجاهد[٧] في قوله تعالى: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي

---

(١) الآية ٥٠ من سورة القصص.
(٢) الآية ٢٦ من سورة ص.
(٣) الآية ٣٩ من سورة يوسف.
(٤) الدَّكُّ: الأرض اللينة السهلة، تدكدكت أي صارت بمنزلة الأرض اللينة. المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٧١.
(٥) الآية ٢٨ من سورة محمد.
(٦) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، مات سنة ١٧٥ هـ. انظر: التقريب (١٣٨/٢ رقم ٨).
(٧) هو مجاهد بن جبر أو الحجاج المكي. ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة ١٠١هـ=

شَيْئًا﴾(١) قال: لا يحبون غيري.

وفي «صحيح الحاكم»(٢) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: **«الشِّرْكُ أخْفَى مِنْ دَبيبِ الذرِّ عَلَى الصَّفَا في الليْلَةِ الظَّلْماءِ، وأدْناهُ أنْ تُحِبَّ عَلَى شَيْء مِنَ الجُورِ، وتُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ العَدْلِ، وهَلِ الدِّينُ إلاَّ الحُبُّ والبُغْضُ؟ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾»**(٣).

وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى، الموالاةُ على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي.

وقال الحسن: اعلمْ أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته!

وسئل ذو النون(٤): متى أُحبُّ ربي؟ قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمرَّ من الصبر!

وقال بشر بن السري(٥): ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبُك!.

وقال [أبو] يعقوب النَّهرجَوْري(٦): كل من ادعى محبة الله ـ عز وجل ـ ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة.

= وقيل غير ذلك. انظر: التقريب (٢/ ٢٢٩ رقم ٩٢٢).

(١) الآية ٥٥ من سورة النور.

(٢) المستدرك على الصحيحين (٢/ ٢٩١ التفسير). وصححه الحاكم. وتعقب عليه الذهبي وقال: عبدالأعلى، قال الدارقطني: ليس بثقة.

(٣) الآية ٣١ من سورة آل عمران.

(٤) هو ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض الزاهد شيخ الديار المصرية، ولد في آخر أيام المنصور، كان عالماً فصيحاً حكيماً، توفي ٢٤٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣).

(٥) بشر بن السري الواعظ الزاهد أبو عمرو الزاهد العابد الإمام الحجة البصري، وثقه ابن معين وغيره. مات سنة ١٩٥ أو ١٩٦هـ. انظر: السير (٩/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤).

(٦) هو إسحاق بن محمد أبو يعقوب الصوفي النهرجوري الأستاذ العارف، صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي، ومات بمكة سنة ٣٣٠هـ. السير (١٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

وقال يحيى بن معاذ: ليسَ بصادقٍ من ادعى محبةَ الله ولم يحفظْ حدودَهُ.

وقال رويم[1]: المحبة والموافقة في جميع الأحوال، وأنشد:

وَلَوْ قُلْتَ لِي مُتْ مِتُّ سَمْعاً وطَاعَةً ... وقُلْتُ لدَاعِي المَوْتِ أهْلاً مَرحَباً

ويشهد لهذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

قال الحسن: قال أصحاب النبي ﷺ: إنا نحب ربنا حبًّا شديداً؛ فأحبَّ الله أن يجعل لحبه علماً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومن هاهنا يُعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله، إلا بشهادة أن محمداً رسول الله، فإنه إذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا من جهة محمد، المبلِّغ عن الله ما يحبه وما يكرهه [باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه]، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله ﷺ وتصديقه ومتابعته.

ولهذا قَرَنَ الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[3]. كما قرن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ في مواضع كثيرة.

وقال ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإيْمانِ: أَنْ يَكُونَ الله ورَسُولَهُ أَحَبُّ إليْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلاَّ لله، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ

---

(١) هو رويم بن أحمد بن يزيد أبو محمد البغدادي الصوفي، من جلة مشايخ بغداد، مات ٣٠٣هـ. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٠ رقم ٤٥٣٧).

(٢) الآية ٣١ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

يَرْجِعَ إلى الكُفْرِ بَعْدَ إذْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى في النَّارِ»[(١)].

وهذه حال السَّحرة لما سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم وقالوا لفرعون: اقضِ ما أنت قاضٍ!. ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب.

وهذا هو معنى الحديث الإلهي الذي خرَّجه البخاري في «صحيحه»[(٢)]، وفيه: «ولاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا، ورِجْلَهُ التي يَمْشي بِهَا».

وفي بعض الروايات: «فَبِي يَسْمَعُ وبِي يُبْصِرُ وبِي يَبْطِشُ وبي يَمْشِي».

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب، وصارت النفس حينئذ مطمئنة فنيت بإرادة مولاها عن مرادها وهواها.

يا هذا! اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف، إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يُرد صاحبُها إلا ما يريده مولاه.

وفي بعض الكتب السالفة: من أحبَّ الله لم يكن شيءٌ عنده آثر من رضاه، ومن أحبَّ الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الحسن قال: ما نظرت ببصري، ولا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١ الإيمان) ومسلم في صحيحه (١/ ٦٦ ح ٤٣ الإيمان) كلاهما من حديث أنس به.

(٢) (٧/ ١٩٠ الرقاق) من حديث أبي هريرة مرفوعاً به. وذكره المؤلف في جامع العلوم والحكم الحديث الثامن والثلاثين (ص ٤٢٦ ـ ٤٤١) وقال: تفرد بإخراجه البخاري، وهو من غرائب الصحيح.

نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر على طاعة أو على معصية، فإن كانت طاعة تقدمتُ، وإن كانت معصية تأخرت.

هذا حال خَواصّ المحبين الصادقين، فافهموا - رحمكم الله - هذا، فإنه: من دقائق أسرار التوحيد الغامضة. وإلى هذا المقام أشار النبي ﷺ في خطبته لما قدم المدينة حيث قال: «أَحِبوا الله مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ»[(١)]. وقد ذكرها ابن إسحاق[(٢)] وغيره.

فإن من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه شيء فراغ لشيء سواه من إرادات النفس والهوى، وإلى ذلك أشار القائل بقوله:

أَرُوحُ وقَدْ ختمْتَ على فؤادي ... بحبِّكَ أنْ يَحُلَّ به سواكا
فلو أنِّي استطعْتُ غَضَضْتُ ... طَرفي فلم أنْظُر بهِ حتَّى أراكَا!
أُحِبُّكَ لا ببعْضِي بلْ بِكُلِّي ... وإن لم يُبْقِ حبُّك لي حِرَاكا
وفي الأحباب مَخْصوصٌ بوجدٍ ... وآخرُ يدَّعي معَهُ اشْتِراكا
إذا اشْتبكَتْ دموعٌ في خدودٍ ... تبيَّنَ مَنْ بكى ممَّنْ تَباكى!
فأمَّا منْ بكى فيذُوبُ وَجْداً ... وينْطِقُ بالهَوى مَنْ قَدْ تَشاكى

متى بقي للمحب من نفس حظ فما بيده من المحبة إلا الدعوى، إنما المحب من يفنى عن نفسه كله، ويبقى بحبيبه، «فبي يسمع وبي يبصر».

القلب بيت الرب:

وفي الإسرائيليات يقول الله: «ما وَسِعَني سماواتي وَلا أرْضِي. ولكن وسِعَني قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنُ»[(٣)].

---

(١) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) هو محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المدني، تابعي، صاحب المغازي والسيرة النبوية، مات سنة ١٠٥هـ. انظر «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٣).

(٣) ذكره العجلوني في الكشف (٢/ ١٩٥ ح ٢٢٥٦) وقال: ذكره الغزالي في الإحياء بنحوه. وقال العراقي في تخريجه: لمْ أر له أصلاً. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو مذكور في =

فمتى كان القلبُ فيه غير الله، فالله أغنى الأغنياء عن الشرك، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى.

الحق تعالى غَيُورٌ، يغار على عبده المؤمن من أن يسكن في قلبه سواه، أو يكون فيه شيء لا يرضاه.

أَرَدْنَاكُمُ صِرفاً فلَمَّا مَزَجْتُمْ بَعُدتُمْ بمقْدَارِ التِفَاتِكُمُ عَنَّا
وقُلْنَا لَكُمْ: لا تُسْكِنُوا القَلْبَ غيرَنَا فَأَسْكَنْتُمْ الأَغْيَارَ ما أَنْتُم منا

لا ينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1].

القلب السليم: هو الطاهر من أدناس المخالفات، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدوس إلا بعد أن يطهر في كير العذاب، فإذا زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة. «إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً»[2].

فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]. ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[4]. ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾[5].

ومن لم يُحْرق اليوم قلبَه بنار الأسف على ما سلف، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب، فنار جهنم له أشد حرًّا.

= الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ.

(١) الآيتان ٨٨ـ٨٩ من سورة الشعراء.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣ ح ١٠١٥ الزكاة) من حديث أبي هريرة به في حديث طويل.

(٣) الآية ٢٤ من سورة الرعد.

(٤) الآية ٧٣ من سورة الزمر.

(٥) الآية ٣٢ من سورة النحل.

ما يحتاج إلى التطهر بنار جهنم إلا من لم يُكْمل تحقيق التوحيد والقيامَ بحقوقه.

أول من تُسَعَّر به النار من الموحدين: العبَّاد المُراؤن بأعمالهم، وأولهم: العالم، والمجاهد، والمتصدق للرياء[١]؛ لأن يسيرَ الرياءِ: شرك.

ما ينظر المرائي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق.

المرائي يزوِّر التواقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل[٢] لنفسه، ويوهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية.

نقش المرائي على الدرهم الزائد اسم الملك ليروج، والبهرج[٣] ما يجوز إلا على غير الناقد.

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوة، وعبيد الهوى الذين أطاعوا هواهم، وعصوا مولاهم؛ فأما عَبيدُ الله حقًّا فيقال لهم: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾[٤].

نار جهنم تنطفىء بنور إيمان الموحدين.

وفي الحديث: «تَقُولُ النَّارُ للمُؤْمِن: جُزْ يا مُؤْمِنُ! فقدْ أطْفأَ نُورُكَ لَهَبِي»[٥].

---

(١) ثبت ذلك برواية مسلم في صحيحه (٣/ ١٥١٣ ـ ١٥١٤ ح ١٩٠٥ الإمارة) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) البراطيل جمع برطيل وهو حجر مستطيل عظيم شبه به رأس الناقة. النهاية ١/ ١١٩، وقال في المعجم الوسيط (١/ ٥٠) المراد به الرشوة.

(٣) البهرج: الباطل. النهاية (١/ ١٦٦).

(٤) الآيات ٢٧ ـ ٣٠ من سورة الفجر.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٥٨ ح ٦٦٨) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٩) من حديث يعلى بن منية به. ضعفه الألباني، وقال: رواه الطبراني، وابن عدي، وأبو نعيم بسند فيه ضعف وانقطاع. انظر: شرح العقيدة الطحاوية بتحقيقه (ص ٤٧٢).

وفي «المسند»(١) عن جابر، عن النبي ﷺ: «لاَ يَبْقَى بَرٌّ ولا فَاجِرٌ إلاَّ دَخَلَهَا، فَتَكُونُ عَلَى المُؤْمِنينَ بَرْداً وسَلاماً، كَمَا كَانَتْ على إبرَاهيمَ، حتَّى إنَّ للنَّارِ ضَجيجاً مِنْ بَرْدِهِمْ».

هذا ميراث وَرِثه المحبون من حال الخليل ـ عليه السلام ـ.

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم.

قال الجنيد: قالت النار: يا رب: لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء أشد مني؟ قال: نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى. قالت: وهل نار أعظم مني وأشد؟ قال: نعم، نار محبتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين.

قِفَا قَلِيلاً بِهَا عَلَيَّ فَلاَ ... أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُهَا
[ففي فُؤادِ المُحِبِّ نَارُ جَوىً ... أَحَرُّ نَارِ الجحيم أَبْرَدُها]
لولا دموع المحبينَ تطفىء بعض ... حرارَةِ الوَجْدِ لاحتَرَقوا كَمْدا
دَعُوهُ يُطْفي بالدُّموع حَرَارَةً ... عَلى كَبِدٍ حَرَّى دَعُوهُ دَعُوهُ!
سَلُوا عَاذِلِيْهِ يُعْذِرُوهُ هُنَيهَةً ... فبالعَذْلِ دُونَ الشَّوْقِ قَدْ قَتَلُوهُ!

كان بعض العارفين يقول: أليس عجباً أن أكون حيًّا بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل الشُّعَلِ النار التي لا تنطفىء؟!

ولَمْ أرَ مِثْلَ نَارِ المُحبينَ نَاراً ... تَزِيدُ بِبُعْدِ موقِدِها اتِّقَاداً

* * *

ما للعارفين شغل بغير مولاهم، ولا هَمّ في غيره.

وفي الحديث: «مَنْ أَصْبَحَ وهَمُّهُ غَيْرَ الله فلَيْسَ مِنَ الله»(٢).

---

(١) للإمام أحمد (٣/ ٣٢٩) من طريق أبي سمية عنه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٧ الرقاق) من حديث حذيفة به بزيادة: «ومن لم يتق الله فليس من الله في شيء. ومن لم يهتم للمسلمين عامة فليس منهم». سكت عنه الحاكم وقال الذهبي: إسحاق عدم. وأحسب الخبر موضوعاً. وله شاهد رواه الحاكم ـ أيضاً ـ (٤/ ٣٢٠)=

قال بعضهم: من أخبرك أن الله وليه له همة في غيره فلا تصدقه.

وكان داود الطائي[(١)] يقول في الليل: همك عطّلَ عليَّ الهموم، وحالفَ بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوبق مني اللذات، وحال بيني وبين الشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم...

مَالِيْ شُغْلٌ سِوَاهُ، مَالِي شُغْلٌ ... ما يَصْرِفُ قَلْبي عَن هَوَاهُ عَذْلُ
مَا أَصْنَعُ إنْ جَفَا وخَابَ الأَمَلُ؟ ... مِنِّي بَدَلٌ ومِنْهُ مالي بَدَلُ!

إخواني: إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلَه إلاَّ الله صادِقاً مِنْ قَلْبِه حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ»[(٢)].

فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة، فَلِقِلَّةِ صِدْقِه في قولها، فإن هذه الكلمة إذا صدقت في قولها طهَّرت القلب من كل ما سوى الله، ومتى بقي في القلب أثر لما سوى الله، فمن قِلَّةِ صدقه في قولها.

من صَدَق في قول: لا إله إلا الله، لم يحبّ سواه، ولم يَرجُ إلا إيَّاه، ولم يخش أحداً إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه، ومع هذا فلا تظنوا أن المراد أن المحب مطالب بالعصمة، وإنما هو مطالب كلما زَلَّ أن يتلافى تلك الوصمة[(٣)].

= من حديث ابن مسعود باللفظ المذكور آنفاً. وقال الذهبي: إسحاق ومقاتل ليسا بثقتين ولا صادقين.

(١) هو داود بن نصير أبو سليمان الزاهد الطائي الكوفي. من أئمة المتصوفين، أحد الأولياء، خراساني الأصل، ورحل إلى بغداد، ولزم العبادة، مات سنة ١٦٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٣٤٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢ ـ ٤٢٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٨ ح ٢٩ الإيمان) من حديث عبادة بقوله: «من شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار». ورواه أحمد (٥/ ٢٢٩) من حديث معاذ مرفوعاً بمثل حديث عبادة بزيادة: «صادقاً من قلبه» مثلما ورد عند المؤلف.

(٣) الوصمة: العيب، العار. المعجم الوسيط (٢/ ١٠٣٨).

قال زيد بن أسلم[١]: إن الله ليحبُّ العبدَ حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرتُ لك.

وقال الشعبي[٢]: إذا أحبَّ الله عبداً لم يضره ذنب[٣].

وتفسير هذا الكلام أن الله ـ عز وجل ـ له عناية بمن يحبه، من عباده، فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده إلى نجوة النجاة، ييسِّر له أسباب التوبة، وينبِّهه على قبح الزلَّة، فيفزع إلى الاعتذار، ويبتليه بمصائب مكفِّرة لما جنى.

وفي بعض الآثار يقول الله تعالى: أهْلُ ذكري: أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أوئسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهِّرهم من المعائب.

وفي «صحيح مسلم»[٤] عن جابر، عن النبي ﷺ قال: **«الحُمَّى تُذْهِبُ الخَطَايا، كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ الخَبَثَ»**.

وفي «المسند» و«صحيح ابن حبان» عن عبدالله بن مغفّل أن رجلاً لقي امرأة كانت بغِيًّا في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها، فقالت: مه فإن الله قد أذهب الشركَ وجاء بالإسلام، فتركها وولَّى، فجعل يلتفت خلفه ينظر إليها حتى أصاب وجهه حائطاً، فأتى النبي ﷺ والدم يسيل على وجهه، فأخبر الأمر فقال ﷺ: **«أنْتَ عَبْدٌ أرَادَ الله بِكَ خَيراً»**. ثم قال: **«إنَّ الله إذَا أَرادَ بِعَبْدِهِ خَيْراً عَجَّلَ**

---

(١) هو زيد بن أسلم أبو أسامة المدني. من التابعين الكبار، ثقة عالم. مات ١٣٦هـ. انظر تقريب التهذيب (ص ٢٢٢ ت ٢١١٧).

(٢) هو عامر بن شراحيل بن عبدالله أبو عمرو الكوفي التابعي الفقيه المحدث الثقة، ولد في خلافة عثمان ومات سنة ١٠٤هـ. انظر: حلية الأولياء (٤/ ٣١٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣١٨) من طريق عاصم الأحول عن أبي نعيم. وصدره: التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(٤) (٤/ ١٩٩٣ ح ٢٥٧٥ البر والصلة) من حديث جابر به وله قصة أن النبي ﷺ دخل على أم السائب... فقال: «مالك؟».. قالت: الحمى! لا بارك الله فيها. فقال: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب... الحديث».

عُقُوبَتَهُ في الدُّنْيا، وإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ شَرًّا أَمْسَكَ ذَنْبَهُ حتَّى يُوافي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١].

يا قوم! قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرُشُّوا عليها قليلاً من دموع العيون، وقد طهرت.

اعزموا على فِطام النفوس عن رضاع الهوى: فالحِمْيَةُ رأس الدواء[٢].

متى طالبَتْكم بمألوفاتها فقولوا كما قالت لها تلك المرأة لذاك الرجل الذي دمي وجهه: قد أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام، والإسلام يقتضي الاستسلام، والانقياد للطاعة.

ذكِّرُوها مدحةَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[٣] لعلها تحِنُّ إلى الاستقامة.

عرِّفوها اطلاعَ من هو أقرب إليها من حبل الوريد لعلها تستحي من قربه ونظره: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾[٤]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[٥].

راوَدَ رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مُكَوْكِبُها[٦]!

أَكْرَه رجلٌ امرأة على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب، ففعلت. فقال لها:

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٨٧) وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٧٣ ح ٢٩١١) كلاهما من طريق الحسن عنه، وفي آخره عند أحمد: كأنه عير، وابن حبان «عائر». وقال شعيب الأرناؤط: إسناده صحيح، لولا عنعنة الحسن.

(٢) هو جزء من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، وجزءه الآخر: المعدة بيت الداء. قال السخاوي في «المقاصد»: لا يصح رفعه. انظر «كشف الخفاء» ٢/ ٢١٤ رقم (٢٣٢٠).

(٣) الآية ٣٠ من سورة فصلت.

(٤) الآية ١٤ من سورة العلق.

(٥) الآية ١٤ من سورة الفجر.

(٦) مكوكبها: أي خالق الكواكب، ذو الجلال والإكرام، الذي لا يخفى عليه خائنة الأعين، وهو اللطيف الخبير.

هل بقي باب لم تغلقيه؟ قالت: نعم، الباب الذي بيننا وبين الله تعالى. فلم يتعرض لها!

رأى بعض العارفين رجلاً يكلِّم امرأة فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما!

سئل الجنيد: بمَ يستعان على غضِّ البصر؟ قال: بعلمك أنَّ نَظَرَ الله إليك أسبقُ من نظرك إلى ما تنظر.

وقال المحاسبي[1]: المراقبة: علم القلب بقرب الرب..

كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره.

وصَّى النبي ﷺ رجلاً أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه.

قال بعضهم: استح من الله على قدر قربه منك، وخف الله على قدر قدرته عليك.

كان بعضهم يقول: منذ أربعين سنة ما خطوت خطوة [لغير الله] ولا نظرت إلى شيء أستحسنه حياءً من الله عز وجل:

كأنَّ رَقِيْباً مِنْكَ يَرْعَى خَوَاطِري ... وآخَرَ يَرْعى نَاظِري ولِسَاني
فمَا أبْصَرَتْ عَيْنايَ بَعْدَكَ مَنْظَراً ... لِغَيْرِكَ إلاَّ قُلْتُ قَدْ رَمَقَاني
ولا بَدَرَتْ مِنْ فِيَّ بَعْدَكَ لَفْظَةٌ ... لِغَيْرِكَ إلاَّ قُلْتُ قد سمِعاني
ولا خَطَرَتْ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِكَ خَطْرَةٌ ... على القَلْبِ إلاَّ عَرَّجا بِعِنَاني

---

(١) هو الحارث بن أسد أبو عبدالله المحاسبي، البغدادي، الزاهد المشهور، له تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم التي تدل على غزارة علمه، ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد سنة ٢٤٣هـ. رحمه الله تعالى. انظر «تاريخ بغداد» ٨/ ٢١١.

فصل
[في فضائل كلمة التوحيد]

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها؛ فلنذكر بعض ما ورد فيها:

فهي كلمة التقوى، كما قاله عمر - رضي الله عنه - وغيره من الصحابة.

وهي: كلمة الإخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر، ولأجلها خُلِق الخلق.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1].

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝٢﴾[3].

وهذه الآية أول ما عدَّد الله على عباده من النعم في سورة النِّعم التي تسمى (سورة النحل)، ولهذا قال ابن عيينة[4]: ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلاّ الله، وأن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أُعدت دارُ الثواب، ودار العقاب في الآخرة.

فمن قالها ومات عليها كان من دار أهل الثواب، ومن ردها كان من أهل العقاب.

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

(٢) الآية ٢٥ من سورة الأنبياء.

(٣) الآية ٢ من سورة النحل.

(٤) ابن عيينة هو سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي الإمام الحجة، مات سنة ١٩٨هـ، انظر: تاريخ بغداد (٩/ ١٧٤).

ولأجلها أُمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم في ماله ودَمه، ومن أباها فمالُه ودمه هدر.

وهي مفتاح دعوة الرسل، وبها كلَّم الله موسى كفاحاً.

وفي «مسند البزار» وغيره عن عياض الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «إنَّ لا إله إلاَّ الله كَلِمةُ حقٍّ على الله كَرِيمةٌ، ولها من الله مَكَانٌ، وهيَ كَلِمَةٌ جُمِعَتْ وشُرِكَتْ، فمَنْ قالَها صادِقاً أدخَلَهُ الله الجَنَّةَ، ومَنْ قالَها كاذِباً: أحْرزَتْ مالَهُ وحَقَنَتْ دَمَهُ، ولَقِيَ الله فَحَاسَبَهُ»[(١)].

وهي مفتاح الجنة كما تقدم.

وهي: ثمن الجنة: قاله الحسن. وجاء مرفوعاً من وجوهٍ ضعيفة: «مَنْ كَانَ[(٢)] آخِرَ كَلاَمِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»[(٣)].

وهي: نجاة من النار.

وسمع النبي ﷺ مؤذناً يقول: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، فقال: «خَرَجَ مِنَ النَّارِ». خرَّجه مسلم[(٤)].

وهي: توجب المغفرة:

في «المسند» عن شدَّاد بن أوس، وعبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً: «ارفَعُوا أيْدِيكُمْ وقُولُوا: لا إله إلاَّ الله». فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: «الحمدُ لله! اللهُمَّ بعثْتَنِي بِهَذِه الكَلِمَةِ، وأَمَرْتَنِي بِهَا، ووَعَدْتَنِي الجَنَّةَ عَلَيْهَا وأنَّك لا تُخْلِفُ المِيعَاد» ثم قال: أَبْشِرُوا فإنَّ

---

(١) لم أجده في القدر المطبوع من مسند البزار المسمى: بالبحر الزخار.

(٢) في الأصل (من كانت) والتصحيح من سنن أبي داود والمستدرك.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٩٠ ح ٣١١٦ الجنائز) والحاكم في مستدركه (١/ ٣٥١ الجنائز) كلاهما من حديث معاذ به مرفوعاً. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٤) في صحيحه (١/ ٢٨٨ ح ٣٨٢ الصلاة) من حديث أنس به بزيادة: فنظروا فإذا هو راعي معزى.

الله قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»[١].

وهي أحسن الحسنات:

قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله! علِّمْني عملاً يقرِّبني من الجنة، ويباعدني من النار، قال: «إذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ حَسَنَةً، فإنَّهَا عَشْرُ أمْثَالِهَا». قلت: يا رسول الله، لا إله إلاَّ الله من الحسنات؟ قال: «هيَ أحْسَنُ الحَسَنَاتِ»[٢].

وهي تمحو الذنوب والخطايا:

وفي «سنن ابن ماجة»[٣] عن أُم هانىء بنت أبي طالب[٤] عن النبي ﷺ قال: «لا إلَهَ إلاَّ الله لا تَتْرُكُ ذَنْباً، ولاَ يَسْبِقُهَا عَمَلٌ».

رؤي بعضُ السلف بعد موته في المنام، فسئل عن حاله، فقال: ما أبقت لا إله إلا الله شيئاً.

وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب:

وفي «المسند»[٥] أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «جَدِّدُوا إيْمانكُمْ». قالوا:

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤/ ١٢٤ من طريق يعلى بن شداد عن أبيه شداد وعبادة. والحديث له قصة.

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٦٩) عن أبي ذر قال: يا رسول الله! أوصني. قال: «إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها... الحديث». قال الهيثمي: رواه أحمد رجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدث به.. إلخ.

(٣) (٢/ ١٢٤٨ ح ٣٧٩٧ الأدب) من طريق محمد بن عقبة عنها به. وقال البوصيري في الزوائد: في إسناده زكريا بن منظور وهو ضعيف.

(٤) هي أم هانىء فاختة بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، أخت علي بن أبي طالب، وقيل: اسمها عاتكة، وقيل: هند، كان رسول الله ﷺ خطبها في الجاهلية وخطبها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فزوجها أبو طالب هبيرة فولدت له جعدة وغيره، أسلمت، ففرق الإسلام بينهما وبين هبيرة، وخطبها النبي ﷺ فقال: والله إن كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام، ولكني امرأة مصيبة فسكت عنها. «الإصابة» ٨/ ٢٨٧.

(٥) لأحمد (٢/ ٣٥٩) من حديث أبي هريرة.

كيف نجدِّد إيماننا؟ قال: «قُولُوا لا إلَه إلاَّ الله».

وهي التي لا يَعْدِلُها شيء في الوزن، فلو وُزِنَتْ بالسموات والأرض رجحت بهن.

كما في «المسند»[١] عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: «أنَّ نُوحاً قال لابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: آمُرُكَ بِلاَ إلَه إلاَّ الله، فإنَّ السَّموات السَّبْعَ والأَرْضينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ في كِفَّة وَوُضِعَتْ لا إلَه إلاَّ الله في كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لا إلَه إلاَّ الله، ولَوْ أنَّ السمواتِ السَّبْعَ والأَرْضِينَ السَّبْع كُنَّ في حَلْقَةٍ مُبْهَمَةٍ قَصَمَتْهُنَّ لا إلَهَ إلاَّ الله».

وفيه[٢] أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «أنَّ موسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قال: يا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ وأَدْعُوكَ بِهِ، قالَ: يا مُوسى! قُلْ: لا إلَهَ إلاَّ الله، قالَ: يا رَبِّ! كُلُّ عِبادِكَ يَقُولونَ هذَا. قالَ: قُلْ: لا إله إلاَّ الله أَنْتَ. فقالَ: لا إله إلاَّ أَنْتَ، إنَّمَا أُريدُ شَيئاً تَخُصَّنِي بِهِ. قالَ: يا مُوسى! لَوْ أنَّ السَّمواتِ السَّبْعِ وعَامِرُهُنَّ غَيْري والأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، ولا إلَهَ إلاَّ الله فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لا إله إلاَّ الله».

وكذلك ترجح بصحائف الذنوب، كما في حديث السِّجلات والبطاقة، وقد خرَّجه أحمد[٣] والنسائي، والترمذي أيضاً من حديث عبدالله بن عمرو عن

---

(١) لأحمد (٢/ ١٧٠) من طريق عطاء بن يسار عنه.

(٢) لم أجده في مسند أحمد، بل رواه أبو يعلى كما قاله الهيثمي (١٠/ ٨٥) وزاد: ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف. ورواه أيضاً الحاكم (١/ ٥٢٨ الدعاء) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥٤ ـ ٥٥ ح ١٢٧٣) كلاهما من طريق أبي الهيثم عن أبي سعيد. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢١٣) والترمذي (٤/ ١٣٤ ح ٢٧٧٦ الإيمان) كلاهما من طريق أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. ولم أجده عند النسائي، بل رواه ابن ماجة في سننه (٢/ ١٤٣٧ ح ٤٣٠٠ الزهد) ورواه أيضاً الحاكم (١/ ٥٢٩ الدعاء) من الطريق المذكور. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ولفظه: «إن الله ـ عز وجل ـ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجله مدُّ البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي=

النبي ﷺ.

وهي التي تخرق الحُجُبَ كلها حتى تصل إلى الله عزَّ وجل:

وفي الترمذي عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **«لا إِلَهَ إلاَّ الله لَيْسَ لَهَا دُونَ الله حِجَابٌ حتَّى تَصِلَ إِلَيْهِ»**(١).

وفيه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«مَا قالَ عَبْدٌ: لا إِلَهَ إلاَّ الله مُخْلِصاً إلاَّ فُتِحتْ لَهُ أَبْوابُ السَّماءِ حتَّى تُفْضِي إلى العَرْشِ ما اجْتُنِبَتِ الكَبائِرُ»**(٢).

ويروى عن ابن عباس مرفوعاً: **«ما مِنْ شَيءٍ إلاَّ بَيْنَهُ وبيْنَ الله حِجَابٌ، [إلاَّ قَوْلَ: لا إله إلاَّ الله]، كَمَا أَنَّ شَفَتَيْكَ لا تَحْجُبُهَا كَذَلكَ لا يَحْجُبُهَا شَيءٌ حتَّى تَنْتَهِي إلى الله عَزَّ وجَلَّ»**(٣).

وقال أبو أمامة: ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها(٤) شيء دون العرش.

وهي التي ينظر الله إلى قائلها، ويجيب دعاه.

خرَّج النسائي في كتاب «اليوم والليلة» من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: **«مَنْ قالَ: لا إِلهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، مُخْلِصاً بِهَا رُوحَهُ مُصَدِّقاً بها قَلْبَهُ ولِسانُهُ، إلاَّ فُتِقَ لَهُ السَّماءَ**

= الحافظون؟ قال: لا، يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء».

(١) سننه (٥/ ١٩٧ ح ٣٥٨٥ الدعوات) من طريق عبدالله بن يزيد عنه به. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٣٣ ح ٣٦٦٠ الدعوات) من طريق حازم عنه به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) بحثت عنه في مظانه فلم أجده.

(٤) نهنه: أي منع وكفّ عن الوصول. انظر: النهاية (٥/ ١٣٩).

فَتْقاً، حتَّى يَنْظُرُ إلى قائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الأرض، وحُقَّ لِعَبدٍ نَظَرَ الله إليْهِ أنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ»(١).

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها:

كما أخرج النسائي، والترمذي، وابن حبان، من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «إذَا قالَ العَبْدُ: لا إلهَ إلاَّ الله والله أكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، وقَالَ: لا إلهَ إلاَّ أنا [وأنَا أكْبَرُ]. وإذَا قالَ: لا إلهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريْكَ لَهُ. قالَ الله: لا إلهَ إلاَّ أنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لي. وإذَا قالَ: لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ، لا شَرِيكَ لهُ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، قال الله: لا إلهَ إلاَّ أنَا، لي المُلْكُ، ولِيَ الحَمْدُ. وإذَا قال: لا إلهَ إلاَّ الله، ولاَ حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله، قالَ الله: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا، ولاَ حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بي». وكان يقولُ: «مَنْ قالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ»(٢).

وهي أفضل ما قاله النبيون كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة(٣).

وهي أفضل الذكر:

---

(١) انظر عمل اليوم والليلة للنسائي رقم (٢٨) وذكره المنذري (٢/٤١٨) وعزاه إلى النسائي وسكت عنه.

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم ٣١ ص ١٥١ - ١٥٢.

والترمذي في سننه (٥/١٥٦ ح ٣٤٩٠ الدعوات)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٣١ ـ ١٣٢ ح ٨٥١) من طريق الأغر أبي مسلم عنهما به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه على شرط مسلم محقق صحيح ابن حبان.

(٣) وهو ما رواه مالك في الموطأ عن طلحة بن عبيد بن كريز مرسلاً: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. انظر الموطأ (١/٨٨ ح ٣٢ القرآن باب ما جاء في الدعاء، ١/ ٣٣٧ ح ٢٤٦) قال ابن عبدالبر: لا خلاف عن مالك في إرساله، ولا أحفظ بهذا الإسناد مسنداً من وجه يحتج به. وأحاديث الفضائل لا يحتاج إلى محتج به. وقد جاء مسنداً من حديث علي وابن عمرو.

قلت: أما حديث عبدالله بن عمرو فرواه الترمذي (٥/ ٢٣١ ح ٣٦٥٥ الدعوات) مرفوعاً: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله.. الحديث». وقال: حسن غريب من هذا الوجه. اهـ.

كما في حديث جابر المرفوع: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إلهَ إلاَّ الله»[١].

وعن ابن عباس قال: أَحَبُّ كَلِمة إلى الله تعالى لا إلهَ إلاَّ الله، لا يَقْبَلُ الله عَمَلاً إلاَّ بِهَا.

وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان.

وكما في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**مَنْ قالَ: لا إلهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مائةَ مَرَّةٍ كانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقاب، وكُتِبَ لَهُ مائةُ حَسَنةٍ، ومُحِيَتْ عَنْهُ مائةُ سَيِّئةٍ، وكانَتْ لَهُ حِرْزاً منَ الشَّيطان يَوْمَهُ ذلك حتَّى يُمْسِي ولَمْ يَأْتِ أحدٌ بِأفضَلَ مِمَّا جاءَ بِهِ، إلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذلكَ**»[٢].

وفيهما أيضاً عن أبي أيوب [الأنصاري رضي الله عنه] عن النبي ﷺ: «**مَنْ قالَها عَشْرُ مَرَّاتٍ كانَ كَمَنْ أعْتَقَ أرْبَعَةَ أنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إسْماعيلَ**»[٣].

وفي الترمذي[٤] عن ابن عمر مرفوعاً: «**مَنْ قالَها إذَا دَخَلَ السُّوْقَ، وزَادَ فِيها: يُحْيي ويُميتُ [وهُوَ حَيٌّ لا يَموتُ بِيدِهِ الخَيْرُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ]، كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنةٍ، ومَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلفِ سَيِّئةٍ، ورَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**».

---

(١) رواه الترمذي وحسنه، والنسائي وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٢٦ ح ٨٤٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٨) من طريق طلحة بن خراش عن جابر به بزيادة: وأفضل الدعاء: الحمد لله. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير رقم (١١١٥). وتخريج المشكاة (٢٣٠٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٦٧ الدعوات) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١ ح ٢٦٩١ الذكر والدعاء) كلاهما من طريق أبي صالح عنه به.

(٣) صحيح البخاري (٧/ ١٦٧ الدعوات) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٧١ ح ٢٦٩٣ الذكر والدعاء) من طريق عمرو بن ميمون عنه به.

(٤) أي سننه (٥/ ١٥٥ ح ٣٤٨٨ الدعوات) وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

وفي رواية: «ويُبْنى لَهُ بيت فِي الجَنَّةِ»[(١)].

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر، وهول الحشر.

كما في «المسند» وغيره، عن النبي ﷺ قال: **«ليْسَ على أهْلِ لا إلهَ إلاَّ الله وحْشَةٌ في قبُورِهِمْ ولا في نُشُورِهِمْ، وكأنِّي بأهْلِ لا إلهَ إلاَّ الله قَدْ قامُوا ينْفُضُونَ التُّرابَ عَنْ رُؤُسِهِمْ، ويقُولونَ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)]»**[(٣)].

وفي حديث مرسل: من قال: **«لا إله إلاَّ الله المَلِكُ الحقُّ المبين كلَّ يوم مائة مرَّة، كانت لهُ أماناً مِنَ الفقْرِ، وأنساً منْ وحشَةِ القبرِ، واستجلبَ الغنى، واستَقرَعَ بابَ الجَنَّةِ»**.

وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من القبور:

قال النضر بن عربي[(٤)]: بلغني أن الناس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم: **لا إله إلاَّ الله**.

وقد خرَّج الطبراني[(٥)] حديثاً مرفوعاً: **«إنَّ شِعارَ هذِهِ الأُمَّةِ على الصِّراطِ: لا**

---

(١) عند الترمذي (٥/ ١٥٦ ح ٣٤٨٩ الدعوات).

(٢) الآية ٣٤ من سورة فاطر.

(٣) لم أجده في مسند الإمام أحمد، ولكن رواه الطبراني في «الكبير» من حديث ابن عمر كما ذكره النبهاني في «الفتح الكبير» ٣/ ٦٠. ورواه ابن عدي في «الكامل» ٢/ ٦٥ من طريق سلمة عن ابن عمر. وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٦) بروايتين عن الطبراني في «الأوسط» وقال: كلاهما ضعيف.

(٤) أبو روح الحراني الإمام العالم المحدث الثقة، مات سنة ١٦٨هـ. انظر «الكامل» (٧/ ٢٥)، السير (٧/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥).

(٥) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الحافظ الثبت، أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا سنة ٢٦٠هـ وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ، انظر: السير (١٦/ ١١٩ ـ ١٣٠).

إلهَ إلاَّ أنْتَ»(١) .

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية :

يدخل من أيها شاء، كما في حديث عمر عن النبي ﷺ فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء، وقد خرَّجه مسلم(٢) .

وفي «الصحيحين» عن عبادة [بن الصامت رضي الله عنه] عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأنَّ عيسَى عَبْدُ الله وابْنُ أَمَتِهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وأنَّ الجَنَّةَ حقٌّ وأنَّ النَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ الله مِنْ أيِّ أبْوابِ الجَنَّةِ الثَّمانيةِ شَاءَ**»(٣) .

وفي حديث عبدالرحمن بن سمرة، عن النبي ﷺ في قصة منامه الطويل، وفيه قال: «**ورأيتُ رجلاً منْ أُمَّتِي انتهى إلى أبوابِ الجنَّةِ، فأُغْلِقَتِ الأبوابُ دونَهُ، فجَاءَتْهُ شَهَادةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، فَتَحَتْ لهُ الأبوابَ، وأدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ**» .

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها :

وفي «الصحيحين» عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ الله عزَّ وجلَّ: وعِزَّتي وجَلاَلي وكِبْرِيائي وعَظَمَتي، لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَن قالَ لا إلهَ إلاَّ الله**»(٤) .

وأخرج الطبراني عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أناساً مِنْ أهْلِ لا إلهَ إلاَّ الله**

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) في صحيحه (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠ ح ٢٣٤ الطهارة) بلفظ: ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة. وفيه أيضاً: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو فيسبغ) الوضوء، ثم يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدالله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) تقدم تخريجه .

يَدْخُلونَ النَّارَ بِذُنُوبهِمْ، فيَقُولُ لَهُمْ أهْلُ اللاَّتِ والعُزَّى: ما أَغْنى عَنكُمْ قَوْلُ لا إلهَ إلاَّ الله، فَيَغْضَبُ الله لَهُمْ فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، فَيَدْخُلونَ الجَنَّةَ»[(١)].

ومن كان في سُخطه محسناً فكيف يكون إذا ما رضي
لا يستوي بين من وحَّده وإن قصر في حقوق توحيده
وبين من أشرك به

قال بعض السلف: كان إبراهيم عليه السلام يقول: اللهم لا تشرك من كان يشرك بك شيئاً بِلِ بمن كان لا يشرك بك.

كان بعض السلف يقول في دعائه: «اللهم إنك قلت عن أهل النار إنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[(٢)]، ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت، اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة».

كان أبو سليمان يقول: إن طالبني ببخلي طالبته بجوده. وإن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه، وإن أدخلني النار أخبرت أهل النار أني أُحبه.

ما أطيبَ وَصْله ومَا أعذبَهْ ومَا أثْقَل هَجْرَهُ ومَا أصْعَبهُ
وفي السُّخْطِ وفي الرِّضى ما أهْيَبَهْ! القَلْبُ يُحبُّهُ وإنْ عَذَّبَهْ!

وكان بعض العارفين يبكي طول ليله ويقول: إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب! . . العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما يخافون من العذاب.

قال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لُجِّيٍّ[(٣)].

كان بعضهم يقول: إلهي وسيدي ومولاي! لو أنك عذبتني بعذابك كله كان

---

(١) بحثت عنه في «المعجم الكبير» للطبراني في مسند أنس، وكذلك في الصغير وفي مظانه الأخرى فلم أجده. والله أعلم به.

(٢) الآية ٣٨ من سورة النحل.

(٣) بحر لُجِّيٌّ: منسوب إلى لجة البحر، ولُجَّة البحر بالضم: تردُّد أمواجه. انظر المفردات للراغب (ص ٤٤٨).

ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب.

قيل لبعضهم: لو طردك ما كنت تفعل؟ فقال:

أنا إنْ لَمْ أجِدْ مِنَ الحُبِّ وَصْلاً رُمْتُ في النَّارِ مَنْزِلاً ومَقِيلا
ثُمَّ أزْعَجْتُ أهْلَهَا بندائِي بُكْرَةً في عَرَصَاتِهَا وأصِيلا
مَعْشَرَ المُشْرِكينَ نوحوا على مَنْ يَدَّعي أنَّهُ يُحِبُّ الخليلا
لمْ يَكُنْ في الذي ادَّعاهُ مُحِقًّا فَجَزاهُ بِهِ العَذابَ الطَّوِيلا!

إخواني!

اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد، فإنه لا يوصل إلى الله سواه، واحرصوا على القيام بحقوقه، فإنه لا يُنجي من عذاب الله إلا إيَّاه.

ما نطق الناطِقُونَ إذَا نَطَقُوا أحْسَنَ مِنْ لا إلهَ إلاَّ هُو
تَبَارَكَ الله ذُوْ الجَلالِ ومَنْ أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ هو
مَنْ لِذُنُوبِي ومَنْ يُمَحِّصُهَا غَيْرَكَ يا مَنْ لا إلهَ إلاَّ هو
جِنَانُ خُلْدٍ لِمَنْ يُوَحِّدُهُ أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ هو
نِيْرانُهُ لا تُحرِقُ مَنْ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ هو
أقُولُهَا مُخْلِصاً بِلاَ بَخَلٍ أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ هو

* * *

وآخره تم والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية

٢ - فهرس الأحاديث والآثار

٣ - فهرس الأعلام والتراجم

٤ - فهرس الكلمات الغريبة المشروحة

٥ - فهرس المصطلحات الحديثية

٦ - فهرس الموارد

٧ - فهرس المصادر والمراجع

٨ - فهرس تفصيلي لموضوعات : اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى

٩ - فهرس تفصيلي لموضوعات : نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي - صلى الله عليه وسلم -

١٠- فهرس تفصيلي لموضوعات : كلمة الإخلاص وتحقيق معناها

١- فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب ورودها في المصحف الشريف

الآية مع بيان سورتها	رقم الآية	موضع ورودها في الجامع		
		اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة الفاتحة				
(إياك نعبد وإياك نستعين)	٥		١٦٦	
سورة البقرة				
(وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)	٤٠		١٤٢/١٣٠	
(واستعينوا بالصبر والصلاة... الآية)	٤٥	٣٤		
(قولوا للناس حسنا)	٨٣	٦٣		
(فاذكروني أذكركم)	١٥٢		١٤٢	
(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر ... الآية)	١٥٣	٣٥،٣٤	١٣٠	
(وبشر الصابرين – إلى قوله – وأولئك هم المهتدون)	١٥٧-١٥٥		١٨٧	
(ولكن البر من آمن بالله – إلى قوله – والصابرين في البأساء والضراء)	١٧٧		١٨٩	
(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب... الآية)	١٨٦		١٦٤-١٥٩	
(إن الله يحب المحسنين)	١٩٥	٦٧		
(حتى يقول الرسول والذين آمنوا... الآية)	٢١٤		٢١١	
(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين	٢٢٢			
(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)	٢٣٨		١٢٦	
(فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ـــ إلى قوله ـــ والله مع الصابرين)	٢٤٩		١٩٤	
(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)	٢٥٧		١٤١	

الآية مع بيان سورتها		موضع ورودها في الجامع		
	رقم الآية	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)	٢٦٤	٦٦		
(للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا... الآية)	٢٧٣	٩٠		
آل عمران				
(آمنا به كل من عند ربنا)	٧	٢٧		
(اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)	١٠		٢٠٧	
(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)	٣١	١١٣		٢٣٢، ٢٣٣
(بلى إن تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم... الآية)	١٢٥		١٩٤	
(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها...)	١٣٣	٦٦		
(قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم... الآية)	١٥٤		١٧٥	
النساء				
(واسألوا الله من فضله)	٣٢		١٥٤	
(ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى... الآية)	١٠٨		١٤٤	
(وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم...)	١١٣	٨٦		
(وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس..)	١٤٢	٤٦		

الآية مع بيان سورتها	رقم الآية	موضع ورودها في الجامع		
		اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة المائدة				
(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا...)	٦	٣٠		
(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين...)	٥٤	١١٣		
(ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم)	٨٩	١٢٧		
سورة الأنعام				
(ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم... الآية	٤٣		٢١٠	
(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي..)	٥٢	٧٩		
(وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء... الآية)	٥٣	١٠٥،٨٠		
(وإذا جاءك الذين يؤمنون... الآية)	٥٤	٨٠		
(وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات...)	٧٥	٢٤		
سورة الأعراف				
(استعينوا بالله واصبروا)	١٢٨		١٦٨	
سورة الأنفال				
(يحول بين المرء وقلبه)	٢٤		١٣٨	
(فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير)	٤٠		١٨٢	
(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا...)	٤٥		١٩٤	
(فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين... الآية)	٦٦		١٩٤	

الآية مع بيان سورتها	رقم الآية	موضع ورودها في الجامع		
		اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة التوبة				
(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة...)	٥			٢٢٦
(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)	١١			٢٢٦
(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم... الآية)	٢٤	١١٣		٢٣٣
(إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)	٤٠		١٤٤	
(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)	٥١		١٧٥، ١٨٢	
(قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين)	٥٢		١٨٢	
(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين.. الآية)	٦٠	٩٠		
(فلما آتاهم من فضله بخلوا به)	٧٦	٦٣		
(والحافظون لحدود الله)	١١٢		١٢٥	
(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب... الآية)	١٢٠	٣٥		
سورة يونس				
(إنما كبر عليكـــم مقامي وتذكيري بآيات الله.. الآية)	٧١		١٧٨	
(آلآن وقد عصيت قبل... الآية)	٩١		١٤٩	
(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو... الآية)	١٠٧		١٧٨	
سورة هود				
(قال إني أشهد الله وأشهدوا ـــ إلى قوله ـــ إن ربي على صراط مستقيم)	٥٤-٥٦		١٧٨	

الآية مع بيان سورتها	رقم الآية	موضع ورودها في الجامع		
		اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة يوسف				
(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)	١٨		١٦٨	
(كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء... الآية)	٢٤		١٣٧	
(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)	٣٩			٢٣١
(عسى الله أن يأتيني بهم جميعا)	٨٣		٢١٢	
(إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه... الآية)	٨٧		٢١١	
(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا... الآية)	١١٠		٢١١	
سورة الرعد				
(له معقبات من بين يديه ومن خلفه)	١١		١٣٠	
(ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار)	٢٢	٦٩		
(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)	٢٤			٢٣٦
سورة إبراهيم				
(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها... الآية)	٣٤			٢١٤
سورة الحجر				
(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)	٤٢			٢٣٠
سورة النحل				
(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده)	٢			٢٤٣
(إنه لا يحب المستكبرين)	٢٣			
(الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم...)	٣٢			٢٣٦

الآية مع بيان سورتها	رقم الآية	موضع ورودها في الجامع		
		اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت)	٣٨			٢٥٢
(وجادلهم بالتي هي أحسن)	١٢٥	٦٣، ٦٧		
سورة الإسراء				
(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)	٣٦		١٢٨	
(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)	٥٣			
(ومن الليل فتهجد نافلة لك...)	٧٩	٧٠		
سورة الكهف				
(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا)	٢٨	٨٠		
(وكان أبوهما صالحا)	٨٢	١٣١، ١٣٢		
سورة مريم				
(يا أبت لا تعبد الشيطان... الآية)	٤٤			٢٣٠
سورة طه				
(قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى)	٤٦		١٤٤	
(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم... الآية)	١٣١	٨٨		
سورة الأنبياء				
(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه... الآية)	٢٥			٢٤٣
(ونبلوكم بالشر والخير فتنة)	٥٣	١٠٥		
(قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون)	١١٢		١٦٨	

الآية مع بيان سورتها		موضع ورودها في الجامع		
	رقم الآية	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة الحج				
(وبشر المخبتين الذين إذا ذكروا الله ـــ إلى قوله ـــ على ما أصابهم)	٣٤-٣٥		١٨٧	
سورة المؤمنون				
(والذين هم لفروجـــهم حـــافظون إلا علـــى أزواجهم... الآية)	٥،٦		١٢٩	
(ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم...)	٧٦	٩٨	٢١٠	
(ادفع بالتي هي أحسن السيئة...)	٩٦	٦٩		
سورة النور				
(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)	٣٠			
(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح...)	٣٦، ٣٧	٥٤		
(ولا يشركون بي شيئا)	٥٥			٢٣١-٢٣٢
سورة الفرقان				
(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون)	٢٠	١٠٥		
سورة الشعراء				
(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)	٨٨، ٨٩	٤٩		٢٣٦
(أنومن لك واتبعك الأرذلون)	١١١	١٤، ٩٩		
سورة القصص				
(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)	٥٠			٢٣١

الآية مع بيان سورتها	رقم الآية	موضع ورودها في الجامع		
		اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة العنكبوت				
(ألم، أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)	١، ٢			
(ولا تجادلوا أهل الكتـــاب إلا بالتي هي أحسن...)	٤٦	٦٣		
سورة الروم				
(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا ــ إلى قوله ــ لمبلسين)	٤٨، ٤٩		١٩٨	
سورة لقمان				
(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم... الآية)	٣٤	٢٦-٢٧		
سورة السجدة				
(تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ــ إلى قوله ــ فلا تعلـــم نفس ما أخفي لهم من قـــرة أعين جزاء... الآية)	١٦، ١٧	٧٠، ٧١		
سورة الأحزاب				
(وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا...)	٢٢	٢٨		
(والحافظين فروجهم والحافظات)	٣٥		١٢٩	
سورة فاطر				
(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها... الآية)	٢		١٧٨	
(وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن... الآية)	٣٤			٢٥٠

الآية مع بيان سورتها	رقم الآية	موضع ورودها في الجامع		
		اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة يس				
﴿ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان...﴾	٦٠			٢٣٠
سورة الصافات				
﴿فلولا أنه كان من المسبحين، للبث في بطنه... الآية﴾	١٤٣، ١٤٤		١٤٩	
سورة ص				
﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾	٢٦			٢٣١
سورة الزمر				
﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾	١٠		١٨٧، ١٩٠	
﴿أليس الله بكاف عبده﴾	٣٦		١٤١	
﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله... الآية﴾	٣٨		١٧٨	
﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾	٧٦			٢٣٦
سورة غافر				
﴿وقال ربكم أدعوني استجب لكم﴾	٦٠		١٦٠، ١٦٦	
سورة فصلت				
﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...﴾	٣٠			٢٤١
﴿لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ـــ إلى قوله ـــ إلا ذو حظ عظيم﴾	٣٤، ٣٥	٦٣		
سورة الشورى				
﴿وهو الذي يترل الغيث من بعد ما قنطوا... الآية﴾	٢٨		١٩٨	

الآية مع بيان سورتها		موضع ورودها في الجامع		
	رقم الآية	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة الزخرف				
(وقالـــوا لولا نزل هذا القرآن على رجل... الآية)	٣١	٨٦		
سورة الجاثية				
(أم حسب الذين اجترحوا السيئات)	٢١	٦٣		
(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)	٢٣			٢٢٩
سورة الأحقاف				
(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)	١٣		١٥٢	
سورة محمد				
(إن تنصروا الله ينصركم)	٧		١٣٠	
(ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا... الآية)	١١		١٤١	
(ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا...)	٢٨			٢٣١
سورة الفتح				
(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...)	٢	٣٠		
سورة ق				
(ولقد خلقنا الإنسان نعلم ما توسوس به نفسه...)	١٦		١٤٧	
(هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ، من خشي الرحمن ... الآية)	٣٢، ٣٣			
سورة الذاريات				
(للسائل والمحروم)	١٩	٩٠		
(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)	٥٦			٢٤٣

الآية مع بيان سورتها		موضع ورودها في الجامع		
	رقم الآية	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة الطور				
(واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا)	٤٨	٣٧	١٩٠	
سورة النجم				
(هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض... الآية)	٣٢		١٤٧	
سورة الحديد				
(وهو معكم أين ما كنتم)	٤		١٤٤	
(ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم... الآية)	٢٢		١٧١،١٧٥	
(لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)	٢٣		١٨٠	
سورة المجادلة				
(ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)	٧		١٤٤	
سورة الحشر				
(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)	٩	٦١، ٦٣		
سورة التغابن				
(ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله... الآية)	١١		١٨٢	
سورة الطلاق				
(ومن يتق الله يجعل له مخرجا)	٢		١٣٣، ١٥٢	
(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)	٣		١٤١،٢١٢	
(ومن يتق الله ـــ إلى قوله ـــ ويرزقه من حيث لا يحتسب)	٢،٣		١٦١	
(سيجعل الله بعد عسر يسرا)	٧		٢٠٦	

الآية مع بيان سورتها	رقم الآية	موضع ورودها في الجامع		
		اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة الملك				
(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)	١٤		١٣٨	
سورة القلم				
(ن والقلم وما يسطرون)	١		١٧٢	
سورة المعارج				
(للسائل والمحروم)	٢٥	٩٠		
(والذين هم على صلاتهم يحافظون)	٣٤		١٢٦	
سورة المدثر				
(كل نفس بما كسبت رهينة)	٣٨		١٣٨	
سورة الدهر				
(ويطعمون الطعام على حبه ـ إلى قوله ـ وسقاهم ربهم شرابا طهورا)	٨-٢١	٥٦، ٧٩		
سورة الفجر				
(إن ربك لبالمرصاد)	١٤			٢٤١
(يا أيتها النفس المطمئنة ـ إلى قوله ـ وادخلي جنتي)	٢٧-٣٠			٢٣٧
سورة البلد				
(فلا اقتحم العقبة ـ إلى قوله ـ أو مسكينا ذا متربة)	١١-١٦			
سورة الإنشراح				
(فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر... الآية)	٥،٦		٢٠٦	

الآية مع بيان سورتها		موضع ورودها في الجامع		
	رقم الآية	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
سورة التين				
(ثم رددناه أسفل سـافلين ـ إلى قولـه ـ إلا الذين آمنوا... الآية)	٥، ٦			١٣١
سورة العلق				
(ألم يعلم بأن الله يرى)	١٤			٢٤١

٢ - فهرس الأحاديث والآثار مرتبة على حروف المعجم مع ذكر من رواها.

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد	عائشة	٩٦		
ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها	عبد الله بن عمرو		١٩٥	
ابشروا! هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء	عبد الله بن عمرو	٥١		
اتقوا النار ولو بشق تمرة	عدي بن حاتم	٥٩		
اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة	عدي بن حاتم	٦٤		
اتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء	أبو سعيد الخدري	١٠٥		
أتيت النبي ﷺ لأبايعه فاشترط علي: شهادة أن لا إله إلا الله	بشير بن الخصاصية			٢٢٥
أثقل صلاة على المنافقين: صلاة العشاء وصلاة الفجر	أبو هريرة	٤٥		
اثنتان يكرههما ابن آدم، يكره الموت، والموت خير... الحديث	محمود بن لبيد	١٠٧		
أحبوا الله من كل قلوبكم				٢٣٥
احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة في صلاة الصبح...	معاذ بن جبل	٢٢		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز	أبو هريرة		١٦٦، ١٨٠	
احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك	عبد الله بن عباس		١٢٢	
أخبر النبي ﷺ عن الفتن كقطع الليل المظلم	أبو هريرة	١٠٢		
إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب	الشعبي			٢٤٠
إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة... الحديث	عقبة بن عامر	٤٢		
إذا توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا... الحديث	من مراسيل الصنابحي	٣١		
إذا توضأ العبد المسلم ــ أو المؤمن ــ فغسل وجهه خرج من وجهه...	أبو هريرة	٣١		
إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة فقل: شهادة أن...	معاذ بن جبل			٢٢٤
إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها	أبو ذر			٢٤٥
إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، صدقه ربه...	أبو هريرة وأبو سعيد			٢٤٨
إذا مات ابن آدم قال الناس: ما خلف... الحديث	أبو هريرة	٢٨		
إذا مات أنا وأبو بكر وعمر وعثمان فان استطعت أن تموت...	سهل بن أبي جثمة	١٠٣		
إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له...	عبد الله بن مسعود	٦٤		
اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة	الضحاك بن قيس		١٤٩	
أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم	أبو هريرة	٤٨		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله	شداد بن أوس وعبادة			٢٤٢
إسباغ الوضوء شطر الإيمان	أبو مالك الأشعري	٣٤		
إسباغ الوضوء على السبرات	معاذ بن جبل	٣٥		
إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد...	أبو هريرة	٢٩		
إسباغ الوضوء في السبرات	معاذ بن جبل	٢٤		
الاستحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى	عبد الله بن مسعود		١٢٨	
استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك	عبد الله بن عمر		١٣٦	
أشهد أن لا إله إلا الله... لا يلقى الله بهما عبد فيهما فيحجب...	أبو هريرة			٢٢١
أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني	أبو موسى الأشعري	٥٩		
أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك	أبو هريرة	٣٧		
اعملوا! فكل ميسر	جابر بن عبد الله		١٧٤	
أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر... والمسيح الدجال	أبو هريرة	١٠١		
أفضل الإيمان أن يعلم العبد أن الله معه حيث كان	عبادة بن الصامت		١٤٥	
أفضل الذكر لا إله إلا الله	جابر بن عبد الله			٢٤٩
ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات	أبو هريرة	٢٩		
ألا إن العرب جمل آنف قد أخذت بخطامه... الحديث	عمر بن الخطاب		١٦٩	

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي وحشيتك	حديث مرسل	١٠٨		
اللهم احفظني بالإسلام قائما، واحفظني بالإسلام قاعدا	عمر بن الخطاب		١٣٦	
اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين	أنس وابن عباس	٩٥		
اللهم اعصمنا بحفظك وثبتنا على أمرك	عمر بن الخطاب		١٣٧	
اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك	معاذ بن جبل		١٦٧	
اللهم إني أسألك تمام النعمة	معاذ بن جبل	٣٠		
اللهم ارزقني حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يبلغني...	عبد الله بن يزيد الخطمي	١٠٨		
اللهم إنا نستعينك...	عمر بن الخطاب		١٦٧	
اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك...	أبو الدرداء	١٠٨		
اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة...	عبد الله بن عمر	١	١٣٠	
اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات	معاذ بن جبل	٢٣، ٧٦		
اللهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي	أم سلمة	١٠٤		
اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك حتى...	عمر بن عبدالعزيز		١٨٣	
اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة	أحمد بن حنبل		١٥٦	
اللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان...	عبدالله بن مسعود		١٦٧	
أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال بلى، ولكن ليس مفتاح...	وهب بن منبه			٢٢٣

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ... الحديث	عبدالله بن عمر			٢٢٥
أمر معاذ بن جبل أن لا يدع في دبر كل صلاة أن يقول: اللهم اعني...	معاذ بن جبل		١٦٧	
أمر النبي ﷺ أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن	عبد الله بن مسعود	١٠١		
أمر النبي ﷺ من طلعت عليه الشمس وقد صلى...	أبو هريرة	٢٥		
إن أحببت أن يلين قلبك فاطعم المسكين...	أبو هريرة	٨٨		
أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، أسألك...	عبد الله بن عباس	٩٩		
أنت عبد أراد الله بك خيرا	عبد الله بن مغفل			٢٤٠
أن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف		٦٥		
أنتم الغر المحجلون من إسباغ الوضوء	أبو هريرة	٣٣		
انظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فإنه اجدر...	أبو هريرة	٨٨		
إن عجزت فاستعن بمولاي... من مولاك؟ قال: الله	عبد الله بن الزبير		١٦٩	
إن آل محمد كذا وكذا أهل بيت ما لهم مد من طعام			١٦١	
إنا نرضى أن نكون أتباع لهم فاطردهم عنك	سعد بن أبي وقاص	٧٩		
إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله	أبوسلمة بن عبدالرحمن	١١٤		
إن أشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم	أبو هريرة	٣٦		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى	أبو موسى الأشعري	٤٤		
إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء	أبو هريرة	٣٣		
إن امرأة كانت فيه فخرجت في سرية من المسلمين	حميد بن هلال عن رجل		١٣٣	
إن أناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم	أنس بن مالك			٢٥١-٢٥٢
إن أول شيء خلق ربي: القلم، فقال له: اكتب...	ابن عباس		١٧٢	
إن أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك	قاله أبو بكر لعمر		١٩٥	
إن أول ما وصى الله آدم عند إهباطه إلى الأرض بحفظ فرجه	أبو إدريس الخولاني		١٢٩	
إن أول الناس بالله تعالى من بدأهم بالسلام	أبو أمامة	٦٤		
إن تمام النعمة: النجاة من النار ودخول الجنة	معاذ بن جبل	٣٠		
إن ذاك في قلبها	أبو موسى الأشعري	٩٤		
إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى لهم رضوا به	أم الدرداء		١٨٣	
أن رجلا دخل على النبي ﷺ فقال: السلام عليكم...	عمران بن حصين	٦٥		
أن رجلا قال: يا رسول الله! فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام	جابر بن عبد الله		١٧٤	
أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية فجعل يلاعبها	عبد الله بن مغفل			٢٤٠
أن رجلا من بني إسرائيل عبد الله سبعين سنة... الحديث	أبو موسى الأشعري	٥٩		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
أن رجلا منهم أخذ ضيفا من عند النبي ﷺ	أبو هريرة	٦١		
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار...	عائشة	٦٧		
أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه... فقال: لن يغلب	قتادة	٢٠٧		
إن شعار هذه الأمة على الصراط: لا إله إلا أنت	عبدالله بن عمرو بن العاص			٢٥٠-٢٥١
إن العبد إذا صلى الصلاة على وجهها صعدت إلى الله...	أنس بن مالك		١٣٧	
إن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين عاما	عبد الله بن عمرو	٨٣		
إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها	علي بن أبي طالب	٥٧		
إن في لساني... أين أنت على الاستغفار	حذيفة بن اليمان	١٠٧		
إنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة	أنس بن مالك	٥٢		
إن لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة ولها من الله...	عياض الأنصاري			٢٤٤
إن لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم...	أبو الدرداء		١٧٥	
إن لكم بكل خطوة حسنة	جابر بن عبد الله	٤٣		
إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا...	أنس بن مالك		١٨٣	
إن الله إذا أحب عبدا نادى يا جبريل...	أبو هريرة	٢٨		
إن الله إذا أراد بعبده خيرا عجل له عقوبته...	عبد الله بن مغفل			٢٤٠-٢٤١
إن الله إذا استودع شيئا حفظه	عبدالله بن عمر		١٣٧	

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته...	عمران بن حصين	٩٢		
إن الله إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له... الحديث	حديث مرفوع	٩٧		
إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به	أبو الدرداء		١٨٣	
إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا	عبد الله بن مسعود		١٨٣	
إن الله تعالى يقول لأهل الجنة إذا استدعاهم إلى زيارته			١٢٥	
إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك	عتبان بن مالك			٢٢٠
إن الله خلق القلم فأمره ليجري بإذنه وعظم قدر العلم	عبد الله بن عباس		١٧١	
إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا	أبو هريرة	٤٩		٢٣٦
إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات...	أبو ثعلبة الخشني		١٢٥	
إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات...	عبد الله بن عمرو		١٧٢	
إن الله يحب المسلمين في الدعاء	أبو هريرة		١٥٤	
إن الله يضحك إلى ثلاثة نفر: رجل قام من جوف الليل...	أبو هريرة	٣٨		
إن الله عز وجل يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك...	أبو هريرة	١٠٠		
إن لله ضنائن من عباده يغلوهم في رحمته... الحديث	عبد الله بن عمر	١٠٦		
إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله	عمر بن الخطاب	٩٦		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء...	علي ابن أبي طالب		١٣١	
إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله	معاذ بن جبل			٢٢٤
إن من سعادة المرء استخارة ربه عز وجل ورضا...	سعد ابن أبي وقاص		١٨٤	
إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله	أبو سعيد الخدري		١٧٧	
إن موسى عليه السلام قال لما ضرب البحر فانفلق	عبد الله بن مسعود		١٦٧	
إن موسى قال: يارب! علمني شيئا.. قال: قل..	أبو سعيد الخدري			٢٤٦
إن النبي ﷺ علمه أن يقول عند منامه: اللهم إن...	البراء بن عازب		١٣٥	
إن النبي ﷺ قال حيث لقي العدو: يا مالك...	أبو طلحة الأنصاري		١٦٩	
إن النبي ﷺ نهى عائشة عن مخالطة الأغنياء	عائشة	٨٩		
إن النصر مع الصبر	عبد الله بن عباس		١٩٧	
إن نوحا قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله	عبد الله بن عمرو			٢٤٦
إن يونس عليه السلام، لما دعا وهو في بطن الحوت...	أنس بن مالك		١٤٩	
إنه سئل عن الرجل يحب أن يكون لباسه حسنا ونعله حسنا	عبد الله بن مسعود	٩٣		
إنه ﷺ أعطي علم كل شيء خلا مفاتيح الغيب	عبد الله بن عمر	٢٦		
إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة	معاوية بن أبي سفيان	١٠١		
أنه لما أخر صلاة العشاء الآخرة ثم خرج فصلى بهم...	أنس بن مالك	٥٢		
إنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله	علي بن أبي طالب	٤٠		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
إنهم ملوك أهل الجنة	معاذ بن جبل	٨٤		
إني أحب سورة قل هو الله أحد... أخبروه أن الله يحبه	عائشة	١١٤		
إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة	معاذ بن جبل	٢٢		
إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله...	ابن عباس		١٢٢	
أوصاني رسول الله ﷺ أن أحب المساكين	أبو ذر الغفاري	٧٨		
أول شيء خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة	أبو هريرة		١٧٢	
أول الناس ورودا على الحوض: فقراء المهاجرين...	ثوبان	٨٣		
أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله...	عبادة بن الصامت	٥٧		
إياكم والدخول على أهل السعة فإنه مسخطة للرزق	عمر بن الخطاب	٨٩		
أيما أهل عرصة فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله	عبد الله بن عمر	٦٠		
أيما رجل قام إلى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه	أبو أمامة	٣٢		
أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة...	أبو سعيد الخدري	٥٦		
الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن	قول بعض السلف		١٨٠	
إيمان بالله ورسوله، وجهاد في سبيله...	عبادة بن الصامت	٥٧		
أين تريدين؟ تريدين أن تذهبي إلى أحسن من هذا المسجد	زياد مولى ابن عباس	٥٤		
أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام...	عبدالله بن سلام	٥٧		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
البذاذة من الإيمان	أبو أمامة الحارثي	٩١-٩٢		
بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام...	بريدة بن الحصيب	٤٦		
بل عبدا رسولا	عائشة	٩٦		
تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء	أبو هريرة	٣٣		
تحاجت الجنة والنار، فقالت الجنة: لا يدخلني إلا الضعفاء	أبو هريرة	٨٢		
تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة	أبو هريرة			٢١٩
تفضيل إطعام الإخوان على الصدقة على المساكين	أنس بن مالك	٦١		
تقول النار للمؤمن: حز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي	يعلي بن منية			٢٣٧
ثلاث من كن فيه وجد لهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله...	أنس بن مالك			٢٣٣-٢٣٤
جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله...	خباب بن الأرت	٧٩		
جددوا إيمانكم قالوا: كيف؟ قال: قولوا لا إله إلا الله	أبو هريرة			٢٤٥
الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة	جابر بن عبد الله	٦٤		
حديث: الاستخارة في عافية	ابن مسعود		١٨٤	
حديث: أنواع الصبر	علي بن أبي طالب		١٩٧	
حديث: الإفك	عائشة		١٦٨	

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
حديث: الثلاثة الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة	عبد الله بن عمر		١٣٩	
حديث: حذيفة في الفتن	حذيفة	١٠٢		
حديث زيد بن ثابت: أن ما أصابك لم يكن ليخطئك...	زيد بن ثابت		١٧٦	
حديث: السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل...	أبو هريرة	٥٣		
حديث السجلات والبطاقة	عبد الله بن عمرو			٢٤٦
حديث فيمن أتى بالشهادتين يدخل من أي أبواب الجنة الثمانية	عمر بن الخطاب			٢٥١
حديث قصة إبراهيم وسارة مع الجبار الذي طلبها	أبو هريرة		٢٠٠	
حديث قصة الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت...	كعب بن مالك			
حديث: الكفل من بني إسرائيل كان لا يتورع عن معصيته فأعجبته	عبد الله بن عمر		١٣٩	
حديث المرائين: العالم، والمجاهد، المتصدق للرياء	أبو هريرة			٢٣٧
حديث معاذ في المشي على الأقدام	معاذ	٤٤		
حديث مفاتيح الغيب	عبد الله بن عمر	٢٦		
حديث استسقاء النبي ﷺ يوم الجمعة وهو قائم	أنس بن مالك		١٩٨	
الحمد لله نستعينه ونستهديه...	ابن مسعود		١٦٦، ١٦٧	

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
الحمد لله اللهم بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها... الحديث	شداد بن أوس وعبادة بن الصامت			٢٤٤
الحمى تنهب الخطايا كما ينهب الكير الخبث	جابر بن عبد الله			٢٤٠
الحمية رأس الدواء	الحارث بن كلدة			٢٤٠
خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي.. لم فعلت كذا؟	أنس بن مالك		١٨١	
خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: أتدرون...	عبد الله بن عمرو		١٧٣	
خرج النبي ﷺ يوما مسرورا فرحا...	أرسله الحسن		٢٠٦	
خلق الله كل نفس وكتب حياتها ورزقها ومصائبها...	ابن مسعود		١٧٣	
خيركم من أطعم الطعام	صهيب	٥٩		
الدعاء هو العبادة	النعمان بن بشير		١٦٦	
دعوه فلو قدر شيء كان			١٨١	
دعوها فإنها جبارة	عبد الله بن قيس	٩٣		
ذلك بأني جواد وأجد ماجد أفعل ما أريد... الحديث	أبو ذر		١٥٧	
رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا	عثمان بن عفان	٣٠		
رأيت النبي ﷺ يدعو بعرفة ويداه إلى صدره...	ابن عباس	٩٩		
رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره	أبو هريرة	٨٥		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
رجل قلبه معلق بالمسجد	أبو هريرة	٥٣		
رجلان من أمتي يقوم أحدهما من الليل يعالج نفسه إلى الطهور	عقبة بن عامر	٣٨		
سئل النبي ﷺ عن أهل الجنة؟ فقال: كل ضعيف...	حارثة بن وهب	٨٣		
سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء وسبحان مستخرج الشكر...	مأثور عن داود عليه السلام		٢١٠	
سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك	أبو سعيد الخدري	٤٧		
سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة	عبد الله بن عمرو		١٧٣	
سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يسأل	عبد الله بن مسعود		١٥٤	
سمع النبي ﷺ مؤذنا يقول: أشهد أن لا إله ...	أنس			٢٤٤
الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفاء في الليلة الظلماء...	عائشة			٢٣٢
الصبر عند الصدمة الأولى	أنس بن مالك		١٨٨	
صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته	أبو هريرة	٤١		
الصلاة مثنى مثنى، تشهد في كل ركعتين... وتمسكن...	الفضل بن عباس	٩٨		
الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان...	أبو هريرة	٤٨-٤٩		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع...	عبد الله بن عمرو	٥١		
ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره	أبو رزين العقيلي		١٩٨	
الطريق الطريق للنبي ﷺ فقالت: الطريق يمنة ويسرة	أبو موسى الأشعري	٩٣		
الطهور شطر الإيمان	أبو مالك الأشعري	٣٤		
عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يا رب	أبو أمامة		٢١٣	
علم الله يوم الغيث أنه يشرف عليكم أزلين قنطين...	أبو رزين العقيلي		١٩٨	
الغدو والرواح إلى المساجد من الجهاد في سبيل الله عز وجل	أبو أمامة	٥٤		
فإذا أتى المسجد ثم قعد فيه كان كالصائم القانت...	عقبة بن عامر	٥٣		
فإذا فعلوا ذلك منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها...	ابن عمر وأنس			٢٢٦
فأعطاني الله لذلك أن جعلني سيد ولد آدم وأول شافع	مرسل عن الحسن	٩٦		
فإن استطعت أن تعمل بالرضا في اليقين، فافعل...	ابن عباس		١٨٠	
فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا	ابن عباس		١٨٧	
فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي	أبو هريرة			٢٣٤
فتجلى لي ما بين السماء والأرض	معاذ بن جبل	٢٤		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة...	حذيفة	١٠٧		
فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا...	أبو هريرة	٤٨		
فرغ الله إلى كل عبد من خمس: من أجله ورزقه وأثره...	أبو الدرداء		١٧٣	
فضل الدار القريبة من المسجد على الدار البعيدة الشاسعة	حذيفة بن اليمان	٤٤		
ففيم العمل يا رسول الله ؟ إن كان أمر قد فرغ منه؟	عبد الله بن عمرو		١٧٣	
فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي...	خباب بن الأرت	٨٠		
فلا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذا؟	بشير بن الخصاصية			٢٢٥
القاعد يرعى الصلاة كالقانت وكتب من المصلين...	عقبة بن عامر	٥٢		
قال عمر: وجدنا خير عيشنا الصبر	عمر بن الخطاب		١٨٩	
قال هرقل لأبي سفيان: وهل يتبعه أشراف الناس...	ابن عباس		١٩٥	
قد جمع الله لك ذلك كله	أبي بن كعب	٤٥		
قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر	جابر بن عبد الله			١٩٥
قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين	أسامة بن زيد	٨٢		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
كان جعفر بن أبي طالب يحب المساكين... وكان النبي ﷺ يكنيه أبا المساكين	أبو هريرة	٨١		
كان رجل لا أعلم رجلا أبعد... كان لا تخطئه صلاة...	أبي بن كعب	٤٥		
كان الرسول ﷺ وأصحابه يشدون على بطونهم الحجارة من الجوع	أبو هريرة		١٩١	
كان النبي ﷺ إذا ودع من يريد السفر... استودع الله	ابن عمر		١٣٦	
كان النبي ﷺ جالسا وحياله جحر	أنس بن مالك	٢٠٦		
كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرجل فقال: يا معاذ...	معاذ بن جبل			٢٢٠
كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ما بين ذلك	عائشة	٧٦		
كان النبي ﷺ يقول في خطبته ويعلم أصحابه	ابن مسعود		١٦٦	
كانت دارنا نائية عن المسجد فأردنا أن نبيع بيوتنا	جابر بن عبد الله	٤٣		
كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فأصابتهم	أبوهريرة أو أبوسعيد			٢٢٠
كفى بالمرء فتنة أن يشار إليه بالأصابع	عمران بن حصين	١٠٣، ١٠٤		
كل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة	أبو هريرة	٤١		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
كما أنتم على مصافكم	معاذ بن جبل	٢٢		
كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره		٨٤		
كنت رديف النبي ﷺ فقال: يا غلام...	ابن عباس		١٢٢	
كونوا جدد القلب، خلقان الثياب، سرج الليل	ابن مسعود	٨٥		
لأن أجمع أناسا من إخواني على صاع من طعام أحب إلي...	علي بن أبي طالب	٦٢		
لا إله إلا الله أفضل ما قاله النبيون... الحديث	طلحة بن عبيد مرسلا عبدالله بن عمر مرفوعا			٢٤٨ ٢٤٨
لا إله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل	أم هانىء بنت أبي طالب			٢٤٥
لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب، حتى تصل إليه	عبد الله بن عمرو			٢٤٧
لا إله إلا الله الملك الحق المبين	حديث مرسل			٢٥٠
لا يل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير	جابر بن عبد الله		١٧٤	
لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا...	زيد بن أرقم			٢٢٩
لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان	حذيفة			٢٢٨
لا تكثر همك ما يقدر يكن، وما ترزق يأتيك	مرسل		١٨١	
لا حول ولا قوة إلا بالله.. دواء من تسعة وتسعين داء	أبو هريرة		١٨١	
لا يأنف ﷺ أن يمشي مع الأرملة...	عبد الله بن أبي أوفى	٨٠		
لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن	ثوبان		١٢٦	
لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يخلق وجهه	ابن مسعود		١٥٥	

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه	أبو هريرة		١٤٥	
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق...	أبو هريرة	١١٠		
لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فمن أحب القرآن...	ابن مسعود	١١٤		
لا يشبع المؤمن دون جاره	ابن عباس	٦٠		
لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين	الحسن		٢٠٦	
لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته...	صهيب		١٨٢	
لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته...	صهيب		٢١٣	
لا يقل أحدكم أعوذ بالله من الفتن ولكن ليقل... من مضلات الفتن	عبد الله بن مسعود	١٠٤		
لا يوطن رجل المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله	أبو هريرة	٥٣		
لقد عجب الله من صنيعكما الليلة	أبو هريرة	٦١		
لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال	كعب بن عياض	١٠٥		
لما بشر ﷺ عثمان بالجنة على بلوى تصيبه...	أبو موسى الأشعري		١٦٨	
لما طول أبوبكر في صلاة الفجر وقرأ بالبقرة	أبو بكر	٢٥		
لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات	عبد الله بن عمر		١٣٠	
لم يكن ﷺ فحاشا ولا متفحشا	عبد الله بن عمرو	٦٦		
لن يغلب عسر يسرين	ابن عباس		٢٠٧	

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه	ابن مسعود		٢٠٧	
لو جاء العسر حتى يدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يخرجه	أنس بن مالك		٢٠٦	
لو جاء العسر فدخل هذا الجحر حتى يدخل عليه... الحديث	أنس بن مالك			٢٠٦
لو طلعت لم تجدنا غافلين	أبو بكر الصديق	٢٥		
له معقبات... الآية، هم الملائكة يحفظونه بأمر الله	ابن عباس		١٣٠	
ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله	أنس بن مالك		١٥٤	
ليس ذلك بالكبر، إنما الكبر: بطر الحق وغمط الناس	ابن مسعود	٩٣		
ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه...	أبو هريرة		١٩٦	
ليس عدوك الذي إذا قتلك الجنة... أعدى عدوك	أبو مالك الأشجعي		١٩٥	
ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم	عبدالله بن عمر			٢٥٠
لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت...	أبو هريرة	١٠٠		
ما آمن من بات شبعانا وجاره طاويا	عبد الله بن عباس	٦٠		
ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله	أبو هريرة	٥٢		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
ما اخلاصها يا رسول الله؟ قال: أن تحجزك عما حرم الله...	أبو سعيد			٢٢٧
ما تحت ظل السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع	أبو أمامة			٢٢٩
ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء	أسامة بن زيد		١٠٤	
ما ظنك باثنين الله ثالثهما	أنس بن مالك		١٤٤	
ما فرق هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ويهلكون...	ابن عباس	٢٧		
ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء	أبو هريرة			٢٤٧
ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها...	عثمان بن عفان	٤٩		
ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب إلا قول لا إله إلا الله	ابن عباس			٢٤٧
ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن	مجاهد		١٣١	
ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك...	أبو ذر الغفاري			٢٢١
ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله	معاذ بن جبل			٢٢٠
ما من عبد يهل تهليلة فينهنهها شيء دون العرش	أبو أمامة			٢٤٧
ما منكم من رجل يقرب وضوءه فيتمضمض...	عمر بن عبسة	٣١		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
ما من مسلم يتوضأ ويغسل يديه ويمضمض فاه...	أبو أمامة	٣٢		
ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه	عمر بن عبدالعزيز		١٣٢	
ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني... حتى انظر	الحسن			٢٣٤
ما وسعني سماواتي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي	من الإسرائيليات			٢٣٥
المجاهد من جاهد نفسه في الله	فضالة بن عبيد		١٩٥	
مرحبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي			١٢٥	
المسكين خير من ملء الأرض من الغنى	سهل بن سعد	٨٤		
الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث...	أبو هريرة	٥٢		
منتظر الصلاة بعد الصلاة كفارس اشتد به فرسه...	أبو هريرة	٥١		
من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس...	أبو هريرة	٢٥		
من أشراط الساعة: السلام بالمعرفة	ابن مسعود	٦٥		
من أصبح وهمه غير الله فليس من الله	حذيفة			٢٣٨
من ألف المسجد ألفه الله	أبو سعيد الخدري	٥٣		
من أول الناس إجازة على الصراط... فقراء المهاجرين	ثوبان	٨٣		
من ترك ثوب الجمال... كساه الله حلة الكرامة...	سهل بن معاذ عن أبيه	٩٢		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
من ترك اللباس تواضعا لله عز وجل... دعاه الله يوم القيامة	معاذ بن أنس	٩٢		
من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله...	أبو هريرة	٤١		
من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد	سلمان	٤٤		
من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة	عقبة بن عامر	٤٢		
من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله	عمر بن الخطاب	٣٣		
من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه...	عثمان بن عفان	٣١		
من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال عند فراغه...	أبو سعيد الخدري	٤٧		
من توضأ فأسبغ الوضوء غفر له ما تقدم...	عثمان بن عفان	٣٤		
من توضأ هكذا غفر ما تقدم من ذنبه...	عثمان بن عفان	٣٤		
من جلس في المسجد فإنما يجالس الله عز وجل	سعيد بن المسيب	٥٣		
من حافظ عليها... كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة	عبادة بن الصامت		١٢٦	
من حافظ عليهن كن له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة	عبد الله بن عمرو		١٢٦	
من حفظ ما بين فقميه وفرجه دخل الجنة	أبو موسى الأشعري		١٢٨	
من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة	أبو هريرة		١٢٨	
من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فأجره...	أبو أمامة	٤٢		
من رأى منكم الليلة رؤيا	سمرة بن جندب	٢٦		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء	أبو هريرة		١٤٩	
من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا	أبو هريرة			٢٢٤
من شهد أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه حرم الله عليه النار	عبادة بن الصامت			٢٣٩
من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار	عبادة بن الصامت			٢٢١
من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له...	عبادة بن الصامت			٢٢٢
من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل	عثمان بن عفان	٤٥		
من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب	أوس بن أوس	٤٣		
من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من...	ابن عباس	٢٩		
من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له...	عبادة بن الصامت			٢٥١
من قال لا إله إلا الله... قد دل بها لسانه واطمأن...	أبو سعيد			٢٢٧
من قال لا إله إلا الله مخلصا	أبو سعيد			٢٢٧
من قال لا إله إلا الله مستيقنا				٢٢٧
من قال لا إله إلا الله نضعته يوما من دهره...	أبو هريرة			٢٢٢
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك...	أبو هريرة			٢٤٩

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك...	رجلان من الصحابة			٢٤٧
من قال لا إله إلا الله يصدق قلبه لسانه				٢٢٧
من قال لا إله إلا الله يقولها من قلبه				٢٢٧
من قالها إذا دخل السوق، و... يحيي ويميت... الحديث	عبد الله بن عمر			٢٤٩
من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس...	أبو أيوب الأنصاري			٢٤٩
من كان آخر كلامه... دخل الجنة	معاذ			٢٤٤
من كان يحب أن يعلم مترلته عند الله فلينظر كيف...	جابر بن عبد الله		١٤٢	
من لا يسأل الله يغضب عليه	أبو هريرة		١٥٤	
من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال		٣٥		
من وعظ أخاه سرا فقد زانه ومن وعظه علانية...	أم الدرداء	٦٨		
من يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد خيرا... الحديث	أبو سعيد الخدري		١٨٩	
من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة	سهل بن سعد		١٢٨	
مهما يترل بامرىء من شدة إلا يجعل الله بعدها فرجا	عمر بن الخطاب		٢٠٧	
هكذا تكون الفضائل	أنس	٦٥		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
هذا كتاب من ر ب العالمين... فيه أسماء أهل الجنة	عبد الله بن عمرو		١٧٣	
هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك بؤس قط...	أنس		١٩٢	
هل من سائل فاعطيه سؤاله، هل من داع...	أبو هريرة		١٥٩	
وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك...	ابن عباس	١٠٠		
وأسألك الرضا بعد القضاء	عمار بن ياسر		١٨٨	
وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط...	أبو هريرة	٥١		
وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن	زيد بن ثابت	١٠١		
ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة...	عبد الرحمن بن سمرة			٢٥١
وصف علي أنه كان يعظم أهل الدين...	ضرار بن مرة	٨١		
وفي دعاء القنوت الذي كان يدعو به عمر وغيره			١٦٧	
وقد وصى النبي ﷺ رجلا، فقال: لا تتهم الله في شيء...	عبادة بن الصامت		١٨٢	
... والكلمة الطيبة صدقة	أبو هريرة	٦٤		
ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته	أبو هريرة	١٠٠		
ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...	أبو هريرة		١٤٧	٢٣٤
والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا...	أبو هريرة	٦٤		
والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن يبسط	المسور بن مخرمة	١٠٥		
وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء افترضت...	أبو هريرة	١١٣، ١١٤		
وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه	عبد الله بن عمرو	٢٧		

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
وما الحج المبرور؟ قال: إطعام الطعام ولين الكلام	جابر بن عبد الله	٦٤		
ومن فعل ذلك عاش بخير... وكان من خطيئته...	معاذ بن جبل	٢٣		
يا أباذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد	أبو ذر	٦٠		
يا بني سلمه! ألا تحتسبون آثاركم؟	أنس بن مالك	٤٣		
يا بني! لأزيدن في صلاتي من أجلك...	سعيد بن المسيب		١٣٢	
يا رب! أعني ولا تعن علي	ابن عباس		١٦٧	
يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة... تعبد الله	أبو أيوب			٢٢٤
يا رسول الله! دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني...	هانىء بن يزيد	٥٨		
يا رسول الله! علمني عملا يقربني من الجنة ويباعدني...	أبو ذر			٢٤٥
يا رسول الله! كيف أصنع باليقين؟ قال: أن تعلم...	ابن عباس	١٨٠		
يا عائشة! أحبي المساكين وقربيهم	عائشة	٧٨		
يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم...	أبو ذر		١٥٧	
يا غلام! ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن...	ابن عباس		١٢٢	
يا غلام! إني محدثك حديثا: احفظ الله يحفظك	ابن عباس		١٢٢	
يا مالك يوم الدين! إياك نعبد وإياك نستعين	أبو طلحة الأنصاري		١٦٩	
يا محمد! أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى	معاذ بن جبل	٢٢		
يحول بين المرء... يحول بين المؤمنين وبين المعصية	عبد الله بن عباس		١٣٧	

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت...	أبو هريرة		٢١٢	
يفزع الناس ولا يفزعون	بريدة بن الحصيب	٤٦		
يقول الله: وعزتي وجلالي وكبريائي... لأخرجن...	أنس			٢٥١
يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين...	أبو هريرة	٧٠-٧١		
يقول الله عز وجل: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه...	أنس بن مالك		١٤٠	

٣ - فهرس الأعلام والتراجم(*) مرتبة على حروف المعجم مع الدلالة على موضع وروده في الجامع

الأعـــلام والـــتراجـــم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
آدم بن أبي إياس		١٥١	
إبراهيم بن أدهم	٦٩	١٣٤، ١٦٣، ١٨٦ت، ١٩١ت	
إبراهيم التيمي		١٨٩	
أبو إبراهيم السائح		١٣٤	
أبي بن كعب	٤٥		
أحمد ابن أبي الحواري	٩٤		
أحمد بن عاصم الأنطاكي		١٤٨	
الأحنف بن قيس		١٩٠، ١٩٦	
أبو إدريس الخولاني: عائذ الله بن عبد الله		١٢٩ت	
أدهم: إبراهيم بن أدهم		١١٦ت	
إسحاق بن عباد البصري		١٦١، ١٦٢	
ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار			٢٣٥ت
أصبغ بن زيد		١٦٣ت	
الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل	٢٢، ٦١	١٩١	
أبو أمامة: صدي بن عجلان	٣٢	٢١٣	٢٢٩ت، ٢٤٧
أنس: أنس بن مالك	٤٣	١٤٩، ١٩٥	٢٢٢
الأوزاعي: عبدالرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو		١٦٤ت	

(*) العلم الذي عليه رمز (ت) يعني أن له ترجمة في هذا الموضع.

الأعـــلام والــتراجــم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
أوس بن أوس	٤٣، ٤٤		
أويس: أويس القرني		١٩١	
أبو أيوب: خالد بن زيد بن كليب الأنصاري			٢٢٤ت، ٢٤٩
البراء بن عازب		١٣٥	
بريدة بن الحصيب	٤٦		
البزار: أحمد بن عمرو بن عبدالخالق أبوبكر		٢٠٦	٢٢٢ت
بشر: بشر بن الحارث المروزي	١١٧ت	١٤٠	
بشر بن السري أبو عمرو الزاهد			٢٣٢ت
بشير بن الخصاصية			٢٢٥ت
البطال: عبد الله أبو محمد		١٩٤ت	
ابن بطة: عبيد الله بن محمد بن حمدان		١٧٢	
أبو بكر الصديق	٢٥	١٣٢، ١٥٥	
بكر المزني: بكر بن عبد الله بن عمرو		١٦٠ت	
بلال: بلال بن أبي رباح	٧٩		
بنان الحمال: بنان بن محمد بن حمدان أبو الحسن		١٤٥ت	
أبو تراب: لعله يحيى بن إبراهيم أبوتراب الكوفي		١٨٦ت	
الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الإمام	٢٣	١٢٣	
التنوخي: لعله أحمد بن عبد الله أبو العلاء التنوخي		٢٠٢ت	
ثابت البناني: ثابت بن أسلم أبو محمد البصري		١٥٣ت، ٢١٠	
أبو ثعلبة الخشني		١٢٥	
جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي المعروف	٤٣	١٤٢	
ابن جرير: محمد بن جرير الطبري		١٤٩، ٢٠٦	

الأعلام والتراجم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
أبو جعفر السائح		١٤٧	
أبو جعفر: محمد بن علي			
جعفر بن أبي طالب	٨١		
الجنيد: الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي الصوفي		١١٦ت، ١٣١، ١٨٥ت	
حاتم الأصم: حاتم بن عنوان بن يوسف		٢٠٥ت	
ابن أبي حاتم: عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي		١٤٩، ١٨٠، ٢٠٦	
أبو حازم الزاهد: سلمة بن دينار	٨٧ت		
حبيب: حبيب العجمي	٧٣ت		
حبيب أبو محمد		١٤٧ت	
الحجاج: الحجاج بن يوسف		١٤٨	
حذيفة بن اليمان	٤٤	١٠٢ت	
أبو الحسن بن الجهضم		٢٠٥	
أبو الحسن بن بشار	٩٤		
الحسن: الحسن بن أبي الحسن البصري	٢٦، ٤٦، ٦٨ت	١٤٠، ١٥٠، ١٨٩، ٢٠٦	٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٤
الحسن بن سفيان الفسوي الحافظ		١٦٤-١٦٥ت	
أبو حفص بن شاهين		٢٠٠	
الحسن: الحسن بن علي بن أبي طالب	٨١		
الحكم بن أبان العدني		١٣٥ت	
الحكم بن عمرو الغفاري		١٣٤	

الأعـــلام والــتراجـــم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
الحكم بن موسى أبو صالح البغدادي		١٦٣ت	
حميد بن حماد بن أبي الخوار		٢٠٦ت	
حميد بن هلال		١٣٢	
حنش الصنعاني		١٢٢ت	
خالد بن الوليد		١٦٩	
خباب بن الأرت	٧٩		
ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر		١٦٥	
أبو الخير الأقطع		١٥٦	
داود الطائي: داود بن نصير أبو سليمان	٦١		٢٣٩ت
أبو داود: سليمان بن الأشعث صاحب السنن		١٣٠	
دراج أبو السميح	٥٣ت		
أبو الدرداء		١٧٣، ١٨٣	
أم الدرداء	٦٨ت	١٨٣	
ابن أبي الدنيا	١٠٦	١٤٩، ١٦٤، ١٨١	٢٣٤
أبو ذر: جندب بن جنادة الغفاري	٦٠، ١٥٥		٢٢١ت، ٢٣٤
أبو ذر: أبو ذر الهروي الحافظ		٢٠٠	
ذو النون: ثوبان بن إبراهيم	١١٤ت		٢٣٢ت
رابعة: رابعة بنت إسماعيل العدوية		١١٧ت	
الربيع بن خثيم	٦٢ت	١٣٣ت	
أبو رزين العقيلي		١٩٨	
رشدين بن سعد		١٤٩ت	
رويم: رويم بن أحمد بن يزيد أبو محمد			٢٣٣ت

الأعـــلام والـــتراجـــم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
زبيد اليامي: زبيد بن الحارث	٣٦ت		
الزبير بن العوام		١٦٩	
الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله	٨٧ت		٢٢٦ت
زياد مولى ابن عباس	٥٤		
زيد بن أرقم			٢٢٨
زيد بن أسلم أبو أسامة المدني	٨٧	١٥٢	٢٤٠ت
زيد بن ثابت		١٧٦	
زينب بنت جحش	١٠٣		
زينب بنت خزيمة أم المؤمنين	٨١		
سالم بن عبد الله	٦٩		
السري: السري بن المغلس البغدادي	٧٣ت	١١٦ت	
سعد بن سنان		١٩٥	
سعد: سعد بن أبي وقاص	٧٩	١٨٤	
سعيد بن جبير		١٨٠، ١٩٧	
أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان	٣٨	١٢٣، ١٧٧	٢٢٠، ٢٤٦
سيعد بن عامر	٣٦ت		
سعيد بن عبدالعزيز أبو محمد التنوخي		٢١٠ت	
سعيد بن المسيب	٥٣		
سفيان: سفيان بن سعيد الثوري	٦٨	١٩١	
أبو سفيان بن أمية	٨٤		
سفينة مولى النبي ﷺ		١٣٤	
سلمان: سلمان الفارسي	٤٤، ٤٨	١٥٠	

الأعـــلام والـــتراجـــم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
الشيخ أبو الفرج: علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني		١٦٤ت	
صالح بن عبدالكريم		١٤٢	
الصديق: أبو بكر الصديق			٢٢٥
الصنابحي: عبدالرحمن بن عسيلة أبو عبد الله المرادي	٣١، ٣٢ت		
صهيب: صهيب الرومي الصحابي	٥٩		
الضحاك: الضحاك بن مزاحم الهلالي		١٧١ت	
الضحاك بن قيس		١٤٩ت	
أبو الضحى: مسلم بن صبيح الكوني		١٧٢ت	
ضرار بن مرة	٨١		
ابن طاوس: عبد الله	٢٧		
طاوس بن كيسان	٢٧، ٩٩	١٥٩ت	
الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب	١٣٧		٢٥٠ت
أبو طلحة: زيد بن سهل الأنصاري		١٦٨ت	
أبو الطيب الطبري: طاهر بن عبد الله بن طاهر		١٣١ت	
أبو ظبيان: حصين بن جندب الجنبي		١٧١ت	
عائذ بن شريح		٢٠٦	
عائشة بنت أبي بكر الصديق	٧٨	١٣٣، ١٨١	٢٣٢
عامر بن عبد قيس		١١٠ت	
عامر بن عبد الله بن الزبير		١٦٩	
عبادة بن الصامت	٥٧	١٧٢	٢٤٤
العباس بن الأحنف		١٩٦	

الأعـــلام والـــتراجـــم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
عثمان: عثمان بن عفان	٣٠		
عطاء: عطاء بن أبي رباح أسلم المكي	٤٨ت	١٢٣	
عطاء السليمي	٣٧ت		
عطاء: عطاء بن أبي مسلم		١٥٩ت	
عطاء بن يسار	٣٩		
عطية	٣٨		
عقبة بن عامر	٣٨		
ابن عقيل: علي بن عقيل بن محمد		١٥١ت	
العقيلي:		١٢٣	
عكرمة: عكرمة أبو عبدالله البربري		١٢٣	
علقمة: علقمة بن يزيد		١٨٢	
علي بن باكوبه الصوفي		١٥١	
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	٣٧ت، ٨٧		
علي بن أبي طالب	٤٠	١٢، ١٣١، ١٤١	
علي بن أبي طلحة		١٥٢	
علي بن عبد الله بن عباس		١٢٣، ١٨٠	
عمار: عمار بن ياسر	٧٩		
عمر: عمر بن الخطاب	٣٣	١٣، ١٨٨، ١٩٨	٢٢٥
عمر بن عبد العزيز	٩١	١٣، ١٨٣، ١٩٠	
ابن عمر: عبد الله بن عمر	٦٠	١٣٩	٢٢٦، ٢٤٧، ٢٤٩
عمر مولى غفرة		١٢٣، ١٨٠	

الأعـــلام والـــتراجـــم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
ابن ماجة: محمد بن يزيد		١٣٠	
أبو مالك الأشجعي		١٩٥	
أبو مالك الأشعري	٣٤		
مالك بن دينار	٦١، ٦٩		
ابن المبارك: عبد الله بن المبارك	٦١	١٨٨	
مبارك بن فضالة		٢٠٦	
مجاهد: مجاهد بن جبير		١٣١، ١٩٠	٢٣١ت
المحاسبي: الحارث بن أسد أبو عبدالله			٢٤٢ت
محمد بن إسماعيل البخاري	٢٣		
محمد بن جحادة	٧٤ت		
محمد بن جرير الطبري		١٦٥	
محمد بن علوية الوراق		١٦٥	
محمد بن علي أبو جعفر	٦٢	٢١٠	
محمد بن كعب القرظي	٣٠ت		
محمد بن المنكدر		١٣٢، ٢١٠	
محمد بن نصر المروزي		١٦٥	
محمد بن هارون الروياني		١٦٥	
محمود بن لبيد	١٠٧		
مسروق: مسروق بن الأجدع		١٤٣	
ابن مسعود: عبد الله بن مسعود	٦٤	١٢٨، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٨، ٢٠٧	
ابن المسيب: سعيد بن المسيب		١٣٢	

الأعلام والتراجم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
مطرف بن عبدالله	٨٢، ٩٨		
معاذ بن جبل	٢٢، ٢٦، ٣٣		٢٢٠
المعافى بن زكريا النهرواني		٢٠٣	
معاوية بن قرة		٢٠٧	
معروف الكرخي: معروف بن فيروز أبو محفوظ		١٣٧ت	
معمر: معمر بن راشد	٢٧	٢٠٦	
المقداد: المقداد بن الأسود	٧٩		
أبو مكي		١٣٥	
ابن أبي مليكة: عبدالله بن أبي مليكة		١٢٣	
منصور بن زاذان	٣٧ت		
أبو موسى الأشعري: عبدالله بن قيس	٤٣	١٢٨	
ميمون بن مهران		١٦٠ت	١٩٧
النخعي: إبراهيم بن يزيد بن قيس		١٥٠ت	
النسائي: أحمد بن شعيب بن علي		١٣٠	
النضر بن عربي أبو روح الحراني			٢٥٠ت
أم هانىء بنت أبي طالب			٢٤٥ت
هانىء بن يزيد	٥٨ت		
أبو هريرة	٢٨، ٣٤	١٢٨	٢٢٠
أبو الهيثم	٥٣		
وضاح بن خيثمة		٢٠٤	
وهب بن منبه أبو عبد الله اليافي		١٥٩ت، ٢١٣ت	٢٢٣ت

الأعــــلام والــتراجــم	موضع ورودها في الجامع		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كهيل		١٣٢	
يحيى بن معاذ		١٥٨، ١٩١	٢٣٣
أبو يزيد البسطامي	٩٧		
يزيد بن أبي حبيب		١٢٧	
يزيد الرقاشي: يزيد بن أبان	٧٣ت	١٤٩	
يزيد بن أبي مسلم		٢٠٤	
أبو يعقوب النهرجوري: إسحاق بن محمد الصوفي			٢٣٢ت
أبو يعلى	٩٦		
يوسف بن الحسين		١٥٦	
يونس		٢٠٧	

٤- فهرس الكلمات الغريبة المشروحة مرتبة على حروف المعجم.

الكلمات الغريبة	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
أخلاق رثة	٤٠		
الازدراء	٨٨		
أشفار عينية	٣٢		
انتقش			٢٣٠
انتكس			٢٣٠
بحر لجي			٢٥٢
البراطيل			٢٣٧
البش	٥٣		
بطر الحق	٩٣		
بكر	٤٣		
البهرج		٢٣٧	
تبجحوا	٣٧		
التجاه		١٢٢	
تجوز	٢٢		
تدكدكت			٢٣١
الترهات	١١٢		
تعس			٢٣٠
التغليس	٢٤		
تناهدوا		١٦٣	
الحشاشة		١١٧	
الحش		٦٢	
الخداج	٩٨		
خرج		٢٠٢	
خرف يخرف		١٣١	

الكلمات الغريبة	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
الخميصة			٢٣٠
ذرب لسانه	١٠٧		
الرمضاء	٤٥		
زبره	٦٨		
السبرات	٢٤		
السدة		١٣٥	
السراء	١٠٦		
شهق		١٤٧	
صورة الرب	٢٢		
الصيصة		١٣٣	
الفراء	١٠٦		
الضنائن	١٠٦		
طاو	٦٠		
طمرين	٨٥		
الطنب			٢٢٣
الظلماء	٤٥		
العرصة	٦٠		
غسل واغتسل	٤٣		
غمط الناس	٩٣		
الغيضة	١٣٨		
فتر	٣٩		
فقميه		١٢٨	
الفيح	٤٠		
القطيفة			٢٣٠
قعقعة	٣٦		
القهوى	٩٤		
كتاف		٢٠٥	

كلمة الإخلاص	نور الاقتباس	اختيار الأولى	الكلمات الغريبة
	١٣٢		الكحة
		٤١	الكن
	١٣٥		المردية
	١٩١		المزابل
	١٥٦		المزعة
		٦٢	المعتوه
٢٤١			المكوكب
		٢٢	الملأ
		٦٧	الندى
		٢٢١	نطع
	٢٠٠		الهميان
		٣٩	هنف
٢٣٩			الوصمة
	١٨٠		يزوى
٢٤٧			ينهنه
	١٣٤		يهمهم همهمة
		٩٥	يهنؤ

٥- فهرس المصطلحات الحديثية عند الإمام الحافظ ابن رجب البغدادي مرتبة على حروف المعجم مع ذكر ورودها في الجامع.

المصطلحات الحديثية	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
أجود أسانيده من رواية حنش		١٢٤	
أسانيد الحديث لينة		١٢٣	
إسناد حسن		١٢٤	
إسناد ضعيف		١٧٢، ١٨٠، ١٩٥، ٢٢٩	
إسناد فيه نظر		١٨١	
إسناده لا بأس به	٣٤		
إسناد منقطع	٤٤	١٢٢	٢٢٤، ٢٢٨
إسنادهما ـــ أي الحديثين ـــ لا يصح			٢٢٨
الحديث الإلهي = الحديث القدسي		١٤٥، ١٤٧	٢٣٤
الحديث الصحيح	٢٨	١٨٢	٢٢٩
حديث مرسل	١٠٨	١٨١، ١٩٥	٢٢٩
حديث مرفوع... لا يثبت		١٩٧	
الحديث المشهور	٩٧		
حسن صحيح	٢٣		
حميد بن حماد ضعفوه		٢٠٦	
في أسانيدهما مقال		١٢٣	
لابأس به		١٢٤	
لا يثبت رفعه		١٧٢	
المراسيل	٢٦		
مراسيل الحسن			٢٢٨
المرفوع	٢٦، ٤٧	١٢٥، ١٤١، ١٨٣	
مرفوع من وجوه ضعيفة		٢١٠	
الموقوف	٢٦، ٤٧		
الناسخ والمنسوخ			٢٢٧

٦ - فهرس الموارد أو أسماء الكتب الواردة في الجامع مع ذكر أسماء مؤلفيها على ترتيب حروف المعجم.

اسم الكتاب مع مؤلفه	موضع وروده		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم	٣٤		
التاريخ الكبير (لعله الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني		١٦٤	
تفسير ابن جرير = جامع البيان عن آي القرآن		٢٠٦	
تفسير ابن أبي حاتم		٢٠٦	
الزهد للإمام أحمد	٣٩		
السنة لابن أبي عاصم	٣٤		
سنن الترمذي	٢٣، ٣١، ٥٢	١٢٣، ١٣٩، ١٧٢	٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩
سنن أبي داود	٤٢	١٣١، ١٣٩، ١٧٢	
سنن ابن ماجة	٣١، ٣٦	١٣١، ١٣٩	٢٤٥
سنن النسائي	٢٧، ٣١	١٣١، ١٣٩، ١٧٣	٢٤٨
شرح الترمذي = شرح علل الترمذي	٢٣	١٢٤	
صحيح البخاري	٣٣، ٤١	١٢٨، ١٣٥	٢٢٠، ٢٢١
صحيح الحاكم = المستدرك على الصحيحين	٦٠		٢٣٢
صحيح ابن حبان	٣٨، ٤٢	١٣٦	٢٤٠، ٢٤٨
صحيح مسلم	٣٠، ٣١، ٣٣، ٤١	١٣٦، ١٧٢	٢٢٠، ٢٢١
صيد الخاطر لأبي الفرج ابن الجوزي		١٢٤	
عمل اليوم والليلة للنسائي		١٣٧	٢٤٨
كتاب ابن بطة		١٧٢	
كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا		١٦٤، ٢٠٠، ٢٠٤	٢٣٤
كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا		١٦٤، ٢٠٠	
كتاب المستغيثين بالله عند نزول البلاء لأبي القاسم بن بشكوال		١٦٤، ٢٠٠	

اسم الكتاب مع مؤلفه	موضع وروده		
	اختيار الأولى	نور الاقتباس	كلمة الإخلاص
كتاب المستصرخين بالله عند نزول البلاء للقـــاضي أبي الوليد بن الصفار		١٦٤	
المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم		١٢٨، ١٨١	
مسند الإمام أحمد	٢٢، ٢٧، ٣٢، ٤٢	١٢٢، ١٢٨، ١٣١، ١٣٩	٢٢٥، ٢٤٠، ٢٤٦
مسند البزار = البحر الزخار	٣٤	٢٠٦	٢٢٢، ٢٤٤
مصنف عبدالرزاق	٢٧		
المعجم الأوسط للطبراني		١٣٧	
المعجم الكبير للطبراني	٤٤	١٢٨، ١٨١	
الموطأ للإمام مالك بن أنس	٣١		

٧- فهرس المصادر والمراجع على ترتيب حروف المعجم

- الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧هـ) تحقيق د. باسم فيصل الجوابرة، طبع ونشر دار الراية بالرياض، ط. أولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- أخبار أصبهان لأبي نعيم: أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، طبع ونشر دار الكتاب الإسلامي، طبع بمطابع الفاروق الحديثة بالقاهرة.
- الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، مراجعة محمد هشام البرهاني، نشر وتوزيع مشروع زايد لتحفيظ القرآن بدولة الإمارات العربية المتحدة، ط. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، طبع ونشر المكتب الإسلامي بيروت. لبنان، ط. أولى ١٣٩٩هـ، توزيع دار الافتاء بالرياض.
- الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، طبع ونشر دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال... لخير الدين الزركلي، طبع ونشر دار العلم للملايين ببيروت، ط. ثامنة، ١٩٨٩م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي، مدمج مع كشف الظنون، طبع ونشر دار الفكر ببيروت، ١٤٠٢ - ١٤١٠هـ.
- تاريخ بغداد للخطيب: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت ٤٦٣هـ) الناشر دار الكتاب العربي ببيروت، لبنان.
- التاريخ الكبير للإمام البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) الناشر دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان.
- تحفة الأشراف على معرفة الأطراف للمزي: يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت، ط. ثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- الترغيب والترهيب للمنذري: عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ)، تعليق مصطفى عمارة، طبع ونشر دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان، ط. أولى، ١٤٠٦هـ.
- تفسير الطبري: جامع البيان عن آي القرآن.
- تفسير النسائي: أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق سيد الحليمي، صبري الشافعي، طبع ونشر مكتبة السنة بالقاهرة، ط. أولى، ١٤١٠هـ.
- تقريب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة. الناشر: دار الرشيد، حلب، سوريا. ط. دار البشائر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- تهذيب الآثار للطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، نشر وتوزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. طبع بمطبعة المدني بالقاهرة.
- تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) نسخة مصورة عن طبعة ونشر دائرة المعارف العثمانية (النظامية) بحيدر آباد الدكن بالهند. ط. أولى سنة ١٣٢٧هـ.
- جامع البيان عن آي القرآن للطبري. محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، طبع ونشر دار الفكر ببيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب البغدادي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناوط وإبراهيم باجس. طبع ونشر مؤسسة الرسالة ببيروت، لبنان. ط. أولى عام ١٤١٢هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، طبع ونشر دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان. ط. أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- خطبة الحاجة: تأليف محمد ناصر الدين الألباني. نشر وطباعة المكتب الإسلامي ببيروت، لبنان. ط. ثالثة ١٣٩٧هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني. طبع ونشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، لبنان. نسخة مصورة عن طبعة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، طبع ونشر دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان. ط. أولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني. نشر مكتبة المعارف بالرياض.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة للعلامة ناصر الدين الألباني. طبع ونشر مكتبة المعارف بالرياض.

- السنة لابن أبي عاصم: عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ)، تخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني. طبع ونشر المكتب الإسلامي ببيروت، ط. أولى ١٤٠٠هـ.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، طبع ونشر دار الفكر ببيروت، لبنان. ط. ثالثة ١٣٩٨هـ.
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، مراجعة وضبط محمد محيى الدين عبدالحميد. طبع ونشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
- سنن الدار قطني: علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ)، نشر وتوزيع حديث أكادمي بباكستان، طبع في مطبعة فالكن لاهور بباكستان.
- سنن الدارمي ويسمى مسند الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبدالله هاشم اليماني المدني. الناشر حديث أكادمي. توزيع دار الافتاء بالرياض، ط. ١٤٠٤هـ.
- السنن الكبرى للبيهقي: أحمد بن الحسين أبي بكر (ت ٤٥٨هـ). طبع ونشر دار الفكر، بيروت. نسخة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية.
- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القرويني (ت ٢٧٥هـ). تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي. طبع ونشر: المكتبة العلمية ببيروت، لبنان.
- سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ). طبع ونشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، لبنان.
- سير أعلام النبلاء للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: مجموعة من العلماء، إشراف: شعيب الأرناووط. طبع ونشر: مؤسسة الرسالة ببيروت، لبنان. ط. سادسة ١٤٠٩هـ.
- شرح السنة للبغوي: الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ). تحقيق شعيب الأرناؤط ومحمد زهير الشاويش. طبع ونشر المكتب الإسلامي ببيروت. ط. ثانية ١٤٠٣هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ). طبع ونشر دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان.
- الشريعة للآجري: محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ). تحقيق محمد حامد الفقي. طبع ونشر حديث اكادمي بباكستان. ط. عام ١٤٠٣هـ.

- شعب الإيمان للإمام البيهقي: أحمد بن الحسين أبي بكر (ت ٤٥٨هـ).
- صحيح الإمام البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ). الناشر: شعبان قورت. ط. دار الطباعة العامرة باستانبول عام ١٩٨١هـ.
- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦٤هـ). تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. نشر وتوزيع دار الافتاء بالرياض.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. تحقيق وتخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني. من منشورات المكتب الإسلامي. ط. أولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) بترتيب ابن بلبان الفارسي. تحقيق شعيب الأرناؤط. ط. مؤسسة الرسالة ببيروت، ط. ثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح سنن ابن ماجة. تخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني
- صلاة العيدين للمحاملي: حسين بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ) بتحقيق ودراسة محمد العمري أبي عبد الله. ط. مكتبة المعارف عام ١٤١٨هـ.
- الضعفاء الكبير للإمام العقيلي: محمد بن عمرو بن موسى. تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي. طبع ونشر دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان. ط. أولى ١٤٠٤هـ.
- ضعيف الجامع الصغير. تخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني.
- عمل اليوم والليلة للنسائي: أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ). تحقيق فاروق حمادة. الناشر: مؤسسة الرسالة ببيروت، ط. ثانية ١٤٠٦هـ.
- عمل اليوم والليلة لابن السني، تحقيق عبدالله حجاج. طبع ونشر: دار الجيل ومكتبة التراث الإسلامي بمصر. ط. ثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للنبهاني الشيخ يوسف. طبع ونشر دار الكتاب العربي ببيروت، لبنان.
- الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (ت ٥٠٩هـ). تحقيق السعيد زغلول. طبع ونشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط. أولى ١٤٠٦هـ.
- القاموس المحيط للفيروز أبادي: محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ). طبع ونشر وتوزيع مؤسسة الرسالة ببيروت، ط. ثالثة ١٤١٣هـ.

- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي أبي أحمد الجرجاني (ت ٣٦٥هـ). طبع ونشر دار الفكر بيروت. ط. ثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني إسماعيل بن محمد (ت ١١٦٢هـ). طبع ونشر وتوزيع: دار زاهد القدسي.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ). طبع ونشر دار الفكر بيروت ١٤١٠هـ، توزيع المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ). الناشر: مؤسسة المعارف بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ). الناشر: دار المعرفة ببيروت. توزيع دار الباز بمكة المكرمة. نسخة مصورة عن طبعة دائرة المعارف.
- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ). طبع ونشر: المكتب الإسلامي ببيروت. ط. خامسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- مسند البزار المسمى بالبحر الزخار. تأليف أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار (ت ٢٩٢هـ). تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله. طبع ونشر مؤسسة علوم القرآن ببيروت ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة. ط. أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- مسند الطيالسي: سليمان بن داود أبي داود (ت ٢٠٤هـ). الناشر: دار المعرفة ببيروت.
- مسند الفردوس: الفردوس بمأثور الخطاب.
- مسند أبي يعلي: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت ٣٠٧هـ). تحقيق حسين سليم أسد. طبع ونشر دار الثقافة العربية دمشق، بيروت. ط. أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- مصنف ابن أبي شيبة: إبراهيم بن عثمان (ت ٢٣٥هـ). طبع ونشر الدار السلفية بومباي. وزع على نفقة فهد العويضة بالرياض.
- مصنف عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ). تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي. طبع ونشر المجلس العلمي والمكتب الإسلامي ببيروت. توزيع دار الافتاء بالرياض. ط. ثانية ١٤١٤هـ.

- معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ). طبع ونشر دار صادر ودار بيروت، بيروت. عام ١٤٠٤هـ.
- المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي. الناشر: وزارة الأوقاف... إحياء التراث الإسلامي بالعراق. ط. ثانية بمطبعة الزهراء الحديثة.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة. الناشر: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ببيروت.
- المعجم الوسيط. إعداد وإخراج د. إبراهيم أنيس وزملائه. الناشر دار إحياء التراث العربي ببيروت. ط. ثانية.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ). تحقيق محمد سيد كيلاني. الناشر: دار المعرفة ببيروت، لبنان.
- المنتظم لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي التميمي (ت ٥٩٧هـ). تحقيق إرشاد الحق الأثري. طبع ونشر إدارة العلوم الأثرية بباكستان. ط. ثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الموضوعات الكبرى لابن الجوزي أبي الفرج (ت ٥٩٧هـ). تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. نشر وطبع أول للمكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٨هـ. وطبع ثان لمكتبة ابن تيمية بالقاهرة عام ١٤٠٧هـ.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت). تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. طبع ونشر دار الحديث بالقاهرة. ط. ثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- النهايةَ في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ). تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي. طبع ونشر أنصار السنة المحمدية بباكستان.
- هدية العارفين مدمجة مع كشف الظنون... لإسماعيل باشا البغدادي. طبع ونشر دار الفكر ببيروت، لبنان.

٨ - محتويات الجامع

٩ - الفهرس التفصيلي لكل كتاب حسب الموضوعات